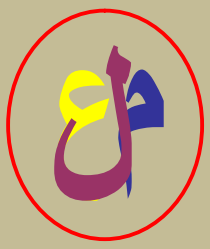

حَوليّة المجمع

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة ـ طرابلس

العدد الثالث

1373ق.ر(2005)

حوليّة المجمع

مجلة متخصصة محكّمة يصدرها مجمع اللغة العربية ــ طرابلس
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
العدد الثالث ــ 1373و.ر.(2005)

رئيس التحرير
أ . د . علي فهمي خشيم

نائب رئيس التحرير
أ . علي الصادق حُسْنين

المحرر العام
د . محمد أحمد وريث

أمين التحرير
أ . عمار محمد جحيدر

الإخراج والتنفيذ الفني
جمعة عبدالسلام الترهوني

مجمع اللغة العربية : شارع البلدية

ص.ب : 551 ميدان الجزائر ــ طرابلس

هاتف :

218-21- 4440728

218-21-4445704

ناسوخ(فاكس) :

218-21-4440126

ثمن النسخة :

ديناران ليبيان ، أو ما يعادلهما في الوطن العربي وخارجه مع إضافة رسوم البريد ، خمسة دنانير للمؤسسات العامة

المحتوى

دراسات في اللغات القديمة

- **د. نائل حنون :** 9
  - بلاد الرافدين القديمة : ثنائية لغة في النصوص المسمارية ــ ووحدة قوم على الأرض
- **د. محمد شريف علي :** 37
  - قراءة في النقوش السينائية تبعاً لأماكن العثور عليها بمصر
- **د. عبد الحفيظ فضيل الميار :** 49
  - النقائش الفينيقية اليونانية في ليبيا : دراسة تاريخية وأثرية

دراسات في العربية الفصحى ولهجاتها

- **أ. طارق عبد الغني دعوب :** 107
  - حركات العربية في الاستخدام اللغوي بين الأسبقية والتثليث
- **د. موسى محمد زنين :** 133
  - حرف الظّاء
- **أ. علي مصطفى المصراتي :** 169
  - الأمثال والتعابير بين دارج وفصيح
- **د . الصيد محمد أبو ديب :** 185
  - بين المثل والخرافة

•أخبار المجمع (ملف توثيقي)

- انعقاد الندوة العلمية الثانية :(النقوش العروبية القديمة في المشرق والمغرب :قراءات تحليلية جديدة بأقلام عربية) – (5-2005/5/8).
- انعقاد مجلس المجمع السنوي (15-2005/6/16).
- انضمام عضوين مراسلين آخرين إلى المجمع (2005) .
- انعقاد مجلس المجمع في دورة استثنائية (2005/9/21) .
- تشكيل لجنة علمية جديدة (2005/9/21) .
- أخبار علمية أخرى .
- شؤون تنظيمية .

دراسات في اللغات القديمة

بلاد الرافدين القديمة
ثنائية لغة في النصوص المسمارية
ووحدة قوم على الأرض*

د. نائل حنون
قسم الآثار—كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

بعد أنْ تمَّ التوصل إلى اختراع الكتابة في بلاد الرافدين القديمة، في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، استمر استعمال الخط المسماري في تدوين نصوص اللغتين السومرية والأكدية، وللغات الأخرى التي اقتبست الخط نفسه، طوال ما يزيد على ثلاثة آلاف عام. وبعد قرون طويلة من النسيان أصبح هذا الخط سراً من أسرار البشرية القديمة انطوى على لغز إبداعها الحضاري المبكِّر وخطوها الأول على عتبات التاريخ.

وبدأت قصةُ حلِّ رموز الخط المسماري في أوائل القرن السابع عشر الميلادي حين توصل انطونيو دي جويكا (Antonio de Goueca) أول سفير لاسبانيا والبرتغال في بلاد فارس، إلى أنَّ تلك النقوش الغريبة على النصب الآثارية الموجودة في موقع العاصمة الأخمينية الشهيرة برسيبوليس تمثل علامات لكتابات قديمة، وأعلن ذلك في كتاب نشره في لشبونة في عام 1611م. وخطا خلفه في المنصب الدبلوماسي دون جارسيا سيلفا فيجورا (Don Garcia Silva Figueroa) خطوة ثانية حين نشر كتاباً في عام 1620م أشار فيه إلى أن تلك العلامات الهرمية الشكل تعود إلى كتابات تختلف عن الكتابات الآرامية، العبرانية، العربية، والإغريقية[1].

---

*من أبحاث الندوة العلمية الثانية للمجمع:(النقوش العروبية القديمة في المشرق والمغرب:قراءات تحليلية جديدة بأقلام عربية). طرابلس (2005/5/8-5) .من المحور الأول : (بلاد الشام والرافدين) .

(1) حول تفاصيل اكتشاف الكتابات المسمارية وحل رموز الخط المسماري يراجع كتاب المؤلف المعنون:

المعجم المسماري، معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية ، جـ1 (بغداد، 2001م)، ص 50 وما بعدها.

ومنذ ذلك الحين أخذت المحاولات تثرى والخطوات تتلاحق في حل رموز الكتابات المسمارية حتى تحقق نجاح تلك المحاولات بعد ما يقارب من قرنين ونصف. ففي العام 1857م تمَّ التأكد من نجاح قراءة الخط المسماري الذي دُوِّنت به اللغة الأكدية، وأعلن آنذاك عن ولادة علم الكتابات المسمارية. ومن الغريب أنَّ التسمية الخاطئة التي أُطلقت على هذا العلم الجديد آنذاك لم تزل هي المستعملة حتى في يومنا هذا . فقد أُطلق على علم قراءة الكتابات المسمارية وترجمتها إسم "علم الآشوريات".

ووجه الخطأ في هذا الاسم أنه مقترن بلهجة واحدة من اللهجتين الرئيستين اللتين تفرعت إليهما اللغة الأكدية، وهما اللهجة الآشورية واللهجة البابلية.

وكما هو معروف فإنَّ كلتا اللهجتين الآشورية والبابلية، فضلاً على لغات قديمة أخرى، إستعملت الخط المسماري في التدوين، وما كان يصح أن تفرد لهجة واحدة ليطلق إسمها على هذا العلم الذي يخص اللهجات واللغات الأخرى أيضاً.

ويبدو أنَّ علماء المساريات أبقوا على هذا الإسم لأن أسس دراسة النصوص المسمارية قد ترسَّخت وتعززت وسائلها نتيجة لاكتشاف آلاف النصوص المسمارية في موقع العاصمة الآشورية الشهيرة نينوى حيث اكتشفت مكتبة آشور – بانيبال(668– 627ق.م) العاهل الآشوري الذي عمل على استنساخ كل تلك النصوص وجمعها في مكتبته.

ومما يضفي على هذه المكتبة أهمية خاصة أنَّ نصوصها استنسخت عن أصول كانت محفوظةً في العديد من مدن بلاد الرافدين القديمة وأنها تعود إلى العصور المتعاقبة التي سبقت عصر آشور – بانيبال.

لقد أدى اكتشاف مكتبة آشور - بانيبال في أواسط القرن التاسع عشر إلى تحقيق تطور كبير في علم المساريات. فمن خلال نصوص هذه المكتبة اتضح أنَّ الآشورية والبابليةً لهجتان من لغة واحدة عرف فيما بعد أنَّها الأكدية. ومن خلال نصوص هذه المكتبة أيضا عرف، لأول مرة في العصر الحديث، وجود النصوص السومرية. وبدأ العمل منذ ستينيات القرن التاسع عشر على قراءة النصوص المكتشفة في موقع نينوى، وسواها من مواقع المدن القديمة، وترجمتها في مطبوعات أخذت تنشر في فرنسا وانجلترا وألمانيا وأميركا. وكتب العديد من البحوث والدراسات عن اللغتين السومرية والأكدية ومفرداتهما وأُعِدَّت جداول بالعلامات المسمارية وألفاظها. ولم يعد الأمر مجرد حل رموز كتابات قديمة وإنما النفاذ عبر حاجز الزمن لاستجلاء معالم واحدة من أضخم التجارب التي عاشتها البشرية.

وهي تجربة حفظت مكنوناتها في نصوص تتناول شتى صنوف المعرفة من تأريخ وأدب ودين واقتصاد ورياضيات وطب وفلك وغير ذلك.

إكتشاف اللغة السومرية :

في خضمِّ محاولات حل رموز الكتابات المسمارية لم يكن أَحد يعرف بوجود اللغة السومرية، أو حتى باسمها، حتى منتصف القرن التاسع عشر. وفي عام 1850م توصل أحد الرواد الأوروبيين الأوائل في مجال الكتابات المسمارية، وهو الأيرلندي إدوارد هنكس (Edward Hincks)، إلى اكتشاف مهم في تأريخ حل رموز الكتابة المسمارية. ويتلخص هذا الاكتشاف في أنَّ الخط البابلي – الآشوري، ولم يكن معروفاً حينذاك أَنَّه خط للهجتين من اللغة الأكدية، يتألف من مئات العلامات.ولما كان المستكشف الفرنسي باول – إميل بوتا (Paul-Émile Botta) قد توصل، قبل ذلك، إلى أَنَّ هناك عدداً كبيراً من الكلمات البابلية كانت تكتب بطرق مختلفة على الرغم من تطابقها لفظاً ومعنى، فقد استنتج هنكس أنَّ ذلك الخط لم يكن هجائياً وإنما مقطعياً ورمزياً في الوقت نفسه. ومعنى هذا أَنَّ كل علامة تمثل مقطعاً يتكون من تناوب مالا يزيد على واحد أو اثنين من الحروف الصحيحة مع حرف أو حرفين من حروف العلة، وأَنَّ كل كلمة كانت تكتب بمجموعة من العلامات المقطعية التي تشكل بمجموع ألفاظها لفظة تلك الكلمة. وكان الخط رمزياً أيضاً لأنَّ بعض الكلمات تكتب فيه بعلامة واحدة فقط للتعبير عن معنى الكلمة الواحدة. وفي العام نفسه ألقى إدوارد هنكس محاضرة أعلن فيها عن عدم تقبله للفكرة القائلة بأَنَّ سكان بلاد بابل وآشور من الساميين هم الذين اخترعوا نظام الكتابة المسمارية وإنما اقتبسوه من قوم آخرين لتدوين لغتهم به، واستند في بناء رأيه هذا على دليلين أساسيين:

أول هذين الدليلين أَنَّ اللغات العربية القديمة (أو السامية كما كانت معروفة لهنكس) تقوم على استعمال الحروف الصحيحة التي تغير حركتها بحسب مواردها في الكلمات، ولكن المقاطع المسمارية تقوم على الحروف الصحيحة وحروف العلة معاً وكلاهما ثابت في المقطع.

والدليل الثاني أَنَّ معظم القيم اللفظية المقطعية للعلامات المسمارية لا يمكن أن تكون قد نشأت من كلمات بابلية وآشورية إذ لا يمكن أن توجد كلمات مطابقة لها في اللغة نفسها. أي، بعبارة أخرى إنَّه لا توجد مقاطع رمزية في الخط المسماري تمثل كلمات بابلية أو آشورية. وهكذا انتهى هنكس إلى أَنَّ الكتابة المسمارية ابتكرت من قبل قوم من غير البابليين والآشوريين واستعملت من قبلهم لتدوين لغتهم، وأَنَّ أولئك القوم كانوا

السابقين في استيطان بلاد بابل وآشور، وحين جاء البابليون والآشوريون اقتبسوا تلك الكتابة ودوَّنوا بها لغتهم بعد أن كيَّفوها لتكون قابلة للتدوين بالخط المسماري[1].

إننا، في هذا البحث، نتقبل فكرة أنَّ الكتابة المسمارية ابتكرت لتدوين لغة أخرى غير البابلية والآشورية، أو الأكدية كما نعرفها اليوم، ولكننا ننظر إلى الدليلين اللذين أوردهما هنكس بشكل مختلف. فإنَّ الطريقة المقطعية لا يمكن أن تكون، بحد ذاتها، دليلاً على عدم إمكان ابتكارها من قبل أصحاب اللغات العربية القديمة، وذلك لأنها وجدت في المراحل التأريخية الأولى لاختراع الكتابة في الألف الثالث قبل الميلاد، وأصبحت وسيلة للوصول إلى اختراع الأبجدية في الألف الثاني قبل الميلاد. ومن جهة أخرى أنَّ المقاطع نفسها استعملت للتعبير عن الحروف الصحيحة المحركة بحسب مبدأ الأبجدية نفسه ولكن مع إظهار الحركات في المقاطع المختلفة بشكل ما يعتبر في اللغات الأوروبية حروف علة. فحين يتطلب الأمر تحريك أي حرف صحيح في البابلية والآشورية كان يعمد إلى اختيار أحد ثلاثة مقاطع يدخل فيها ذلك الحرف. فعلى سبيل المثال يمكن اختيار المقطع مو أو ما أو مي لحرف الميم في حالات التحريك بالضمة أو الفتحة أو الكسرة في وقت لم يكن الإنسان قد توصل فيه إلى نظام الكتابة الأبجدية بعد. وهكذا كانت المقطعية مرحلة نقلت البشرية إلى الأبجدية بعد أن دُوِّنَ فيها ما كان منتظراً تدوينه بالأبجدية. وفيما يخص الدليل الثاني فقد أحصي في هذا البحث ما لا يقل عن 175 مقطعاً رمزياً، أي بعلامة واحدة لكل كلمة، في الكتابة المسمارية من غير أن يكون لأيٍّ منها قيمة مقطعية. وهذا يعني أنها وضعت من قبل قوم غير الذين ابتكروا الكتابة المسمارية، أو أنها وضعت من قبل المخترعين أنفسهم ولكن من لغة كانوا يستعملونها وتختلف عن اللغة التي اخترعوا الخط المسماري لتدوينها. وسنورد في موضع آخر من البحث تلك المقاطع الرمزية مع عودة لمناقشة هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً.

وعلى الرغم من بروز أدلة على وجود لغة أخرى غير البابلية والآشورية مدونة بالخط المسماري مضى النصف الأول من القرن التاسع عشر دون إيجاد اسم لتلك اللغة الغامضة، ولكن الأدلة على وجودها استمرت تتزايد. ففي عام 1852م نشر هنكس ملاحظة تفيد أن هنري رولنصن (Henry Rawlinson) توصل، بعد دراسة جداول لغوية مدونة على ألواح الطين المكتشفة من مكتبة آشور – بانيبال في نينوى، إلى أنَّها جداول ثنائية اللغة أدرجت

[1] صموئيل نوح كريمر،السومريون،تأريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي (الكويت،1973) ،ص 24 – 25 .

فيها كلمات مقطعية بابلية وتقابلها مرادفات باللغة الثانية المجهولة. واختار هنكس ورولنصن إسم "اللغة الأكدية" لإطلاقه على تلك اللغة المجهولة. وكما هو واضح لنا اليوم فإنَّ تلك اللغة المجهولة هي اللغة السومرية وأَنَّ ذينك الباحثين أطلقا عليها إسم الأكدية خطئاً بسبب عدم المعرفة، حتى ذلك الوقت، أَنَّ الأكدية هي اللغة الأم التي تفرقت عنها اللهجتان البابلية والآشورية. ثم إنَّ رولنصن استعمل تسمية "السكيثية" للدلالة على تلك اللغة وذلك في السنوات اللاحقة، وأخذ يوضح عدم وجود صلة لها بأية عائلة لغوية معروفة، وهذا ما تأكد فعلاً عن اللغة السومرية. و لم يهتد علماء القرن التاسع عشر إلى تسمية "اللغة السومرية" إلا في عام 1869م،وكان أول من اقترحه هو يوليس اوبرت (Jules Oppert) الذي ألقى محاضرة في الجمعية الفرنسية للمسكوكات والآثار أعلن فيها أنه ينبغي تسمية تلك اللغة المجهولة بالسومرية. وقد اقتبس أوبرت هذا الاسم من اللقب الملكي القديم "ملك سومر وأكد"، ونسب اسم أكد إلى البابلية والآشورية[1].

منذ ذلك الحين وحتى نهاية القرن التاسع عشر انقسم العلماء إلى فريقين، الأول يستند إلى اكتشاف اللغة السومرية ويسمى أصحابها، الذين يفترض وجودهم بدليل وجود اللغة، باسم السومريين ويؤرخ وجودهم إلى عصر اختراع الكتابة الأولى، أي من أواخر الألف الرابع إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وينسب لهم حضارة متكاملة بأنظمة حكم ومدن وفنون وآداب وعقائد دينية بل وبملامح وطبائع خاصة. وكان على رأس هذا الفريق العلماء الرواد الذين ورد ذكرهم آنفاً. أمَّا الفريق الثاني فقد تزعَّمه جوزيف هاليفي (Joseph Halevy) الذي رأى أنه لا يوجد دليل واضح على وجود السومريين وأَن اللغة السومرية كانت لغة سرية من ابتكار البابليين أنفسهم لأغراض دينية وشعائرية. وبعد جدال استغرق العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر ازداد عدد مؤيدي الفريق الأول وساد رأيهم طوال القرن العشرين. وكان أبرز العلماء المتحمسين لرأي هذا الفريق في القرن العشرين صموئيل نوح كريمر (Samuel Noah Kramer)، وهو من أصل روسي هاجر إلى أميركا في عام 1916م ثم حمل الجنسية الإسرائيلية. وقد نشط كريمر في ترجمة العديد من النصوص السومرية ولكن بحوثه اختلفت عن بحوث علماء اللغة السومرية الآخرين في كونها لا تقتصر على البحث في اللغة السومرية وترجمة نصوصها وإنما وظفت

[1] المصدر نفسه ،ص 26 – 27 .

البحوث اللغوية للتأكيد على وجود السومريين وعلى دورهم الفاعل والمتفوق في خلق حضارة بلاد الرافدين وعلى تخلف الأكديين والأقوام العربية القديمة قياساً بهم. ولقد تضمَّنت كتب كريمر العديدة والواسعة الانتشار والمترجمة إلى العربية عبارات وأحكاماً مناقضة لقواعد البحث العلمي ومخالفة لأبسط قواعد المنطق على غرار العبارة الآتية:

"على أنَّ العبيديين (أي سكان بلاد الرافدين في النصف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد الذين يوافق كريمر على عدم إمكانية اعتبارهم سومريين) لم يبقوا زمناً طويلاً القوة المهيمنة في بلاد سومر. فإلى الغرب من بلاد سومر مباشرة تقع الصحراء السورية وشبه الجزيرة العربية، وطن القبائل السامية منذ زمن سحيق في القدم. وبينما استقر السومريون وازدهروا بدأ بعض هذه الجموع السامية بالتسلل إلى مستوطناتهم كمهاجرين مسلمين وكفاتحين عسكريين. حقاً إننا لا نمتلك حتى الآن دليلاً مباشراً وحاسماً على هذا الاستنتاج الخطير، على أنه من الممكن أولا أن يسلم به كأمر بديهي استناداً إلى ما هو معروف من تأريخ بلاد سومر المتأخر، فقد كانت القبائل السامية البربرية تتسلل مرة بعد أخرى خلال آلاف السنين وتستولي على مراكز بلاد سومر المستقرة، ولا يوجد سبب للإفتراض بأن مثل هذا لم يحدث أيضاً في الألف الرابع قبل الميلاد".[1]

ومن الغريب أنَّ كريمر كان يستثني العبرانيين من كلامه عن الساميين ويعلن عن وجود علاقة دم فيما بينهم وبين السومريين على الرغم من اختلاف اللغة وبالتالي فإنَّ العبرانيين، من دون سائر الأقوام السامية، يمثلون الامتداد التأريخي والحضاري للسومريين، إذْ يذكر في موضع آخر:

"يجب أن نفترض بأن مؤلفي التوراة العبرانيين، أو بعضهم على الأقل، كانوا يعتبرون السومريين أسلاف الشعب العبراني الأصليين. ولكن إذا تكلمنا من الناحية اللغوية فإنَّهم كانوا على خطأ كبير في ذلك؛ فاللغة السومرية من اللغات الملصقة[الإلتصاقية]التي لا صلة لها بعائلة اللغات السامية القابلة للتصريف، وهي العائلة التي تعد العبرانية فرعاً منها. ولكن من الجائز جداً أن يكون هناك دم سومري جدير بالإعتبار في أسلاف إبراهيم الذين عاشوا لعدة أجيال في مدينة أور أو في بعض المدن السومرية الأخرى. أمَّا بالنسبة للحضارة والمدنية السومريتين فإنَّه لا يوجد سبب للشك في أنَّ العبرانيين الأوائل قد تشربوا واستوعبوا الشيء الكثير من أساليب الحياة السومرية العبرانية، وباختصار ربما كانت

[1] المصدر نفسه ،ص 56.

الإتصالات السومرية العبرانية أكثر ارتباطاً مما كان يظن حتى الآن، وربما كان للقانون العبراني الوارد في (يوشع 202) جذور غير قليلة تمتد تحت تربة بلاد سومر"[1].

ولقد اتجه كريمر في بحوثه اتجاهاً خطيراً حين أخذ يترجم مصطلحات سومرية بغير ما تعنيه مما أدى إلى اعتماد ترجماته دليلاً على وجود شعب سومري بطريقة لا تسمح بأي مناقشة أو شك. فمصطلح كلام KALAM الذي يعني باللغة السومرية: "البلاد، الإقليم، السهل، أو البر" ويرادف كلمة ماتُ mātu الأكدية، يظهر في ترجمات كريمر بصيغة "سومر". ومصطلح "سود الرؤوس"، بالسومرية SAG. GIG ،وفي الأكدية صلمات ققّدم Salmāt qaqqadim ، يترجم من قبله إلى:"الشعب السومري". وحين يقرأ المرءُ ترجمات كريمر للنصوص السومرية يقتنع بأنَّها تكرر ذكر اسم سومر والشعب السومري والحقيقة هي غير ذلك.

ومن أجل توضيح دلالة المصطلحات التي استعملت دليلاً لإثبات وجود شعب سومري وبلاد سومرية نورد هنا شرحاً لمصطلح "بلاد سومر وأكد". وكما سبق ذكره فإنَّ هذا المصطلح أوحى بإطلاق اسم اللغة السومرية على تلك اللغة من قبل أوبرت في القرن التاسع عشر. لقد ظهر هذا اللقب قبيل قيام سلالة أور الثالثة (في عام 2112 ق.م) حين استعمله ملك الوركاء أوتو – خيكال لأول مرة للدلالة على اتساع رقعة حكمه على ما يبدو. وبعد أوتو – خيكال استمر ملوك سلالة أور الثالثة في استعمال اللقب نفسه إلى جانب لقبهم الخاص "ملك أور". إنَّ لقب "بلاد سومر وأكد" لم يستعمل للدلالة على مفهوم قومي أو جغرافي بقدر ما استعمل للدلالة على بسط السلطة مثل بقية الألقاب الملكية القديمة، فالألقاب التي كانت لها دلالة جغرافية هي الألقاب التي تتضمن أسماء المدن مثل "ملك أور"، "ملك اوروك"، "ملك أكد". وكان اللقب الذي استعمله ملوك السلالة الأكدية هو "ملك كيش" بالدرجة الأولى و "ملك البلاد" (وبالسومرية: LUGAL KALAM) و"ملك (مدينة) أكد"[2]. وقد استعمل ملوك سلالة أور الثالثة لقب "ملك سومر وأكد" باللغة السومرية "لوگال. كِ. اين. گ . كِ. أور" (LUGAL KI. EN. GI. KI. URI) بدون كلمة بلاد. وظهر لقب "ملك سومر" (lugal ki – en – gi) باللغة السومرية في

[1] المصدر نفسه ،ص 427-428 .

[2] حول ألقاب ملوك السلالة الأكدية ونصوصهم يراجع المصدران الآتيان:

-Arno Poebel , Historical Texts, (Philadelphia, 1914).

-Leon Legrain, Royal Inscriptions and Fragments from Nippur and Babylon,(Philadelphia, 1926).

نصوص الملك الأكدي شار – كالي – شرّي [1](2254 – 2230 ق.م). ومما يدل على أنَّه لم تكن لهذا اللقب دلالة جغرافية أو قومية شيوع استعماله في الألقاب الملكية لملوك بلاد بابل باللغتين السومرية والأكدية مسبوقاً بكلمة "بلاد" وذلك في الألف الثاني قبل الميلاد، أي بعد الاختفاء المفترض للسومريين من المسرح السياسي في بلاد الرافدين. ففي نصوص العصر البابلي القديم يظهر هذا اللقب بالسومرية (LUGAL. KI. EN. GI. KI. URI) "ملك سومر وأكد"، ويكتب الاسم بالمقطعية الأكدية: (māt šu-me-ri-im u ak-ka-di-im) "بلاد سومر وأكد"[2]،ويلاحظ أنه لم يكتب مطلقاً بصيغة "بلاد سومر وبلاد أكد"، وكأنه يدل ضمناً على بلاد واحدة. واستمر اللقب نفسه في نصوص العصر البابلي الوسيط ويلاحظ فيها أنه إذا ورد ذكر سومر فإنَّه يكون مقترناً بأكد، أي لا ترد كلمة سومر إلا جزءاً من اسم "بلاد سومر وأكد". وأمَّا أكد فقد وردت في تلك النصوص بصيغة بلاد أكد" (بالسومرية: KUR.URIki وبالأكدية: Māt – Akkadî)[3].

وفي الألف الأول قبل الميلاد أصبح مصطلح "بلاد سومر وأكد" شائعاً في نصوص العصر الآشوري الحديث التي كتب فيها بالعلامات السومرية (KI. IN. GI. URI. GI)، وكتب أيضاً مقطعياً. فضلاً على ذلك استبدل الآشوريون المقاطع الرمزية السومرية للمقطع الأول من المصطلح (KI. IN. GI) بمقاطع رمزية جديدة هي "كور. ايمي. كو" (KUR. EME. KU) [4]. وهذا ما يدل على أنَّ صياغة المقاطع الرمزية السومرية كانت تتم من قبل الأكديين لاسيما أنَّ هناك العديد منها قد دخل في النصوص المسمارية خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد وسنأتي على ذكرها لاحقاً. واستعمل المصطلح نفسه بالطريقة نفسها في نصوص العصر البابلي الحديث[5]. إنَّ هذا الاستمرار في استعمال اللقب يؤيد ما ذهبنا إليه من عدم وجود دلالة جغرافية أو قومية له مرتبطة بمنطقة معينة أو بقوم معنيين. وهكذا يتضح لنا أنَّ مصطلح "بلاد سومر وأكد" لا يعني سوى بلاد واحدة ولا يشير إلى ثنائية قومية. وهذا يقودنا بالتالي إلى عرض النظرية السائدة حالياً عن

(1) Dietz Otto Edzard, et. al. ,Répertoire Géographique des Texes Cunéiformes 1 (Wiesbaden, 1977), p. 87

(2) Brigitte Groneberg, Répertoire Géographique des Texes Cunéiformes , 3 (Wiesbaden, 1980), p. 228.

(3) Khaled Nashef, Répertoire Géographique des Texes Cunéiformes , 5 (Wiesbaden, 1982), pp. 252 f

(4) Simo Parpola,Neo-Assyrian Toponyms,(Neukirchen-Vluyn,1970),pp.338ff .

(5) Ran Zadok, Répertoire Géographique des Texes Cunéiformes,8(Wiesbaden,1985)pp296f .

السومريين ودورهم المفترض في اختراع الكتابة، وذلك تمهيداً لمناقشة الموضوع واستخلاص نتائج علمية رصينة بمعزل عن المصطلح الذي انتهينا من توضيح أبعاده ودلائله.

النظرية السائدة عن السومريين واختراع الكتابة:

يتفق الباحثون حالياً على أَنَّ وجود السومريين في جنوب بلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد يستند إلى وجود اللغة السومرية. ويؤيد عدد كبير منهم الرأي القائل إن السومريين هم الذين اخترعوا الكتابة المسمارية في طور الوركاء، ولكن لا أحد منهم يستطيع أن يثبت ذلك. غير أَن الانتقال في الكتابة من المرحلة الصورية إلى المقطعية في حوالي(2800)قبل الميلاد كشف عن أن اللغة المدونة الأولى كانت السومرية بدليل الألواح التي اكتشفت في موقع مدينة أور. وهنا يمكننا القول، مع توخي الحذر لتجنب ما لا يمكن إثباته، إنَّ نظام الكتابة المسمارية الأول قد ابتكر لتدوين احتياجات بسيطة واقعية متعلقة بعمليات تسلم وتسليم، ثم استعمل لتدوين اللغة التي عرفت باسم اللغة السومرية. ولا يوجد ما ينقض القول بأنه في مرحلة لاحقة أحدث توافقاً يمكِّن من تدوين اللغة الأكدية بنظام الكتابة هذا، وكان ذلك بحدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير. وإذْ كان الخط المسماري لا يلائم تماماً كل الأصوات التي يجدها المختصون باللغة السومرية فقد افترض أن الخط المسماري ابتكر من قبل قوم آخرين غير السومريين[1] . إنَّ هذا الرأي الجديد نسبياً يختلف عن الرأي الذي كان يطرحه كريمر ويشير إلى وجود أسئلة تفتقر إلى الأجوبة المقبولة في ظل الإعتقاد باختراع السومريين للكتابة واقتباسها بعد ذلك من قبل الأكديين الذين انتزعوا السلطة من السومريين وفرضوا لغتهم منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وهذا ما سنأتي على مناقشته في هذا البحث. ولابدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ الأسئلة المعقدة التي لم تزل بلا أجوبة لا تقتصر على المسألة اللغوية فقط وإنما تمتد لتشمل طبيعة العلاقة بين السومريين والأكديين فيما إذا كان الأولون هم أصحاب الابتكارات الحضارية ، والأكديون هم من اقتبسوها وطوروها. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو هل يمكن إثبات أَنَّ حضارة بلاد الرافدين ذات المظاهر الواضحة والمتسقة هي نتائج جهد قومين مختلفين عن بعضهما؟

(1) C. B. F. Walker, Cuneiform, (London, 1987), p. 12 .

هل عرفت بلاد الرافدين القديمة خلافاً قومياً؟

شهد القرن العشرون جهوداً سعت لترسيخ فكرة نزوح السومريين إلى جنوب بلاد الرافدين واختراعهم للكتابة هناك وإقامتهم للمدن والمعابد وإبداعهم لآداب وفنون متميزة وتقنينهم للقوانين وإنشائهم لأنظمة الحكم على أرض اعتبرت أنها تحمل اسمهم وأنها شغلت الجزء الجنوبي من جنوب العراق الذي أصبح لاحقاً بلاد بابل. أمَّا الجزء الشمالي من هذه المنطقة فقد اعتبرت بلاد أكد. وهذا التقسيم بني فقط على افتراض أن المدن الجنوبية كانت سومرية والشمالية أكدية ، وهو افتراض غير صحيح كما سنوضح لاحقاً. ثم عُمِّمَ ، من خلال تلك الجهود، الإعتقاد القائل بأنَّ الأكديين هيمنوا على بلاد سومر وأكد كلها في أواخر الألف الثالث أو مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وأنهوا الثنائية القومية وأضفوا الصبغة الأكدية (البابلية) على ما كان يعرف ببلاد سومر وأكد الذي أصبح بلاد بابل في العصور اللاحقة، وأنهم أقاموا على أرض الرافدين الحضارة البابلية – الآشورية التي بنيت على الأسس التي ورثوها عن السومريين. وصدرت في ذلك القرن دراسات عديدة وكتب تدور مواضيعها حول السومريين وحضارتهم وخصائصهم[1]. وأوحت تلك الدراسات بأن إشكاليات البحث في هذا الموضوع قد حُلَّت ووضعت الأجوبة لكل ما يتعلق به من أسئلة باستثناء لغزٍ محيِّرٍ واحدٍ وهو أصل السومريين ومن أين جاؤوا ومتى كان ذلك؟ وكتبت بحوث عنً هذاً السؤال ووصل الأمر ببعض المختصين أنَّهم أقاموا حلقات نقاشية وفصولاً دراسية في بعض الجامعات بحثاً عن إجابة له. ولم تصل تلك الجهود إلى نتيجة ولن تصل مستقبلاً إلى إجابة مقنعة لسبب بسيط يتمثل في كونها بعيدة عن المنهج العلمي، إذ كان يتوجب أولا العمل على الإجابة على الأسئلة العديدة المتعلقة بوجود السومريين أصلاً وحقيقة مجيئهم إلى بلاد الرافدين وتحديد طبيعة دورهم في حضارة هذه البلاد قبل البحث عن موطنهم الأصلي. ومن جانب آخر شهد القرن الماضي أيضاً جهوداً علمية وفق منهج علمي رصين لدراسة الموضوع. ولعل من أهم نتائج تلك البحوث أنَّها حدَّدت الإشكاليات وأبرزت الأسئلة التي ينبغي البحث عن أجوبة لها قبل البحث عن الجهة التي جاء منها السومريون ليقوموا بما نسب إليهم. وهذه الإشكاليات

---

[1] نورد هنا ذكر كتابين من الكتب التي صدرت في القرن العشرين عن السومريين ودورهم في بناء حضارة بلاد الرافدين وفي إختراع الكتابة :

-C.Leonard Woolley, The Sumerians,(NewYork,1965).

ــ والكتاب الثاني لصموئيل نوح كريمر وقد تُرجم إلى اللغة العربية بعنوان (السومريون،تأريخهم وحضارتهم وخصائصهم) ، ترجمة فيصل الوائلي (الكويت ،1973) .

والأسئلة هي ما يحاول هذا البحث الإجابة عليها. ولذلك ينبغي أن نعرض هنا باختصار أهم البحوث التي تمثل تلك الجهود قبل عرض ما توصلنا إليه في هذا البحث.

تعود البحوث التي نعرض نتائجها هنا إلى ثلاثة من أكبر علماء المسماريات في القرن العشرين، وهم بينو لاندزبيرجر (Benno Landsberger)، ثوركلد ياكوبسن (Thorkild Jacobsen)، وإجنس جي جيلب (Ignace Jay Gelb). لقد توصل بينو لاندزبيرجر[1] إلى أَنَّ هناك كلمات ذات دلالات حضارية مهمة وكانت تُعَدُّ سومرية، لأنها ظهرت أولا في النصوص السومرية في الألف الثالث قبل الميلاد، لا تعود إلى اللغة السومرية إطلاقا، ومن السومرية انتقلت إلى اللغة الأكدية لاحقاً. والدليل الرئيس الذي استند إليه لاندزبيرجر في رأيه هذا أن تلك الكلمات تتألف من مقطعين أو أكثر وهذا ما يختلف عن الكلمات السومرية التي يتألف معظمها من مقطع واحد فقط، كما أنه توجد خصائص لفظية في تلك الكلمات وخصوصاً في نهاياتها غير مألوفة في الكلمات السومرية. وقد أجمع المختصون على تأييد رأي لاندزبيرجر[2] الذي أرجع أصل هذه الكلمات إلى قوم مجهولين اعتبر أنهم سبقوا السومريين والأكديين في السكنى بجنوب بلاد الرافدين. ولم تقتصر أهمية هذه الكلمات على عددها الكبير وإنما على كونها أيضاً تشمل أسماء معظم المدن الرئيسة القديمة في جنوب العراق، وهي المدن التي كانت تعتبر سومرية، فضلاً على أسماء أهم المهن والصناعات، وهذا ما يدل على أن أولئك القوم الأوائل كانوا هم بناة حضارة بلاد الرافدين وليس السومريين. إنَّ المدن التي تعود أسماؤها إلى التراث اللغوي غير السومري في جنوب العراق هي: إريدو Eridu، أور Urim، أوروك Urug، كلاب Kullab (جزء من الوركاء)، لارسا Larsam، لجش Lagaš، جرسو Girsu، نينا Nina، سيرارا Sirara، أوما Umma، شروباك Šurupak، أدب Adab، نفر Nibrua، كَش Keš، مرد Marad، لراك Larak، إيسن Isin، كيش Kiš، سبار Zimbar، أكشاك Akšak، أكد Agade، كوثى Gudua، بابل Babilim، وبورسبا barsipa، وفي منطقة ديالى مدينتي إشنونا Ešnunna وتوتب Tutub، فضلاً على اسمي نهري دجلة Idigan والفرات Burununa. أَمَّا المهن والصناعات فتشمل: إنجار Engar (فلاح)، تبيرا Tibira (نحّاس)، سمج Simug (حداد)، نجار Nagar (نجّار)، ملاخ Mallakh (ملاح)، بخار Pakhar (فخّار)، دمجار Damgar (تاجر)، إشبار (Išbar) (حائك)،

(1) B. Landsdsberger , "Die Sumerer", in Ankara Üniversitesi. Dil ve Tarih – Coğ afya Dergisi 1/5, II/3, III/2, (1943 – 5).

(2) صموئيل نوح كريمر ، السومريون... ، ص54 وما بعدها .

أشجاب Ašgab (إسكافي، صانع الجلود)، أودول Udul (راعي)، شِدِم Šidim (بنّاء)، وشخاداك Šukhadak (صياد السمك). وهناك مفردات أخرى وردت ضمن تلك الكلمات مثل: آبن Apin (محراث)، نمبار Nimbar (نخلة)، وسولومب Sulumb (تمر). ولابدَّ لنا هنا أن نشير إلى أنَّ الاطلاع على هذه الكلمات يفصح، منذ الوهلة الأولى، عن أصول عربية قديمة وأن عدداً منها مشترك مع اللغة العربية لفظاً ومعنى. ومما يمكن ملاحظته أيضاً أن الانتشار الجغرافي للمدن المذكورة في أعلاه، وتضاف إليها أسماء مدن من شمال العراق أيضاً مثل نينوى، تطابق الإنتشار الجغرافي لدور العبيد. ولذلك يذهب المختصون إلى أنَّ أصحاب دور العبيد لم يكونوا سومريين مثلما لم تكن تلك الأسماء سومرية[1].

ويثبت بحث ثوركلد ياكوبسن[2]عدم حدوث أي صراع بين السومريين والأكديين على أساس الإختلاف القومي، على الرغم من حتمية مثل هذا الصراع في التنازع على السيادة في منطقة محدودة المساحة والموارد مثل جنوب بلاد الرافدين القديمة التي تفتقر تماماً للحواجز الطبيعية التي تفصل فيما بين أجزائها فيما إذا وجد القومان معاً. ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها ياكوبسن في بحثه هذا على النحو الآتي:

أولاً: لم تكن الصراعات بين المجموعات البشرية المختلفة في بلاد الرافدين القديمة قائمةً على أساس الخلافات القومية وإنما على أساس الخلافات السياسية الإقليمية.

ثانياً: أنَّ الصراعات والحروب المذكورة في النصوص المسمارية لم تكن، ولا حتى في حالة واحدة، بين السومريين والأكديين باعتبارهم يمثلون قوميتين مختلفتين، وإنما كانت بين مدينة وأخرى أو بين دولة – مدينة وأخرى دون أن يكون لذلك علاقة بالانتماء القومي لسكان أي من المدينتين.

ثالثاً: أنَّ أي بحث عن اختلاف السومريين عن الأكديين يمكن أن يدور حول استعمال اللغة، أسماء الأعلام، والمعتقدات الدينية فقط، ولا يمكن أن يدور حول الاختلافات العرقية أو العناصر الأنثروبولوجية الطبيعية - مثل اللون والملامح وشكل الشعر..الخ – وذلك لعدم إمكانية رصد مثل هذه الاختلافات أصلاً.

---

(1) Ignace Jay Gelb,"Sumerians and Akkadians in the ethno-linguististic relationship",in Aspects du Contact Suméro-Akkadien IX^{e} Rencontre Assyriologique Internationale, (Géneve,1960),.264.

(2) Thorkild Jacobsen, "The assumed conflict between Sumerians and Semites in early Mesopotamian History", in Journal of the American Oriental Society 59 (1939), pp. 485 – 95 .

أَمَّا أهم ما توصل إليه أجنس جي جيلب في بحثه[1] فيمكن تلخيصه على النحو الآتي:

أولا: يؤكد الدليل الأنثروبولوجي أَنَّ الهياكل العظمية المكتشفة منذ أقدم العصور في بلاد بابل تنتمي إلى النوع المعروف بالفرع الشرقي لعنصر البحر المتوسط، أي أَنَّها تماثل هياكل الأقوام البدوية في شبه الجزيرة العربية. ولم تظهر هياكل من النوع ذى الرأس الدائري الخاص بأقوام وسط آسيا، حيث يفترض أن يكون موطن السومريين الأول.

ثانياً: يؤكد البحث على أهمية الدليل المستمد من أسماء المدن القديمة الذي توصل إليه لاندزبيرجر في بحثه وعرضناه آنفاً. وفحوى هذا الدليل أَنَّ أسماء المدن الرئيسة القديمة في جنوب العراق لم تكن سومرية.

ثالثاً: تظهر في النصوص المسمارية أسماء أعلام أكدية مع أسماء الأعلام السومرية حتى في مدن يفترض أنها كانت سومرية في عصور سومرية. فأسماء ملوك أول سلالة حكمت بعد الطوفان، بموجب أثبات الملوك السومرية، كانت في الغالب أكدية. إذ أنه من مجموع 23 ملكاً ذكرت أسماؤهم في هذه السلالة لم تكن الأسماء السومرية تزيد على ستة. وفي مدن مثل شروباك وأور كانت أسماء الأعلام الأكدية تظهر في النصوص منذ عصر فجر السلالات المبكر.

رابعاً: أَنَّ جلَّ معلوماتنا عن ملوك عصر فجر السلالات الذين يفترض كونهم سومريين تأتي من خلال نصوص ملاحم أُلفت باللغة السومرية في العصر البابلي القديم وليس في العصور السومرية المفترضة.

خامساً: أَنَّ الكتابة في مراحلها الأولى لم تكن محددة بالمنطقة السومرية المفترضة في جنوب العراق وإنما انتشرت في ما عرف بالمنطقة الأكدية، أي القسم الشمالي من جنوب العراق، وذلك في أثناء العصر الشبيه بالكتابي.

سادساً: بدأت النصوص الأكدية بالظهور منذ عصر فجر السلالات الثالث، وهو ما يعرف بعصور السيادة السومرية، وذلك قبل تأسيس سرجون الأكدي لدولته.وفي عصر هذه الدولة كانت النصوص الملكية وأسماء السنين ثنائية اللغة،أَمَّا النصوص الدينية والنصوص الإقتصادية فتدوَّنُ إمَّا بالسومرية أو بالأكدية. وفي منطقة ديالى استعملت اللغة السومرية لتدوين المعاهدات. وكان البابليون، في العصر البابلي القديم، يستعملون اللغة السومرية في التدوين إلى جانب اللغة الأكدية.

---

(1) Ignace Jay Gelb , Op. Cit. , pp. 258 – 71.

سابعاً: أنَّ الدراسة المعجمية للغة السومرية تبين وجود مجموعتين من المفردات، الأولى تشمل مفردات سومرية، والثانية تشمل عدداً كبيراً من الكلمات المستعارة من لغة غير سومرية.

ثامناً: وجد عدد كبير من العلامات المسمارية بقيم صوتية معروفة ومستعملة في اللغة السومرية ولكن ليس لها قيم رمزية تدل على معاني مقترنة بها، وقد أطلق الباحثون على هذه القيم الصوتية تسمية كاكاسيـــگا kakasiga . ووجود هذه القيم، أو المفاتيح اللغوية، يدل على أنها اشتقت من كلمات تعود إلى لغة غير سومرية.

تاسعاً: إختلفت المقاطع الرمزية السومرية التي كانت تستعمل للمعاني نفسها من منطقة إلى أخرى في جنوب العراق القديم. فمثلاً الفعل "ضرب" كان يعبر عنه في المناطق الجنوبية بالمقطعين الرمزيين أي — خول (E. HUL) ، ولكن في المناطق الشمالية يعبر عنه بالمقاطع الرمزية ساگ - گش — را (SAG. GIŠ. RA). وكانت بعض السوابق والأدوات اللغوية تستعمل في مناطق وتهمل في مناطق أخرى.

عاشراً: كان هناك تأثير كتابي أكدي على الكتابات السومرية لا يقل وضوحاً عن التأثير اللغوي،وهذا يدل على أنَّ الأكديين كانوا على صلة بالكتابة حين اختراعها. فعلى سبيل المثال وجدت مقاطع في الكتابة السومرية اشتقت من كلمات أكدية مثل المقطع إد (id) من الكلمة الأكدية idu .بمعنى يد، والمقطع بو (pú) من الكلمة الأكدية pû .بمعنى فم، والمقطع اِز (iz) من الكلمة الأكدية isu.بمعنى عصا. وهناك كلمات سومرية جعلت مقاطع رمزية منفردة بعد اشتقاقها من الكلمات الأكدية بالمعاني نفسها، مثل شام^{2} šám (ثمن) وخاز hazi (فأس).

وقد أثار الأستاذ طه باقر في سبعينيات القرن العشرين موضوعاً مهماً متعلقاً بالقضية السومرية حين رفض ما كان يذهب إليه بعض الباحثين من نسب صفات جسمانية للسومريين من خلال التماثيل والمشاهد الفنية موضحاً أنَّ ما يبدو من ملامح على التماثيل الآدمية كانت تتحكم في تماثيلها الطرز الفنية المتبعة في النحت بالدرجة الأولى، وأنَّ ما يظهر من هيئات وسحن على تلك التماثيل لا يمثل في الواقع فروقاً أو ميزات قومية خاصة بالسومريين أو الأكديين، وإنما هي أزياء خاصة بمقام الشخص الممثل. ويؤكد هذا الرأي أنَّ الملامح والسمات التي درج الباحثون القدماء على عزوها إلى تماثيل السومريين ظاهرة أيضاً في تماثيل أشخاص في مناطق بعيدة عن المنطقة المفترضة للسومريين مثل ماري (تل الحريري في سورية). ومن جهة أخرى نجد أنَّ التماثيل المنسوبة إلى السومريين من عصر

فجر السلالات تختلف في أشكال أشخاصها عن التماثيل الشهيرة للأمير گوديا (السومري) الذي عاش في حوالي (2200 ق.م)[1].

من خلال ما تقدم يتضح لنا أنَّ الافتراض بوجود شعب سومري يستدل على وجوده من وجود اللغة التي أطلق عليها اسم اللغة السومرية ومن أسماء الأعلام المصاغة بهذه اللغة، يثير من الأسئلة والإشكالات أكثر من ما يجيب عليه. ويتضح لنا أيضاً أنَّه لا توجد أدلة، سوى اللغة، على وجود السومريين باعتبارهم قوماً عاشوا مع الأكديين أو سبقوهم على أرض جنوب بلاد الرافدين. وحتى في مجال الكتابة أصبح جلياً أنَّ الدراسات العلمية الرصينة لا تميل إلى قبول الرأي القائل بأنَّها من اختراع السومريين. ومن هنا فإننَّا نميل، بدليل ما تقدم، إلى الإعتقاد بعدم وجود شعب يختلف قومياً عن الأكديين بهذا الاسم. وأمَّا اللغة السومرية فلدينا ما يكفي من الأسباب التي تجعلنا نذهب إلى أنها لغة وضعت من قبل الأكديين لغرض التدوين قبل أن يتمكنوا من ابتكار وسيلة لتدوين اللغة الأكدية نفسها. ونرى أنَّ اللغة السومرية بالشكل الذي وضعت فيه لم تكن قابلة للتحدث بها، كما سنوضح لاحقاً، ولكنها ساعدت الأكديين على التوصل إلى المقطعية، بعد المرحلتين الصورية والرمزية. والمقطعية كانت الوسيلة الوحيدة التي تمكِّنُ من تدوين نصوص اللغة الأكدية التي كانت مستعملة في التخاطب، ولكن الطريقتين الصورية والرمزية لا تصلحان لتدوينها بسبب ما تزخر به من تصاريف واشتقاقات ومفردات غزيرة وإنما يمكن ذلك بواسطة الطريقة المقطعية. ولولا ابتكار الصورية والرمزية لتدوين لغة وضعت أساساً لتدون بهما لما أمكن الوصول إلى المقطعية. إنَّ ما قادنا إلى هذا الرأي العمل في إعداد **المعجم المسماري للغات الأكدية والسومرية والعربية** الذي صدر الجزء الأول منه في بغداد عام 2001م. فبعد إنجاز الجزء الأول وبدء العمل في الأجزاء اللاحقة التي تتضمن المفردات اتضح لنا أنَّ هناك عدداً كبيراً من المفردات والمقاطع الرمزية السومرية وضعت لأول مرة في زمن يمتدُّ من منتصف الألف الثاني إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد، أي بعد الإختفاء المفترض للسومريين بأكثر من خمسة قرون. وقد أثارت هذه الحقيقة لنا فكرة وضع تلك المفردات من قبل الأكديين أنفسهم.وإذا كان الأكديون هم الذين وضعوا المفردات السومرية في ذلك الزمن فما الذي يمنعنا من الاعتقاد بكونهم قد وضعوا المفردات والمقاطع قبل ذلك الزمن؟ وما الذي يمكن أن يدفعنا للظنِّ بأنهم كانوا غير قادرين على وضع قواعد كتابية

[1] طه باقر ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، ج 1(بغداد،1973) ،ص62 .

لتتحكم في صياغة تلك المفردات في نصوص مثل النصوص التي نعرفها اليوم باسم السومرية ؟ .

ومن خلال البحث في هذا الموضوع توفَّرتْ لدينا أدلةٌ عديدة تؤيد ما افترضناه لتضاف إلى ما سبق ذكره .وفيما يأتي نأتي على عرض هذه الأدلة وذلك على النحو الآتي:

أولا: اللغة السومرية لغة منفردة لا تعود إلى أية عائلة لغوية قديمة أو حديثة معروفة. وقوام هذه اللغة مقاطع يرمز كل منها إلى كلمة ويرسم بعلامة مسمارية واحدة تطورت من شكل صوري للشيء الذي يرمز إليه المقطع. وهكذا فإنَّ كا KA تعني فم، لو^2 LÚ تعني رجل، أ A تعني ماء، كِ KI تعني أرض. وهذه المقاطع لا تصرف ولا تؤنث أو تجمع وإنما يعبر عن هذه الحالات بإضافة أدوات لغوية أو بتكرار الكلمة في حالة الجمع. والصفات كُوِّنَتْ بالطريقة نفسها التي كونت بها الأسماء. أمَّا الأفعال فكانت تكون من مقاطع منفردة أيضاً ولا تتغير بحسب شخص الفاعل أو زمن الفعل ولا تختلف عن الأسماء بشيء ولكن للدلالة عليها كانت ترفق بعلامات، تسبقها أو تليها، للدلالة على دورها في الجملة أو على زمنها. أمَّا تركيب الجملة السومرية ففيه غرابة تنفرد بها اللغة السومرية، إذْ أنها كانت تجزأ، بحسب ما تحتويه، إلى الفقرات المتسلسلة الآتية: المفعول لأجله مع ما يلحقه من صفات وألقاب ونسب، الفاعل مع ما يلحقه، المفعول به مع ما يلحقه، وجملة الجار والمجرور. وفي نهاية كل فقرة ترتب أدوات الإضافة وضمائر التملك وأسماء الإشارة بعكس الترتيب الذي وردت فيه. وبعد هذه الفقرات كلها يورد الفعل مع الأدوات الدالة عليه والحشوات اللغوية التي تسبقه والتي تمثل انعكاساً لما ورد في الجملة كلها من مفعول لأجله ومفعول به وحروف جر. إنَّ هذه الخصائص التي ذكرناها تشير إلى أَنَّ السومرية لغة للكتابة فقط و لم تكن لغة مخاطبة متوارثة لأجيال طويلة.

ثانياً: يقسم تاريخ اللغة السومرية، بحسب ما وضعه عالم السومريات الألماني المعروف آدم فلكنشتاين[1] Adam Falkenstein، إلى عصرين يُطلق على الأول منهما اسم "العصر السومري" واستمر من بداية الألف الثالث قبل الميلاد حتى نهايته. والثاني يُطلق عليه اسم "ما بعد العصر السومري" وقد بدأ في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد واستمر إلى أوائل الألف الأول قبل الميلاد. أي أَنَّ عمر اللغة السومرية في "ما بعد العصر السومري" كان

(1) -Adam Falkenstein,Das Sumerische,(Leiden,1959),pp.15-7 .

أطول من عمرها في "العصر السومري". ويقسم فلكنشتاين كل عصر، من الناحية اللغوية، إلى مراحل ثانوية وذلك على النحو الآتي:

1ـــ مراحل العصر السومري:

أ- المرحلة العتيقة (الأركائية) (3000 – 2600 ق.م): إقتصرت على النصوص الإقتصادية فقط.

ب- المرحلة السومرية القديمة (2600– 2350 ق.م):نصوص إقتصادية مع بداية النصوص الملكية وظهور النصوص الأكدية.

ج- المرحلة السرجونية وفترة الإحتلال الجوتي (2350 – 2140 ق.م): نصوص قليلة إلى جانب كثرة من النصوص الأكدية.

د- المرحلة السومرية الحديثة (2140 – 2020 ق.م): نصوص إقتصادية وقضائية وقليل من الرسائل وظهور نصوص جوديا أمير لجش.

2 ـــ مراحل ما بعد العصر السومري:

أ- مرحلة العصر البابلي القديم المبكرة (2020 ق.م – 1850 ق.م): ظهور النصوص الأدبية السومرية والنصوص المعجمية التي تتضمن مفردات سومرية وأكدية مترادفة.

ب- مرحلة العصر البابلي القديم المتأخرة (1850 – 1600 ق.م): النصوص الملكية والإقتصادية والقضائية، فضلاً على المؤلفات الأدبية السومرية المهمة.

ج- مرحلة ما بعد العصر البابلي القديم (1600 – 1000 ق.م): ظهور أكثر النصوص الأدبية السومرية ونصوص العهد الكاشي الملكية والأدبية التي كانت تحت التأثير اللغوي الأكدي القوي.

إنّ هذا التقسيم لتأريخ اللغة السومرية يوضح لنا أنّ العصور البابلية كانت الأهم في تأريخ اللغة السومرية. وهذا يؤكد لنا أنّ ما اعتبر تحولاً من السومرية إلى الأكدية لم يكن من نوع التحولات المعروفة في التأريخ التي خلّفت لنا لغات ميتة تحول أصحابها إلى لغات أخرى حددت انتماءهم القومي الجديد. ومن قبيل هذه التحولات التخلي عن اللغة الأكدية (البابلية و الآشورية) لصالح اللغة الآرامية، أو التخلي عن الأخيرة لصالح اللغة العربية. والاستنتاج الذي تؤدي إليه هذه الحقيقة يقتضي عدم وجود قوم تخلوا عن لغتهم (أي السومريين) وإنما هي لغة استعملها الأكديون للكتابة فقط واستمروا في استعمالها بعد أن تمكنوا من تدوين لغتهم الأكدية بشكل مكثف. وإن استمرار الأكديين على التدوين بالسومرية إلى جانب لغتهم لا يمكن أن يبرر سوى بكونهم لم يعتبروا السومرية لغة قوم

آخرين وإنما تمثل لهم فصلاً من تأريخ تدوين الأكدية نفسها، وهذا ما سنأتي على توضيحه لاحقاً. ومن المهم أن نذكر هنا أن الكتبة الأكديين لم ينقطعوا عن التدوين باللغة السومرية سواء باعتبارها لغة ثانية يستعملونها في نصوص ثنائية اللغة أو أحاديتها أم في استعمال مقاطعها للكلمات في النصوص الأكدية بما يشبه طريقة الإختزال في الكتابة، وهذا ما كان يزداد بمرور الوقت حتى أن آخر النصوص الأكدية (في حدود القرن الأول الميلادي) كان مدوناً بالمقاطع الرمزية السومرية بشكل كامل. ولابد من الإشارة إلى أنَّ النصوص الأدبية السومرية في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد لم تكن مجرد استنساخات عن نصوص أقدم، كما دأب الباحثون على ترديده على الرغم من عدم اكتشاف شيء من تلك الأصول المفترضة، وإنما كانت تؤلف ببراعة من قبل الكتبة الأكديين. ومن النصوص التي نستشهد بها في هذا المجال أسطورة يعود تأريخها إلى العصر البابلي الحديث، في الألف الأول قبل الميلاد. يدور موضوع هذه الأسطورة حول خلق الشمس والقمر، ويتألف نصها من 14 سطراً صيغت الأسطر السبعة الأولى باللغة السومرية وفيها تروى قصة خلق القمر. أمَّا الأسطر السبعة الأخيرة فقد صيغت باللغة الأكدية وتروي قصة خلق الشمس[1]. وما نستطيع قوله إنَّه إذا كان بإمكان الكتبة الأكديين تأليف نصوص أدبية في الألف الأول قبل الميلاد فما الذي يمنع من أن يكون أسلافهم هم الذين دوَّنوا النصوص السومرية قبل ذلك؟

ثالثاً: ظهرت في النصوص السومرية أسماء لهجات تدل إما على مستوى اللغة أو على مهن مستعمليها. ومن هذه اللهجات نذكر:"اللغة الاعتيادية"،"اللغة الأنثوية"،"اللغة العظمى"، اللغة العليا"، اللغة المصطفاة"، "اللغة الملتوية"، "لغة الملاحين"، لغة الرعاة"، و"لغة كهنة نوئيش"[2]. ومن هذه التسميات يمكننا أن نلاحظ أنها لم تكن لهجات لغوية محكية بالمعنى المألوف، ولعلها لم تكن سوى طرق لاستعمال مفردات معينة أو تلفظها بطرق معينة. واللهجة المعروفة من هذه اللهجات هي المسماة "اللغة الأنثوية" لاستعمالها في المؤلفات الأدبية، وقد ظهرت هذه اللهجة في العصر البابلي القديم!

رابعاً: من اللافت للإنتباه أنَّ النصوص المسمارية تذكر أسماء الأقوام القديمة، ولكنها لا تتضمن ذكر السومريين. ففي تلك النصوص نجد ذكر الأكديين(Akkadû)، الأموريين (amurru)، الآشوريين (Aššurû)، العيلاميين (Elamû)، الكاشيين (Kašû)، الآراميين (Armû)،

---

(1) نائل حنون، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ،(بيروت ،2002م) ، ص36-37.

(2) نائل حنون، المعجم المسماري ...، ص 89 – 90.

المصريين (Musru)، وحتى أقوام بعيدة مثل الهنود (Sindu). وحين ترد كلمة سومر (Šumeru) في النصوص المسمارية فإنَّها تدل على معنى "كاتب باللغة السومرية" وليس "سومري القومية"، والمقاطع الرمزية السومرية التي تكتب بها في هذه الحالة هي أيمي - گ[7] (.EME GI7) وليس KI. EN. GI، وايمي تعني بالسومرية "لسان" أو "لغة"[1].

خامساً: لقد اتضح لنا، من خلال العمل على مادة المعجم المسماري، أَنَّ المقاطع الرمزية السومرية (Logograms) التي كانت تكتب بها الكلمات الأكدية وترادفها في المعنى كانت توضع من قبل الأكديين بدليل أَنَّ العديد منها قد وضع بعد مئات السنين من التأريخ الذي يعتقد أَنَّ اللغة السومرية انتهت فيه كلغة محكية وأَنَّ وجود السومريين القومي قد انتهى. إنَّ هذه الحقيقة حول وضع المقاطع الرمزية السومرية من قبل الأكديين تجعلنا بغير حاجة لافتراض انتهاء السومرية كلغة محكية والوجود السومري كعنصر قومي. وهذا يؤيد بالتالي ما نذهب إليه من أَنَّها لم تكن لغة محكية وإنما وسيلة للتدوين، وأَنَّ السومريين لم يوجدوا كشعب وإنما استمر وجود سكان بلاد الرافدين أنفسهم خلال آلاف السنين الأخيرة قبل الميلاد مع استمرار انضمام جماعات بشرية مختلفة بمرور الزمن واندماجهم في الكتلة السكانية التي كان عنصرها الرئيس الأكديين. وهنا نورد بعض الكلمات الأكدية، وخصوصاً المقتبس منها في عصور محددة من الأقوام الأخرى، أو العصور التي دُوِّنت فيها والمقاطع الرمزية السومرية التي وضعت لها:

1- "أهل" a'lu، من اللهجات الشامية (أو ما يطلق عليه العلماء الغربيون اسم السامية الغربية)، البابلي القياسي (منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد): GIŠ. DA

2- "جمل"، من اللهجات الشامية، الآشوري الحديث:

. ANŠE. GAM. MAL،ANŠE. A. AB. BA,

3- "كَسو" kasû (خردل)، من الآرامية، البابلي والآشوري الحديثين:

(Ú.) GAZI. SAR, SILA4. SAR

4- "كِدِنُّ" kidinnu (حماية)، من العيلامية، البابلي القديم والبابلي والآشوري الوسيطين والحديثين: UBARA, BAR.

(1) -Jeremy Black, Andrew George , and Nicholas Postgate, A Concise Dictionary of Akkadian, (Wiesbaden, 1999), p. 384 : Šumerû , Šumerû

5- "كدُرُّ" kudurru (الأبن الأكبر)، من العيلامية، آشوري وسيط وحديث وبابلي وسيط وحديث: NÍG. DU, BÚLUG.

6- "پرزلُّ" parzillu (الحديد)، البابلي الحديث: AN. BAR.

7- "ساَكن" sākinu (محافظ، مسؤول)، من اللهجات الشامية، بابلي قديم (الالاخ) ونصوص أوغاريت: LÚ. GAR.

8- "سَكرُمَش" sakrumaš (قائد عربة)، من اللغة الكاشية، البابلي الوسيط: LÚ. KIR4. DAB.

9- "سيـــپيرُ" sepīru (كاتب- مترجم بالآرامية)، من اللغة الآرامية، البابلي الحديث: LÚ. A. BAL, LÚ. KUŠ. SAR .

10- "سيردُ" serdu (شجرة الزيتون)، البابلي القديم: SÉ. ER. DU(.Um)، وفي نصوص أوغاريت: GIŠ. GI. DÌM (.MA).

11- "سوق" sūqu (شارع)، البابلي الحديث والآشوري الحديث: SILA, E. SÍR.

12- "شفش" šapšu (الشمس) في اللغة الأوغاريتية: UTU

13- "شُشان" šušānu (مدرب الخيل) من الهندو-إيرانية، بالآشوري الوسيط والحديث والبابلي الحديث: LÚ. GIŠ. GIGIR.

14- "زقُّ" ziqqu (الزق) من الآرامية، الآشوري الحديث: KUŠ. SAL.

سادساً: اَعتمد على أسماء الأعلام المصاغة باللغة السومرية للاستدلال على أَنَّ حملتها أشخاص من الشعب السومري المفترض. ولكن الشواهد تبين أَنَّ هذه الأسماء استعملت لأشخاص أكديين وبالتالي فإنَّها كانت أمراً متاحاً من لغة موضوعة في المجتمع نفسه. ولعل من الأمثلة المشهورة على هذا اينخدو – انّا، الأديبة التي كتبت باللغتين السومرية والأكدية، وهي تحمل هذا الاسم السومري ولكن من المعروف أنها إبنة سرجون الأكدي، فهل يعقل أن ينجب الأب الأكدي إبنة سومرية؟ ولدينا مثالٌ آخرُ من سلالة أور الثالثة التي تألفت من خمسة ملوك خلف كل منهم أباه في الحكم. إنَّ إسمي الملكين الأولين من هذه السلالة، أور - نمو وشلجي، كانا سومريين أما إبن شلجي (أمار - سين أو بور-سين) فقد حمل إسماً أكدياً ولكن حفيده شو - سين حمل اسماً سومرياً في حين حمل إبن الأخير، أبي - سين،إسماً أكدياً. وبالطبع ليس من المعقول أن يكون هؤلاء الملوك من قوميتين مختلفتين وهم من نسل واحد. ولا تقتصر هذه الأمثلة على النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد وإنما كانت موجودة في العصور الأقدم مثل عصر سلالة كيش

الأولى التي حكمت بعد الطوفان بحسب ما يرد في أثبات الملوك السومرية. فقد ضمت هذه السلالة 23 ملكاً كانت أسماء الملوك الذين يحملون التسلسلات: 3، 4، 6، 7، 9، 12، 9، 13، 14، 19، 20، 21 أكدية مثل كلب، زقاقيبم، أرويم، إيتانا، باليخ، تزكار.. الخ.

سابعاً: من الصعوبة بمكان أن نتصور تطابق العقائد الدينية والآداب بين قومين مختلفين مهما كانت قوة الصلات بينهما. ولذلك فإنَّ استمرارية العقائد الدينية في بلاد الرافدين القديمة عبر العصور لا توحي إلا بوجود شعب واحد تمسك بعقيدة دينية واحدة وعبد الآلهة نفسها طوال تأريخه. ولا يناقض ذلك أنه أطلق أسماء سومرية أو أكدية على عدد من الآلهة التي عبدها. وكانت أبواب الأدب باللغتين متطابقة مما يوحي بأن أحداهما كانت تماثلاً للثانية، و لم تكن هناك عملية نقل بين آداب شعب وآخر وإنما بين طريقتين لتدوين آداب شعب واحد. وأبواب الأدب التسعة المتطابقة في النصوص السومرية والأكدية هي: قصص الآلهة والأبطال، الترانيم، المراثي، الرسائل الأدبية، المناظرات والحوارات، أدب الحكمة، أدب السحر، الهزل والهجاء، ونصوص متفرقة [1] .

ثامناً: من خصائص حضارة بلاد الرافدين القديمة أَنَّ كل بناية معبد كانت تُشَيَّدُ في العصور التأريخية كان يتوجب أن تحمل اسماً باللغة السومرية[2] .واستمر هذا العرف إلى أواخر عصور تلك الحضارة. ونظراً لما لأبنية المعابد من أهمية وقدسية فلم يكن ممكناً أن يستمر الأكديون في تسمية معابدهم بأسماء سومرية إذا كانت هذه لغة شعب آخر.

تاسعاً: وننهي هذه الأدلة بالإشارة إلى المقاطع الرمزية التي وجدت في السومرية دون أن تكون لها قيم صوتية، وهذا ما يثبت أنَّها قد دخلت إلى السومرية من اللغة الأصلية (وهي الأكدية على ما نعتقد) على يد أصحابها الذين ابتكروا اللغة السومرية لغرض التدوين. ومن هذه المقاطع، التي أحصيناها ما مجموعه 157 منها: بانشور BANŠUR بالأكدية بَشّورُ paššūru (منضدة)، ألم ALAM بالأكدية صَلَمُ salmu (صنم)، جدِم GIDIM بالاكدية إيطيمّو etemmu (روح)، بولوج BULUG بالأكدية بُلُكُّ pulukku، خاشور HAŠUR بالأكدية خَشخُر hašhur (شجرة التفاح)، جنم^{5} GANAM5 بالأكدية إمّيرُ immeru (غنم)، زبر ZABAR بالأكدية سَـــپرُّ siparru (صفر / نحاس).

---

[1] -D. O. Edzard and W. Rölling, "Literatur" in Reallexikon der Assyriologie 7(1987– 90),pp. 35 – 66 .

[2] حول أسماء المعابد في بلاد الرافدين القديمة يراجع :

-Andrew George , House Most Hight , the Temples of Ancient Mesopotamia, (Winona Lake, 1993)

اختراع الكتابة واللغة السومرية:

إتضح لنا، من خلال ما تقدم، أَنَّه لا توجد أدلة على وجود شعب سومري طارئ على التركيبة السكانية في بلاد الرافدين القديمة. وهي تركيبة مستمرة من عصور ما قبل التاريخ وكانت تستوعب باستمرار جماعاتٍ عرقيةً ترد إلى مواطن السكنى المستقرة على مر العصور . وفي معظم العصور التاريخية ، حين برزت من خلال التدوين الهوية القومية، كانت الأقوام العربية القديمة ، وعمادها الأكديون ، هي العنصر البشري الفعال في نشوء تلك الحضارة وتطورها. ولم يشهد تاريخ البلاد خلال تلك العصور نقلة سكانية أو إقْحام مجموعةٍ عناصرَ حضاريةٍ ينجم عنه تحوّل جذري في السياق الحضاري.فعلى الرغم من استمرار الهجرات إلى بلاد الرافدين ودخول مجموعات بشرية إليها بشكل محسوس،مثل دخول الأموريين والكاشيين والآراميين، لم ينقطع ذلك السياق الحضاري ولم يحدث تغيّر جذري في البنيان الحضاري مهما كان الحجم السكاني أو الثقافي لأي من تلك المجموعات.

ولقد لاحظنا أَنَّه لا يمكن أن يُعتدَّ بأيِّ دليل، سبق طرحه، على وجود السومريين وعلى دورهم في حضارة بلاد الرافدين القديمة. ولاحظنا أَنَّ هناك بحوثاً سبقت بحثنا هذا إلى التشكيك في صحة تلك الأدلة. ولم يبق من دليل على وجود السومريين سوى وجود اللغة السومرية وهي العقدة التي كانت البحوث السابقة تقف عندها. فهذه اللغة موجودة وإنكار وجودها أدى إلى توجهات خاطئة ذهبت إليها بحوث القرن التاسع عشر التي بدأت بدايات صحيحة في الشك بوجود السومريين ولكنها لم تنهج النهج العلمي الصحيح حين عالجت موضوع اللغة السومرية. ولولا ذلك لكانت تلك البحوث قد توصلت في وقت مبكر إلى ما توصل إليه هذا البحث ولكانت قد ساعدت على تكوين قاعدة صحيحة للبحوث اللاحقة حول الموضوع. وفيما يخص اللغة ودلالتها على وجود القوم ينبغي أن نميِّزَ بين وجود لغة، أية لغة، وبين صلاحية ما تقدمه من دليل على وجود قوم معينين. فاللغة الأكدية، على سبيل المثال، لا تدل على وجود الأكديين بوجودها فقط وإنما بما عبَّر عنه من خلال نصوصها عن أعمال الأكديين وطباعهم وحياتهم وأحوالهم وما اعتقدوا به وما لجأوا إلى التفكير فيه أو تنفيذه لحل المشاكل التي واجهتهم سواء كانوا مجتمعاً أم فرادى. وهذا ينطبق على الكنعانيين والآراميين والعرب في عصورهم القديمة. وهذا ما لم يحدث في حالة السومريين، فاللغة موجودة ولكن لا ذكر للسومريين

—جماعات أو أفرادا — في النصوص السومرية نفسها أو في النصوص الأكدية أو غيرها. ولابد من الإشارة إلى أنَّ النصوص التوراتية (العهد القديم)، التي تذكر أسماء شعوب قديمة عديدة بإشارات شتى، تخلو من أي ذكر للسومريين.

إنَّ البحوث السابقة التي وردت الإشارة إليها في هذا البحث لم تتطرق إلى صلاحية اللغة السومرية في التخاطب و لم تطرح السؤال عما إذا كانت لغة وضعت للتدوين فقط أم أنها كانت لغة تخاطب وتدوين. والسؤال الثاني الذي نثيره هنا ونحاول تقديم إجابة معقولة عليه يتعلق بمن وضع اللغة السومرية إن لم يكن هناك وجود للسومريين في التأريخ. ولابد أن نؤكد مرة أخرى أن إثارة السؤال الخاطئ حول أصل السومريين ومصدر هجرتهم قد أدى إلى الابتعاد عن معالجة ذينك السؤالين، أو حتى عن إثارتهما أساسا.

إننا نعرف الآن أنَّ وجود الأقوام العربية القديمة (التي يسميها الغربيون السامية) قبل اختراع الكتابة في العراق القديم أمر غير مختلف عليه من قبل الباحثين. وهذا يعني أن اختراع الكتابة تمَّ في ظل وجود اللغة الأكدية، وهي الأقدم تأريخاً من بين اللغات العربية القديمة. و لم يكن الموضوع اختراع كتابة جديدة وإنما هي الكتابة الأولى واختراعها حصيلة آلاف السنين من التطور الحضاري للإنسان في عصور ما قبل التأريخ . وعلى الرغم من كل ذلك التراكم الحضاري لم يكن في حدود التصور استنباط وسيلة لتثبيت - بالتدوين — لغة ناضجة معقدة وغنية بمفرداتها وتصاريفها وتعابيرها ومعانيها المجردة وتراكيبها اللغوية وقواعدها، مثل اللغة الأكدية، على الألواح التي تحفظ على مر الزمن أو تنقل عبر المكان. وكان من الممكن أن تتعرض كل محاولة للوصول إلى تحقيق ذلك إلى الإخفاق. فلنتصور فعلاً واحداً باللغة الأكدية ثلاثي المصدر، ناهيك عن الفعل المعتل، مثل "كتم" ويفكر المرء قبل اختراع الكتابة في تدوينه بكل تصاريفه وبحسب أشخاص الفاعل (كَتَمَ، يكتم، أكتم، مكتوم، كَتِم، أكتم، تكتم، تكتمين، نكتم، تكتمون، تكتمن، يكتمان، يكتمون، يكتمه، يكتمهما، يكتمهم، يكتمك، يكتمنا، يكتمني.. الخ) حتى نعرف صعوبة إيجاد طريقة لتدوينه. وهكذا الحال فيما يخص الأسماء أيضا إذ أنها تعرب وتثنى وتجمع وتؤنث. وكان الحل العبقري لتجاوز هذه الصعاب تقنين لغة موضوعة قابلة للكتابة ليبدأ بها التدوين الذي بدأ بتسجيل الحسابات. فقد كان هذا الاختراع العظيم أساسا لتلبية الاحتياجات العملية من قروض وتسلم وتسليم للأشياء. وهنا كان اختراع الكتابة التي بدأت برسم أشكال الأشياء التي يراد تسجيلها ثم اختيرت للأشياء أسماء تتألف من المقاطع التي عرفتها اللغة السومرية وسبق الحديث عنها. واستمرت هذه الطريقة في

التدوين، التي لا تحتاج لوجود قوم متفوقين على معاصريهم ولا تثبت وجود هؤلاء القوم أيضاً، واستعملت خلال دور الوركاء الأخير ودور جمدة نصر التالي له. وكانت نصوصها تقتصر على رسم المواد ووضع الأعداد إزاءها، والأعداد مجرد عملية ترقيم بسيطة. ولكن ما لم يكن قابلاً للتدوين آنذاك حالة تلك الأشياء المسجلة مثلاً، وهل كانت في حالة تسليم أم تسلم، وإذا كانت ترمز إلى حيوانات فهل كانت حيوانات حية أم مذبوحة أم مرسلة إلى الحقول؟ ولتحديد هذه المتطلبات كان لابد من إيجاد طريقة للتعبير عن الأشياء المجردة والأفكار. وبعبارة أخرى توجب تطوير الكتابة الأولى حتى تكون ملائمة لتدوين الكلام، فكان الإبتكار المهم الثاني في تأريخ التدوين، وهو الكتابة المقطعية. وإلى غاية هذا التطور والأمر لا يحتاج إلى وجود سومريين ليفكروا به أو لينجزوه.

الإنتقال إلى المقطعية :

ظهرت الكتابة المقطعية الأولى على مجموعة من ألواح عثر عليها في موقع مدينة أور، وذلك في الطبقات الأثرية التي يعود زمنها إلى الدورين الأول والثاني من عصر فجر السلالات، وتؤرخ إلى حوالي عام 2800 قبل الميلاد. وفي نصوص تلك الألواح نجد أول استعمال معروف لمقاطع صوتية خالصة أملتها الحاجة إلى التعبير. إنّ الكتابة المقطعية تعتمد على اختيار علامات مسمارية تكون أصواتها كلمة بدون أن يكون لمعنى كل علامة أو مدلولها صلة بذلك. أي أن ما يستعمل هنا هو قيمتها الصوتية أو لفظها لتكوين كلمة يشكل ذلك الصوت جزءاً من تهجئتها. وهكذا فإنّ مجموعة مقاطع تكوّن، بجمع قيمها الصوتية معاً، كلمة معينة لا يمكن التعبير عنها برسم شيء مادي وفقاً للطريقة الصورية أو الرمزية. ولقد هيأت المقطعية للكاتب القديم قدرة كبيرة على رسم الكلمات التي يريد تدوينها، حتى ما كان منها بعيداً عن الأشكال المادية التي يمكن رسمها، ومن ذلك الأفعال والصفات والمعاني المجردة. ولكن هذا التطور في الكتابة، كأي تطور آخر، يعني زيادة في التعقيد وصعوبة في القراءة ما لم يصل المرء إلى حد إتقانها. وفيما يخص موضوع هذا البحث فإنّنا نشهد من خلال هذه التطورات ولادة لغة خاصة للتدوين الأول عرفت فيما بعد باسم اللغة السومرية، ولا نتلمس وجود قوم كانوا يحكون هذه اللغة ويسعون إلى تدوينها. ولابد هنا من التذكير بأنّه كان لكل واحد من تلك المقاطع شكل مسماري طُوِّر من الشكل المادي الذي يمثل ذلك المقطع اسمه باللغة المستعملة. ولعل من أهم الأشياء التي كانت تحتاج إلى استعمال المقطعية لكي تدون هي أسماء الأعلام. وهنا لابد أن نورد

ملاحظة مهمة عن أسماء الأعلام، وكانت أساسا نعوتاً بشكل جمل قصيرة، فقد أصبحت تشكل بلغة التدوين الجديدة، أي السومرية، وذلك حتى يمكن تدوينها في النصوص على الرغم من وجود أسماء أكدية معاصرة لها أو سابقة عليها. ولا نستبعد أن الملوك والأمراء آنذاك حملوا أسماء عروش لغرض ضمان إمكانية تدوينها أولا ثم أصبح ذلك تقليداً. وقد حدث في الألف الثاني أنَّ ملوكاً أموريين، مثل لبت – عشتار وغيره حملوا أسماء أكدية، والشيء نفسه يقال عن ملوك آراميين، مثل آشور – بانيبال ونبوخذ نصر. وقد تأكد حدوث تقليد حمل أسماء عروش مصادفة حين اكتشف نص أدبي ألف من قبل آشور – بانيبال حينما كان ولياً للعرش ويذكر فيه اسمه الآرامي الحقيقي وهو كومايا [1] . أي أن حمل أسماء باللغة السومرية لا يدل على الانتماء القومي للشخص وإنما على اختيار لغوي له صلة بالتدوين، وهذا يفسر لنا ما أشرنا إليه من وجود أبناء بأسماء سومرية لآباء بأسماء أكدية أو بالعكس. وكذلك يفسر لنا ذلك التقليد الذي ذكرناه آنفاً عن إطلاق أسماء باللغة السومرية على أبنية المعابد، وهو التقليد الذي حفظ حتى آخر عهود حضارة بلاد الرافدين القديمة.

ولقد واجهت الأكديين الذين ابتكروا لغة الكتابة السومرية مشكلة تتمثل في حاجتهم إلى مقاطع صوتية كثيرة لإطلاقها على الأشياء التي يحتاجون إلى تدوينها، ومشكلة ثانية تتمثل في حاجتهم إلى علامات مسمارية كثيرة للرمز إلى الأشياء التي يريدون تدوينها. ولحل هاتين المشكلتين لجأوا إلى ما يسمى بتجانس الألفاظ (Homophony) لحل المشكلة الأولى، والى ما يسمى بتعدد الألفاظ (Polyphony) لحل المشكلة الثانية. وتجانس الألفاظ يعني وجود عدة مقاطع مختلفة الرسم والدلالة ولكنها متطابقة اللفظ، ويميزها علماء المسماريات بوضع أرقام متسلسلة للمقاطع الصوتية لكل علامة مثل أن تكون هناك العلامة دو، دو^2، دو^3، دو^4.. الخ. أمَّا تعدد الألفاظ فيقصد به أن تكون للعلامة المسمارية الواحدة عدة ألفاظ وكل لفظ يدل على معنى معين، فرسم النجمة يمكن أن يدل على المقطع أن AN (سماء)، مول MUL (كوكب)، ودنجر DINGIR (إله). ولو كانت السومرية لغة قبل البدء بالتدوين لكانت مفرداتها متكاملة ولما كانت هناك حاجة للجوء إلى تجانس الألفاظ وتعددها بالشكل الكثيف الذي عرفته الكتابة السومرية.

---

[1] وردت الترجمة العربية لنص الأمير كومايا في المرجع الآتي:

- نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، (بغداد، 1986)، ص ص 335 – 339.

وبالوصول إلى المقطعية فتح الباب مشرعاً أمام تدوين اللغة الأكدية وجميع نصوصها. فبدلاً من استعمال المقطع السومري كا KA للدلالة على الباب أصبح بإمكان الكاتب الأكدي أن يكتب كلمة باب الأكدية بالمقاطع وبحسب إعرابها، مثل: با – أب – وم ba-ab-um (بابٌ)، با - أب - ام ba-ab-am (باباً)، وبا – أب – إم (باب) (باستعمال التمييم بدلاً من التنوين)، وأصبح بإمكانه أن يثني الكلمة أو يجمعها أو يؤنثها، مثل: با – أب – أن ba-ab-an (بابان)، با – أب – أو ba-ab-u (أبواب)، و با – أب – تو ba-ab-tu (بوابة). ولما كانت السومرية من وضع الأكديين أنفسهم وإنهم هم الذين وضعوا المقاطع الأولى مثل كا KA للباب فكان من الممكن للكاتب الأكدي اختزال العلامات المسمارية وكتابة العلامة KA للدلالة على الباب في النص الأكدي ولكن بالأكدية، أي باب. ولو كانت السومرية لغة أجنبية بالنسبة لذلك الكاتب لما اتبع هذه الطريقة التي استمرت إلى آخر نص دون بالخط المسماري كما سبق شرحه.

وبعد التوصل إلى المقطعية لم يكن محتملاً أن يطول الانتظار حتى يتم تدوين اللغة الأكدية. فسرعان ما بدأت هذه اللغة تدون خلال وقت قصير بدون وجود صراع بين الأقوام وإنما بمجرد عملية تطوير كتابي. وهذا ما يفسر لنا عدم وجود دلائل على مثل هذا الصراع القومي، وهو ما سبق التطرق إليه على الصفحات السابقة من هذا البحث. ولقد كان اكتشاف مدينة إيبلا في سورية خلال الستينيات من القرن العشرين حدثاً مهماً لم ينتبه إلى الأهمية الكبيرة للدليل الذي قدَّمه. فنصوص هذا الموقع تؤكد بشكل قاطع أنَّ ما حدث فيه يمثل استعمالاً للسومرية بالتدوين وانتقالاً منها لتدوين اللغة الإبلائية، التي ربما كانت لهجة من الأكدية أو شقيقة لها، وبالطريقة نفسها التي حدثت في جنوب العراق. وبالطبع لم تكن منطقة إيبلا ضمن ما اعتبر خطئاً "بلاد سومر" وإنما بعيدة جغرافياً أشد البعد عنه. إن ما نسبته 80% من المفردات في نصوص إيبلا هي سومرية، ولا يعود إلى الإبلائية سوى ما نسبته 20% من المفردات. والمثير في نصوص إيبلا، بما يتفق مع ما توصلنا إليه في هذا البحث، أنَّ الأسماء والأفعال والصفات المستعملة فيها سومرية. أما الإبلائية فتقتصر على حروف الجر والعطف، الضمائر الشخصية، وأسماء الأعلام[1]. وبسبب بُعد ايبلا، جغرافياً، عن جنوب العراق لا يمكننا أن نفترض وجود قوم سومريين فيها وإنما كان أهلها من الأقوام العربية القديمة يقومون بما كان يقوم به أبناء قومهم هناك في مجال اختراع

(1) C.B.F.Walker,Cuneiform,pp.40-1 .

الكتابة. ومغزى ذلك أَنَّه لم يكن هناك قوم يخترعون الكتابة وقوم يقتبسونها وإنما هناك قوم اخترعوا طريقة للكتابة ثم طَوروها لتدوين لغتهم بها. وإنْ صح ما خلصنا إليه في هذا البحث فإنَّ الإسم المناسب للسومرية يكون "الكتابة السومرية" وليست اللغة السومرية، أمَّا الأكدية فهي "اللغة الأكدية".

قراءة في النقوش السينائية

تبعاً لأماكن العثور عليها بمصر*

د . محمد شريف علي

كلية الآثار ـــ جامعة القاهرة

إكتسبت مجموعة النقوش والكتابات التي عثر عليها بشكل رئيس في شبه جزيرة سيناء وعُرفت بالتالي باسم الكتابات السينائية أهمية كبرى نظراً للدور الذي رأى الباحثون أنها يمكن أن تضطلع به في رسم العلاقة بين الأبجديات القديمة ومحاولة تحديد أصل الأبجديات الأحدث ، بل وبالأحرى أصل أبجديات العالم أجمع قديمها وحديثها ، وذلك باعتبارها واحدةً من أقدم أبجديات العالم إن لم تكن بالفعل أقدمها على الإطلاق [1].

وقد بدأ التعرف على هذه النقوش إعتباراً من النصف الثاني من القرن 19، كما تم الوقوف على أنها نصوص ذات طبيعة مختلفة عن النصوص المصرية القديمة اعتبارا من الربع الأول من القرن العشرين . وقد كان الباحث E .H .Palmer هو أول من عثر على نقوش من هذه النوعية في منطقة سيناء عام 69/1868 [2] ثم تبعه في ذلك W .F .Petrie عام 1905[3] .وقد عثر على معظم هذه النقوش في منطقة سرابيط الخادم ، إلا أن هناك نقشين في منطقة وادي نصب ونقشاً واحداً في منطقة وادي مغارة ، وقد جاءت هذه النقوش على هيئة لوحات صخرية أو تماثيل صغيرة (أحدها على شكل أبي الهول)[4] . ثم توالى بعد ذلك العثور على مفردات من هذه النقوش سواءً في شبه جزيرة سيناء نفسها أو خارجها،

---

* من أبحاث الندوة العلمية الثانية للمجمع : (النقوش العروبية القديمة في المشرق والمغرب :قراءات تحليلية جديدة بأقلام عربية). طرابلس (5-2005/5/8).من المحور الثاني : (وادي النيل) .

(1) R.Giveon, Protosinaitische Inschriften ,in LA IV, Sp.1156-1159,A. Gardiner,The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet , JEA3, 1916, 1-16 .

(2) R.Weill,Recueil des Inscriptions egyptiennes du Sinai, Paris 1904,154,no.44.

(3) F. Petrie, Researches in Sinai, London 1906,129-132.

(4) A. Gadiner, E. Peet, J. Cerny, The Inscriptions of Sinai, vol. 2, London 1952m no. 345& 346.

كتلك المجموعة الإضافية من النقوش التي عثرت عليها بعثة جامعة هارفارد فيما بين عامي 1927- 1935 [1]في سرابيط الخادم أيضاً،وكذلك تلك الكسرة الفخارية الطريفة التي عثرت عليها البعثة الإيطالية في وادي الملكات عام 1935 [2] .

وتتمثل طرافتها في أنها مكتوبة بالريشة والحبر على غرار النصوص اليدوية المصرية الهيراطيقية التي كانت تُكتب بنفس الطريقة أيضاً على كِسَرِ الفخار . وأحدث ما عثر عليه من هذه الكتابات نقشان كشف عنهما الأمريكي J .C .Darnell في وادي الهول على الطريق ما بين الأقصر وفرشوط عام 1998 [3]، وتتزايد أهمية هذين النقشين مع تلك الكسرة الفخارية سالفة الذكر ، إذْ أنَّها جميعاً تمثل العناصر الفريدة من النقوش السينائية التي عثر عليها خارج نطاق شبه جزيرة سيناء .

وقد شغلت تلك النصوص باحثي اللغات القديمة بفروعها المختلفة، خاصة بعد التيقن من أنه قد استخدم في كتابتها نظام أبجدي ،حيث وجد فيها كل واحد منهم ضالته المنشودة لتفسير أصل الأبجديات جميعاً.كما أنها شغلت أيضاً وبشكل خاص باحثي الساميات بعد التعرف على أنَّ اللغة المستخدمة فيها هي لغة سامية ، فمن المعتقد أنَّ تلك النصوص إستخدمت أبجدية كانت هي المصدر لكل من الأبجدية الكنعانية المبكرة (القرن الخامس عشر / الرابع عشر ق. م) والأبجدية الفينيقية (القرن الحادي عشر/العاشر ق. م) والفينيقية هي تلك الأبجدية التي يعدها الباحثون الأصل الذي إشتقت منه الأبجـــدية اليونانية[4]،ولذلك فإنّها أصل الأبجديات الأوروبية الحديثة . كما أنه قد لوحظ التشابه الكبير بين هذه الأبجدية والأبجدية الكنعانية المبكرة في بعض المفردات مثل رسائل النجف وغيرها من الكتابات الكنعانية [5].ولم يكن المتخصصون في اللغة المصرية القديمة بطبيعة الحال أقل اهتماماً بهذه النصوص من غيرهم من باحثي اللغات الأخرى . فقد كان العالم الإنجليزي الأشهر السير ألن جاردنر A. Gardiner هو أول من أرسى مجموعة من الحقائق الهامة الثابتة حتى الوقت الحالي عن الأبجدية المستخدمة في تلك النصوص بعد دراسته

(1) Butin, Excavations and Protosinaitic Inscritions at Serabit el- Khadem, Studies and Documents. VI, London 1936.

(2) J. Leibovitch, Recent Discoveries and Developments in Protosinaitic, ASAE 40, 1940, 119-120.

(3) S. Wimmer &Samaher Wimmer- Dweikat, The Alphabet from Wadi el Hol – A first Try, GM…180,2001,107-112 .

(4) Gardiner, JEA3, 1916, 1-6.

(5) http://www.viewzone.com/alphabet.html

للمجموعة التي كانت متاحة حتى عام 1905 . وكان ساسB.Sass الذي كتب في عامي 1988، 1991 [1]مؤلفين عن أصل الأبجديات السامية واليونانية وتطورها في الألف الثاني قبل الميلاد آخر من تناول هذه الكتابات بالدراسة ، ثم تلاه كامرتسيلF. Kammerzell الذي تعرض عام 2001 [2]إلى نشأة الأبجدية بصفة عامة وعلاقتها بالمصرية القديمة .

وفضلاً عن ذلك نجد أنَّ هناك العديد من الباحثين ممن يهتمون الآن بمجموعات اللغات التي انتشرت في المنطقة ، تناولوا هذا الكتابات بالبحث والدراسة .

وبداية ينبغي تحديد طبيعة شكل هذه النصوص تمهيداً لفهم المعلومات التي تقدمها نحو الأبجدية التي كتبت بها . فعندما بدأ العثور على هذه الكتابات فسَّرها البعض على أنها كتابات مصرية هيروغليفية رديئة التنفيذ تنتمي إلى نوعية كتابات المحاجر التي كان يتم تنفيذها في المعتاد بمستوى أقل من النقوش المصرية الهيروغليفية الأخرى ذات النسب والأشكال الدقيقة المتناسبة التي كانت تكتب على جدران المعابد والمقابر[3]. إلا أنَّه سرعان ما تم التيقن من أنَّ علامات هذه النقوش لا تمثل نظاماً تصويرياً صوتياً كما هو الحال في الكتابة الهيروغليفية ، وكان ذلك في عام 1916 على يد العالم الإنجليزي السير ألن جاردنر [4]وهو أول من تناول هذه النقوش بالتحليل والدراسة . وقد خرج جاردنر من دراسته بالحقائق التالية[5]:

1. إن هذه النقوش مكتوبة بنظام أبجدي صِرف وليس تصويرياً صوتياً كما هو الحال في النصوص المصرية الهيروغليفية .

2. وإن هذه الكتابات رغم ذلك قد استعارت أشكال علاماتها من الكتابة المصرية الهيروغليفية .

---

(1) B. Sass, The Genesis of the Alphabet and its Development in the Second Millennium. B.C.,(Agypten and Altes Testament 13), Wiesbaden 1988,ders, Studia Alphabetica, On the Origin and Early History of the Northwest Semitic, South Semitic and Greek Alphabet,(OBO 102),Gottingen 1991.

(2) F. Kammerzel, Die Entstehung der Alphabetreihe: Zum agyptischen Ursprung der semitischen. und westlischen Schriften, in D. Borchers- F. Kammerzell and S. Weninger, Hieroglyphen Alphabete Schriftreformen, (Ling. Aeg. Studia monographica 3),Gottingen 2001,117 -157.

(3) M. S. Ali, Hieratische Ritzinschriften aus Theben, (Gottinger Orientforschungen IV Reihe Agypten 34),12-35.

(4) Gardiner, JEA3, 1916, 1-16

(5) Givion, LA IV, Sp. 1156 -1157

3. إن مبدأ الأكروفونية Acrophone هو المبدأ المطبق لإختيار علامات هذه الكتابات المستخدمة كحروف أبجدية .

4. إن اللغة التي استخدمت في هذه الكتابات هي لغة سامية وليست مصرية .

وتعليقاً على بعض هذه الحقائق ينبغي **أولاً** توضيح الفارق بين النظامين :

النظام الأبجدي والنظام التصويري الصوتي ، فالكتابة المصرية القديمة اعتمدت أساساً على تصوير المعنى المراد الإشارة إليه ، فإذا ما استحال تصويره لسبب أو لآخر- كأن يكون المعنى الذي يراد التعبير عنه رمزياً أو عند احتمال اختلاط المعنى بغيره من المعاني - استخدمت اللغة المصرية القديمة في هذه الحالة علامات صوتية . وهذه العلامات الصوتية هي أيضاً في الواقع أشكال تصويرية تشير إلى أصوات ساكنة سواء كانت أحادية (ذات صوت واحد)أو ثنائية (ذات صوتين)أو ثلاثية (ذات ثلاثة أصوات)[1]. وتمثل العلامات ذات الأصوات الأحادية نظاماً أبجدياً غير أنَّه لا يُعَدِّ نظاماً أبجدياً متكاملاً ، وذلك أنَّه قلَّما استخدمت هذه العلامات الصوتية في كلمة بدون أن يتبعها إضافة علامة تصويرية واحدة أو أكثر في نهاية الكلمة تكون ذات صلة بالمعنى، ويكون الغرض منها تحديد معنى الكلمة (وهو ما يعرف بالمخصصات[2]). ومن ناحية أخرى فإنَّ هذه العلامات هي في الأصل عبارة عن صور، وبالتالي فهي تبعد إلى حد ما عن فكرة الأبجدية التي تستخدم أساساً طريقة خطية أو تخطيطية مختزلة سريعة للتعبير عن الأصوات المختلفة بشكل يسهل تنفيذه بسرعة وبدون احتياج إلى مهارة عالية ، وهو ما نجده محققاً في طريقة تنفيذ الكتابات السينائية وكذلك في الأبجديات القديمة الأحدث كالكنعانية والفينيقية وما يلي ذلك من أبجديات بطبيعة الحال . ويضاف إلى ذلك أنَّ الكلمات المصرية القديمة حينما كان يراد التعبير فيها عن الأصوات كانت تستخدم في كثير من الأحوال - بخلاف حالات استخدام العلامات الأحادية - العلامات الثنائية أو الثلاثية مضافاً إليها متممات صوتية[3]من العلامات الأحادية بطريقة مختلفة إلى حد ما عن الاستخدام الأبجدي الصرف.

وعلى الرغم من ذلك كله فإنَّه لا يمكن للمرء أنْ ينكر أنَّ الكتابة المصرية القديمة تضمَّنت في أحد شقيها النظام الأبجدي بشكل أو بآخر واحتوت بذلك على الفكرة

(1) A. Gardiner, Egyptian Grammar, Oxford 1957[3],ss17-25

(2) A. Gardiner, Egyptian Grammar,s24

(3) A. Gardiner, Egyptian Grammar,s32

الأولى للأبجدية. كما أنَّ اللغة المصرية القديمة عرفت ذلك الشكل من الكتابة الخطية أو التخطيطية السهلة سريعة التنفيذ، وذلك في الخط اليدوي المعروف بالهيراطيقي . وإضافة إلى رأي جاردنر - بأنَّ هذه النصوص قد استعارت أشكالها من العلامات الهيروغليفية - فربما استعارتها بشكل خاص من تلك النصوص الخاصة بالمحاجر ذات المستوى الأقل في التنفيذ أو حتى من الخط اليدوي المصري (الهيراطيقي) . ويعني هذا كله أنَّ اللغة المصرية القديمة بكتاباتها المختلفة يمكن أن تكون هي المصدر الذي استمد منه البعض النظام الأبجدي المتكامل أو شبه المتكامل في هذه النصوص .

ثانياً : إنَّ مبدأ الأكروفونية Acrophone [1]المستخدم في إختيار علامات هذه الكتابات للدلالة على الصوت أو الحرف الساكن هو نفسه المبدأ الذي إستخدمه المصريون لإختيار علاماتهم الأحادية . وهذا المبدأ يعني إستخدام علامة ما للدلالة على القيمة الصوتية للحرف الأول من التسمية أو المقطع الذي تشير إليه هذه العلامة . أي أنَّ الصوت الساكن الأول من حروف الاسم الذي تمثله علامة ما يُشار إليه بهذه العلامة . فالعلامة الدالة على حرف (غ) (F.32) في المصرية القديمة مثلاً (وهي صورة تمثل بطن حيوان) تشير إلى كلمة تعني " بطن" أو " جسد " وتنطق (غِت) ، وقد اكتسبت العلامة طبقاً لمبدأ الأكروفونية القيمة الصوتية للحرف الأول الساكن من التسمية (غِت) وهو حرف (غ) . وبالتالي فلا يُعَدُّ استخدام هذا المبدأ غريباً بل هو ذو صلةٍ وثيقةٍ بنظام الكتابة المصرية القديمة .

وقبل تناول أشكال هذه الكتابات وطبيعتها ينبغي التعرض لأحد الأمور الهامة والفاصلة فيما يخص هذه النقوش ، وهو ما يجب ذكره في هذا الموضوع ، والقصد هنا إلى تأريخها الذي لازال أيضاً أمراً من أمور الخـــلاف الكبير بين الباحثين . ففي حين ترى مجموعة من الباحثين؛ ومنهم بيتري Petrie ، أولبرايت Albreit ،كروس Kruss ، ليبوفيتش Leibovitsch[2] نسبة هذه النقوش إلى الأسرة المصرية الثامنة عشرة التي تبدأ حوالي 1550 ق.م ، ثمة مجموعة أخرى من الباحثين ، ومنهم جـــاردنر Gardiner ، بوتين Butin ، ساس

---

[1] عن الأكروفونية أنظر : محمود عبد القادر عبد الله ، الأبجدية في مصر القديمة ، الرياض 1995 ، ص 191 ؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد ، نشأة الأبجدية وانتشارها في منطقة الشرق الأدنى وأثرها الباقي حتى اليوم ، في :خالد عزب (محرر) ، مركز الخطوط : مضمونه وأهدافه (ندوة عقدت بمكتبة الإسكندرية من 14-26 ابريل 2003) الإسكندرية 2003 ، ص 66-67 .

[2] - Givion, LA IV, 1157 .

Sass [1] تذهب إلى نسبة هذه النقوش إلى فترة الأسرة (12)أو بشكل أدق الفترة المتأخرة من هذه الأسرة . ويعتمد أصحاب الرأي الأول على نسبة تمثال أبي الهول ذي النقوش السينائية (Sinai 345) إلى عصر الملكة حتشبسوت (1479- 1458 ق . م) ، كما يربط البعض من أصحاب هذا الرأي ظهور الكتابات الكنعانية المبكرة في منطقة فلسطين التي تأكد تأريخها بعصر البرونز المتأخر، وهو يقابل تقريباً فترة الأسرة (18) في مصر بالنقوش السينائية ، وخاصة أنها وثيقة الصلة بالسينائية من الناحية الشكلية . أما أصحاب الرأي الثاني الذي يبدو أنَّه أدنى إلى الصواب فيعتقدون:

أولاً : أنَّ تمثال أبي الهول السالف الذكر ، مع تمثال آخر على هيئة الكتلة يحمل أيضاً نقوشاً سينائية (Sinai 346) هما نماذج متكررة ولهما أمثلة مشابهة عديدة في الفترة المتأخرة من الدولة الوسطى[2].

ثانياً : هناك عدد من الشواهد تشير إلى وجود آسيويين يعملون في بعثات التعدين المصرية في سيناء في تلك الفترة المتأخرة من الدولة الوسطى يمكن أن ينسب إليهم أو إلى بعضهم كتابة مثل هذه النصوص .

ثالثاً : أنَّ أحد نقشي وادي نصب يقع مكانياً بالقرب من مقصورة للإله سوبدو ربما يعود بناؤها إلى الدولة الوسطى، وكذلك بالقرب من لوحة للملك أمنمحات الثالث نقشت في العام العشرين من حكمه الذي بدأ حوالي (1853ق . م) وهو الملك الذي ورد على لوحاته في المنطقة ذكر العديد من الآسيويين (العامو) المنخرطين في بعثات التعدين المصرية في تلك الفترة [3] .

رابعاً: أنَّ طريقة كتابة الأسماء الشخصية الآسيوية في الكتابات المصرية للدولة الوسطى تتبع نظاماً أبجدياً شبه كامل [4] ، وربما كان هو المصدر الذي استُقي منه النظام الأبجدي للكتابات السينائية.

خامساً : أنَّ النقشين اللذين تم العثور عليهما حديثاً في وادي الهول في مصر العليا تم تأريخهما بشكل مبدئي ببداية الألف الثاني قبل الميلاد [5] أي ما يقابل بدايات الدولة الوسطى في مصر (حوالي 2046 ق . م) أو الفترة المبكرة من العصر البرونزي المتوسط في

---

(1) Givion, LA IV, 1157 , Gardiner JEA 3, 13, Sass, Studia Alphabetica, On the Origin and Early History of the Northwest Semitic, South Semitic and Greek Alphabet, 4 , ders, The Genesis of thw Alphabet and its Development in the Second Millennium B. C. , 135-144

(2) B. Sass, Studia Alphabetica, 4

(3) A. Gardiner, JEA3, 13-14

(4) B. Sass, Studia Alphabetica,4-27

(5) S. Wimmer &Samaher Wimmer- Dweikat, GM 180, 107

فلسطين وبلاد الشام . وهما بهذا التأريخ ــ إنْ صحَّ ــ يُعدَّان أقدم أمثلة هذه الكتابات حتى الآن ، بل قد يرفعان بداية ظهور مثل هذه الكتابات إلى فترة بدايات الدولة الوسطى. وهكذا ربما تتأكد بهذا حقيقة أنَّ الأبجدية في العالم قد ولدت في شبه جزيرة سيناء في فترةٍ ما من الأسرة (12) [1].

وهنا ليس للمرء أن يتساءل عن ظهور مفاجئ لنظام أبجدي في شبه جزيرة سيناء في وقت الدولة الوسطى ما دامت اللغة المصرية القديمة هي المصدر لمثل هذا النظام ،كما أنها قد وصلت في الدولة الوسطى إلى مرحلة من الاكتمال والنضج بما يسمح بالاستعارة والانتقاء منها . إلا أنّ للمرء أن يلاحظ ظهور مثل هذا النظام الأبجدي في شبه جزيرة سيناء ، كما أنه يُستخدم للغة ليست بالمصرية . والشائع أنَّ مجموعات من العمال الآسيويين الذين كانوا يعملون في بعثات التعدين المصرية في تلك المنطقة أو بعض الموهوبين منهم بعد تعرفهم على اللغة المصرية القديمة وعدم استطاعتهم استيعابها بشكل كامل أوجدوا لأنفسهم طريقة سهلة للكتابة أو للتعبير عن بعض أفكارهم البسيطة التي لم يحتاجوا فيها إلى تدوين الكثير من الأمور المتشابكة أو عميقة الفكرة ، إذْ تحتوي معظم هذه الكتابات والنقوش على نصوص قصيرة أو أدعية دينية بسيطة . ولم يدركوا حينئذ أنهم يضعون بذلك اللبنة الأولى في النظم الأبجدية العالمية التي انتشرت فيما بعد شمالاً وجنوباً . إلا أنَّه من المجحف إعتبار أنَّ هؤلاء الموهوبين لم يستطيعوا استيعاب اللغة المصرية بشكل كامل ، مع أنهم قد استخدموا بعض المبادئ الخاصة جداً في اللغة المصرية كالطريقة الأبجدية ومبدأ الأكروفونية كما عرفوا استخدام الطريقة الخطية ، وهو ما يجعلهم من ذوي المعرفة الخاصة جداً فيما يخص اللغة .

وقد قام العديد من الباحثين بدراسة أشكال الأبجدية السينائية في محاولة للتعرف على الأصل المصري الذي إستقيت منه أشكال الحروف السينائية [2] . وعلى الرغم من عدم اكتمال تفسير كل أشكال العلامات بعد ، إلا أنَّ هناك الكثير من المحاولات الناجحة وما تزال المحاولات جارية[3].

---

(1) B. Sass, The Genesis of the Alphabet,135-144

(2) A. Gardiner,JEA3,13 and Table,W.F.Albright, the Protosinaitic Inscriptions and. their Decipherment, Cambridge 1966,F Kammerzell, Die Entstehung der Alphabetreihe, Hieroglyphen Alphabet Schriftreformen,147-151.

(3) محمد شريف علي ، ملاحظات على الكتابات السينائية ، دراسات في آثار الوطن العربي 2 ، المؤتمر الرابع للأثريين العرب ، القاهرة 2001 ، 437-445 .

يبقى لنا الآن الحديث عن النقشين اللذين تمَّ العثور عليهما خارج شبه جزيرة سيناء وإيجاز بعض الدلالات المستخلصة منهما :

أولهما: كسرة فخار وادي الملكات والمكتوبة كما سبق بالريشة والحبر على غِرار النصوص المصرية الهيراطيقية التي قد يرجع تأريخها إلى الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة .

وثانيهما : نقشا وادي الهول المؤرخان بنهاية الأسرة الثانية عشرة ، ويلفت النظر بدايةً وجود هذين النقشين في منطقة طيبة وما جاورها رغم الشقة الزمنية التي تفصل بين النقشين ، إذا سلمنا بتاريخ نقش وادي الهول السابق ، مع ملاحظة أنَّ نقشي وادي الهول هذين يبدو أنهما بدائيان بالنسبة للنقوش السينائية الأخرى ، وإذا ما استطعنا تفسير كسرة وادي الملكات بوجود بعض الأجانب أو بعض الآسيويين الذين كانوا منخرطين في الأعمال الخاصة بالمقابر في الدولة الحديثة ، وبنفس الطريقة أيضاً تفسير نقش وادي الهول في هذا المكان إذْ ينبغي ملاحظة أنَّ النقوش المصرية الموجودة بصفة عامة في وادي الهول قليلة أو نادرة وليست بالكثيرة لنجد أحدها يمثل كتابة غير مصرية بل وغير شائعة أيضاً .

إنَّ مجرد وجود هذين النقشين في نطاق طيبة خارج شبه جزيرة سيناء ونسبة أحدهما إلى الدولة الوسطى إنما يدل على حقيقة انتشار هذه الطريقة الأبجدية ، وربما كذلك التسليم الضمني باستخدامها ، وذلك على الرغم من الندرة في وجود أمثلة منها . وربما كانت الظروف متاحة لانتشار مثل هذه الطريقة في مصر لولا ارتباط المصريين القوي بطريقتهم التقليدية وتمسكهم بها . كما أنَّ استخدامها أو فلنقل إختراعها من قبل أجانب عن أرض مصر ربما جعل المصريين لا يقبلون عليها بشهية مفتوحة كما كان الحال مع طريقتهم التقليدية ولغتهم الأم .

إذا سلَّمنا بنسبة نقش وادي الهول إلى نهايات الأسرة (12) فقد يكون ملائماً نسبة إختراع هذه الطريقة الأبجدية (السينائية) إلى فترة أحدث من ذلك ، وربما تكون بدايات هذه الأسرة أو قبل ذلك بقليل .

إنَّ التربة المصرية ما تزال تحتوي على الكثير الذي قد يمكننا في المستقبل من فهم الحقيقة الخالصة المتعلقة بهذه الكتابات .

مقارنة بعض أشكال الأبجدية السينائية بالهيروغليفية كما أوردها Albright [1]

مقارنة بعض أشكال الأبجدية السينائية بالفينيقية واليونانية[2]

(1) - Albright, the Protosinaitic Inscriptions

http://www.ancientscripts.com/alphabet.html(2) -

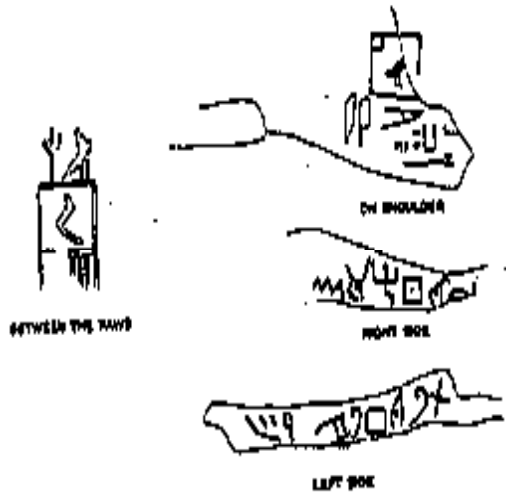

النقوش الموجودة على تمثال أبي الهول إذ نجد على جانبي التمثال الأيمن والأيسر نقوشاً سينائية، في حين يوجد على الكتف الأيمن نقش هيروغليفي يذكر "محبوب الإلهة حتحور سيدة الفيروز"[1].

كسرة الفخار التي عثر عليها في وادي الملكات خلال موسم حفائر متحف تورين في المنطقة [2].

(1) - A. Gardiner,E. Peet, J. Cerny, The Inscriptions of Sinai, vol.2,P1. LXXXII, no. 345

(2) - J. Leibovitch, ASAE 40, 1940, 119

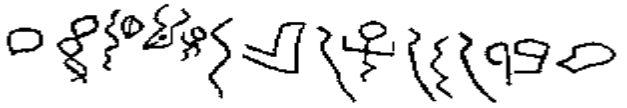

A

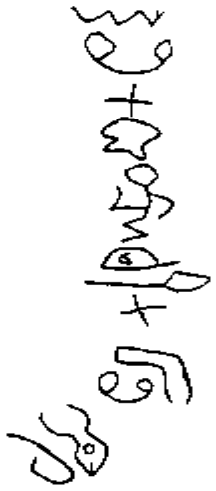

B

نقشا وادي الهول A,B على الطريق بين الأقصر-فرشوط اللذان عثر عليهما الأمريكي Darnel [1]

[1] S. Wimmer & Samaher Wimmer- Dweikat, GM 180, 108

النقائش الفينيقية البونية في ليبيا

دراسة تاريخية أثرية(*)

د. عبدالحفيظ فضيل الميار

قسم التاريخ ـــ كلية الآداب

جامعة الفاتح

لاشكَّ في أنَّه كان للظروفِ التاريخيةِ والبيئيةِ التي عاش فيها الفينيقيون الكنعانيون أثرُها في نشاطهم البحري وإقامة مستعمراتهم على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط . وفيما يتعلقُ بالتاريخ الذي بدأ فيه الفينيقيون نشاطهم التجاري في حوض البحر المتوسط يوجد رأيان مختلفان أحدهما يقول بأنَّ فترة إقامة الفينيقيين للمستوطنات لم تبدأ قبل القرن الثامن قبل الميلاد ، وهي نفس الفترة التي بدأت فيها حركة التوسع الإغريقي .

أما الرأي الآخر فيقول بأنَّ التجار الفينيقيين كانوا أسبقَ من الإغريق بفترة طويلة في إقامة مستوطناتهم علي سواحل هذا البحر والوصول بسفنهم إلي شواطئ بعيدة . وقد اعتمد أصحاب الرأي الأول علي الأدلة الأثرية المتوفرة موضحين أنَّه لا يوجد دليلٌ أثري يرجع إلى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد ، بل ذكروا أسماء المستعمرات الأقدم مثل ليكسوس وأقادير (قادس)[1] ويبدو أنَّ أصحاب الرأي الثاني علي صواب ، وذلك أنَّ غزو شعوب البحر لفينيقيا لا تقتصر أهميته علي أنَّهُ الباعثُ الوحيد علي التوسع البحري للشعب الفينيقي ، وإنما يُعدُّ في الوقت نفسه بدايةً لتوسع هذا الشعب فيما وراء البحار بعد أن انتهت السيادة البحرية لكريت وأصبحت الطرق التجارية مفتوحة أمام الفينيقيين الذين يملكون سفناً جديدة وربابين يتميزون بالشجاعة والجرأة ، وهو ما شجَّعهم على البحث عن أسواق جديدة لتصريف بضائعهم وجلب ما يحتاجون إليه من مواد خام[2].

وخلال الفترة الممتدة من القرن التاسع حتى القرن السابع قبل الميلاد بدأت مرحلةٌ جديدةٌ من التوسع الفينيقي التجاري ، وزادوا من تواجدهم في الشمال الأفريقي حيث أسَّسوا

(*) من أبحاث الندوة العلمية الثانية للمجمع : (النقوش العروبية القديمة في المشرق والمغرب :قراءات تحليلية جديدة بأقلام عربية). طرابلس(5-2005/5/8).من المحور الثالث : (المغرب العربي) .

(1) أسست قادير في إسبانيا قرب جبل طارق حوالي 1115ق . م وليكوس على شاطئ المحيط الأطلسي في أفريقيا وهي على حد قول بليني أقدم المستعمرات الفينيقية المعروفة في شمال أفريقيا (Pliny,135) .

(2) Diodorus , V,20 ;Herm , G . The Phoenicians (Trans . by Hiller .C.), Victor Golan2 , London ,1995 .P.134

قرطاج في الربع الأخير من القرن التاسع قبل الميلاد ، وهي الفترة التي أحكم فيها الأسطول الفينيقي السيطرة علي الطرق البحرية [1]،ومن بين المستوطنات الفينيقية الأخرى التي أنشأها الفينيقيون الكنعانيون تلك المراكز التجارية الثلاث التي عرفت أولاً بالأمبوري، وفيما بعد بالمدن الثلاث .

وتشير الأدلة الأثارية إلى أنَّ تاريخ إنشاءِ لبدة الكبرى في النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، وأنَّ صبراتة في أواخر القَرن السادس قبل الميلاد ، وويات في القرن الخامس قبل الميلاد[2].ويرى بعض الباحثين أنَّه بالنظر إلى أنَّ تاريخ إنشاءِ قرطاج سابقٌ على تاريخ إنشاءِ المدن الثلاث (لبده ،ويات ، صبراتة) فإنْ لم تكن قرطَاج قد قامت بإنشائها ، فلا أقلَّ من أن يكون ذلك تم تحت إشرافها وبمساعدتها[3].

ومع ذلك فإنَّ الأدلة الأدبية والنقشية تتفقُ مع الأدلة الاثارية في إرجاع تأسيس لبدة الكبرى إلي القرن السابع ق.م، وهو ما يجعل إمكانية إنشائها من قبل الفينيقيين النازحين الأوائل مقبولاً ، وقد يؤكد هذا ما له من الخصوصية التي تميَّزت بها الديانة الفينيقية في هذه المدينة ، إذْ تدلُّ الشواهد الأثارية على عبادة آلهة فينيقية فيها مثل الإله ملك عشترت (IPT-31)والإله الكون أرض(IPT-18) في حين لا يتوفر دليلٌ على عبادتها في المدينتين الأخريين صبراتة وويات ، ولا في الشمال الأفريقي ، وهو ما يبعث على الإعتقاد بأنَّ المؤسسين الصوريين الأوائل هم الذين جلبوا هذه العبادة معهم[4].

أمَّا بالنسبة للمدينتين (ويات وصبرا ته) فإنَّ المخلَّفات الأثارية التي عُثِرَ عليها فيهما لا تسمح لنا بالذهاب إلى ما قبل القرن الخامس قبل الميلاد . وخلال هذه الفترة يصعب تصور تنفيذ عملية إنشائهما من قبل الفينيقيين دون موافقة قرطاجة ومساعدتها ، خاصة وأنها زادت خلال هذه الفترة من حراستها للإقليم بعد تدمير المستعمرة الإغريقية في حوض وادي كنبس (وادي كعام) وذلك قبل عام 519ق.م .

---

(1) Diodorus,v ll,3

(2) لمزيد من المعلومات حول إنشاء مدن الأمبوري الثلاث في ليبيا راجع : عبد الحفيظ فضيل الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، طرابلس :مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،2001،ص111-114؛ Mattingly,Triplitania,1995,p50

(3) عبدالحفيظ الميار، المرجع نفسه ، ص 116-117 .

(4) حول عبادة الإله ملك عشترت والإله الكون ارض الفينيقيين في لبده الكبرى : راجع عبدالحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية ، (المرجع نفسه) .

كما قامت قرطاج في نفس هذا التاريخ وفقاً لما يذكر بوليبيوس ، بإبرام الاتفاقية الأولى مع روما التي كان الهدف منها عدم السماح للأسطول الروماني بالرسوِّ على ساحل الأمبوري الخصيب[1].

ومع وصول الفينيقيين الكنعانيين إلى إقليم المدن الثلاث واستقرارهم فيه أخذ في استخدام اللغة الفينيقية وحروفها ، وتشير الأدلة إلى استعمال حروف هذه اللغة في الإقليم بأشكالها المختلفة ، (جدول رقم 1). ففي أحد النقائش (IPT-20) (شكل رقم 1) من صبراتة ظهرت الرموز الفينيقية القديمة مختلطة بالرموز البونية والبونية المتأخرة (الجديدة) .

ويبدو أنَّ الانتقال من استعمال الأحرف الفينيقية القديمة إلى البونية ثم البونية الجديدة قد حدث بصورةٍ تدريجية. ففي معبد الإله ملك عشترت بلبدة عثر على نقش (IPT 31) (جدول رقم 1)يرقى إلى القرن الثاني ق.م .وهو محفور على حجر جيري ومكتوب بالأحرف البونية. وفي فترةٍ لاحقةٍ تمَّ الانتقال من استعمال الحروف البونية إلى استعمال الحروف البونية الجديدة في الكتابة.ففي السوق البونيقي بلبدة الكبرى عُثِرَ على نقيشةٍ (IPT24B) (شكل 2)يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الأول ق.م (8ق.م) مكتوبة بالأحرف البونية الجديدة. وتشير الأدلة إلى أنَّ تأثيرَ الحضارةِ الفينيقيةِ قد انتقل عن طريق الأهالي من شمال الإقليم إلى جنوبه.

فقد استخدمت اللغة البونية وحروفها في الكتابة ،ففي مقبرة وادي العمود بجنوب الإقليم عُثِرَ على نقائشَ (IPT 77,78,79) (جدول رقم 2) (شكل 3)مدوَّنةٍ باللغةِ والأحرف البونية الجديدة وتعود إلى القرن الأول الميلادي ،وتدلُّ هذه النقائش على تأثر الليبيين من أفراد القبائل التي تنتشر مضاربها في جنوب الإقليم بالحضارة الفينيقية ، خاصة أبناء الأسر الثرية ، وهم الأكثر تأثراً بحضارة العنصر الأرقى ، إذْ أنهم لم يكتفوا بحمل الأسماء الفينيقية وإنما استخدموا لغتهم في الكتابة أيضاً[2] ، وفي مجال الكتابة يرى البعض[3] أنَّ الليبيين استعاروا من الفينيقيين أحرفاً قليلة وأضافوا إليها علاماتهم الخاصة لتلبية احتياجاتهم البسيطة.

---

[1] المرجع نفسه ، ص117 .

[2] تدل نقائش وادي العمود المشار إليها أعلاه على تأثر الليبيين بالحضارة الفينيقية ، لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع مقالنا المنشور في مجلة آفاق تاريخية ، العدد الأول 1998 ، ص93-94 ، ومقالنا المنشور في مجلة الدراسات القديمة الصادرة عن جامعة لندن (BICS) ، العدد 41(1996) ، ص 109-113 .

[3] Bates,O.,The eastern Libyans, London,1914,p.86-7

وقد وصل عدد الحروف الليبية التي ظهرت على المعالم الأثرية إلى ثلاثين حرفاً.وبمقارنةٍ أجراها بعض الباحثين بين الأحرف الليبية ــ الفينيقية التي كانت مستعملةً في شمال أفريقيا تبيَّن أنَّ ستة من الأحرف الليبية لها نظائر في البونية ، وهي أحرف الجيم، والياء، والميم، والنون ، والسين ، والتاء[1].ويمكن أنْ نستخلص من دراستنا لأحرف الكتابة البونية المستخدمة في كتابة النقائش البونية التي عُثِرَ عليها في إقليم المدن الثلاث بليبيا ما يلي:

أولا :- أنَّ النقائش البونية التي وُجِدَتْ في المنطقة الساحلية قد جاء أغلبها من مدينةٍ واحدةٍ وهي لبدة الكبرى.وقد يرجع سَبب ذلك إلى أنَّ هذه المدينة كانت من أهم مراكز الحضارة الفينيقية في الإقليم.

ثانيا :- انَّه باستثناء النقيشة البونية (IPT 31) المكَّرسة للإلهين ملك عشترت وشاد راب- الحارسين لمدينة لبدة الكبرى- وهي تعود إلى القرن الثاني ق.م ، فإنَّ تاريخ بقية النقائش البونية الجديدة التي عُثِرَ عليها في الإقليم لا يرقى إلى ما قبل القرن الأول ق.م.

ثالثا :- ظهور هذه الأحرف بصورة مائلة وشكلية.

رابعا : - حدث تطور في بعض الأحرف مثل الجيم،الحاء،اللام،والتاء (جدول رقم2)[2] .

خامسا : - تكرار بعض الأحرف وندرة البعض الآخر في نقائش الإقليم، فنجد حروفاً مثل الألف ،الباء،الدال،والطاء تكررت بكثرة في هذه النقائش، في حين تندرُ كتابة أحرف أخرى في النقائش البونية الجديدة مثل حرف الجيم (ج) الذي نجده يتكرر أربع مرات، وكذلك حرف الزاي (ز) ثلاث مرات (جدول 2).

سادسا : - ظهور ملامح غير عادية وشاذة في كتابة بعض الأحرف في النقائش البونية الجديدة التي عُثِرَ عليها في الإقليم مثل حرف الجيم(ج) في نقيشة (IPT86)(جدول رقم 2) (شكل 4) وحرف الحاء (ح) في نفس النقيشة،وحرف الكاف (ك) في نقيشة (IPT 79) .

هذه الملامح غير العادية والشاذة تبعثُ على الإعتقاد بوجود خصوصيةٍ في كتابة اللغة البونية التي ظهرت في النقائش التي عُثِرَ عليها في إقليم المدن الثلاث.

ويبدو أنَّ استخدام الحروف الفينيقية قد جرى بصورة محدودة ، وهي تسمى فينيقية إذا ما قورنت بالحروف المتطورة التي يُطلق عليها (بونية) ، حيث تتميَّز الأخيرة بطولها وانحنائها الخفيف ، ويبدو أنَّها كانت الكتابة الرسمية في قرطاج وإمبراطوريتها حتى عام

---

(1) Ibid. p.84 .

(2) حول الأحرف المستعملة في كتابة النقائش البونية التي عُثِرَ عليها في إقليم المدن الثلاث في ليبيا راجع: عبدالحفيظ الميار ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية في ليبيا . طرابلس : جامعة الفاتح ، 2003 ، ص49 وما يليها .

146ق.م ، وبعد هذا التاريخ استمرت في الظهور لفترة وجيزة على الآثار الخاصة بالليبيين (مثل نقش حجر مسنسن في دقة)[1] وبصورة متقطعة على العملة ، غير أنها استبدلت بعد ذلك بما يُطلق عليه (البونية الجديدة Neo-Punic)وذلك باستخدام نمطٍ جديدٍ من الحروف.

ويرى بعض الباحثين أنَّ هذه الأخيرة كانت مستعملة لفترةٍ طويلةٍ قبل عام 146ق.وقد ازداد انتشارها بعد سقوط قرطاج حتى أوشكت الكتابة البونية الفينيقية الأصل على الزوال[2].

ومع أنَّ خصائص اللغة البونية الجديدة تتغيَّر حسب الوقت والمكان، إلا أنَّه يمكن القول ببساطة أنها عبارة عن الكتابة بأحرفٍ متصلةٍ مشتقة من البونية، وهي تتميز بتطورٍ ملحوظ في شكل العديد من الحروف يؤدي في بعض الأحيان إلى عملية خلط وارتباك. فغالباً ما يصعب التمييز بين حرف الباء "ب" والدال "د" ،كذلك النون والتاء ، ومثل الكتابة فإنَّ اللغة البونية هي عبارة عن تطور اللغة الفينيقية، وذلك أنَّ الاختلافات بين اللغتين طفيفة على الرغم من أنَّ اللغة الرسمية تكون مصحوبةً بصيغةٍ عاميةٍ تزداد فيها الاختلافات ، كما أنَّ النصوص الرسمية المتأخرة لها ميزاتٌ مستقلة تختلف عن النصوص القديمة، وهو ما يشير إلى تطور اللغة. وفيما يتعلق بالحروف الساكنة تظهر اللغة البونية وبالتدريج ضعفاً في مخارج الحروف بالنسبة للمجموعتين (البلعومية والحلقية).

ففي الوقت الذي تستخدم فيه الوثائق الرسمية التهجئة المعتادة فإنَّ النقائش المكتوبة باللغة العامية تميلُ إلى التقليل من استخدام الحروف الساكنة في كل من المجموعتين (الحلقية والبلعومية). وثمة خاصية تميز نظام الحروف البونية تتعلق بنطق الحرفين الدال (د) واللام (ل) حيث يجرى إسقاطهما في بعض الأحيان مثل : بودميلكار (Bodmilcar) بوميلكار (Bomilcar) وموالخومر (Molchomor) تصبح موخوفر(Mochomor) . وحدثت تطوراتٌ مهمة في البونية العامية مثل ازدواجية الحروف الاستهلالية (الحرف الأول من كلمة أو اسم) الساكنة والمتحركة وهذا مخالفٌ لقواعد اللغة السامية الأساسية المعتادة، حيث يُستعاض عن ذلك بإضافة حروف العلة أو تكرار الجملة[3].

---

(1) - لمزيد من المعلومات حول هذا النقش يراجع : على فهمي خشيم " دراسة لنقش قرطاجي ليبي قديم" الرسوم الصخرية في الوطن العربي ، المؤتمر الثالث عشر للآثار ، طرابلس 1-7 التموز 1997 ، ص 194- 227 .

(2) - محمد فنتر ، "ماذا عن النقائش البونية في تونس"، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، نشر المنظمة العربية للثقافة والعلوم،تونس 1988، ص12.

(3) - لمزيد من المعلومات عن الفروق بين اللغة الفينيقية والبونية ،راجع :

-Moscati , S., The world of the Phoenicians Weidenfeld and Nicolas,1968,.185-86.

استخدم الفينيقيون الليبيون الكتابة البونية، وعلى الرغم من أنهم لم يتركوا وثائق مكتوبة فإنَّه عُثِرَ على العديد من النقائش البونية في أنحاءَ متفرقةٍ من الجزء الغربي من ليبيا المعروف بإقليم طرابلس. وهذه النقائش مكتوبةٌ على الحجارة أو الفخار أو على حاجيات الأشخاص كالخواتم والنقود والمسارج أو على جدران بعض الأضرحة وشواهد القبور أو داخل الغرف الجنائزية أو على واجهات المباني والنصيبات التي عُثِرَ عليها في بعض المناطق خاصة منطقة الجبل الغربي[1].

وفي العادة تكون الحروف منحوتة أو محفورة بواسطة المنقاش (Chisel) أو مكتوبة باللون الأسود.

تُعدُّ نقيشة الضريح الكبير في مقبرة وادي العمود[2] خيرَ مثال على الحروف البارزة المنحوتة ، كما أنَّ النقيشتين الأخريين اللتين عُثِرَ عليهما في هذه المقبرة[3] قد جرى حفرهما. أمَّا الكتابة باللون الأسود فهي ما نشاهده في نقيشة القصبات[4] التي تعود إلى أوائل القرن الأول ق.م ، ومع أنَّ أغلبَ النقائش البونية التي عثر عليها في المنطقة الساحلية جاءت من لبدة الكبرى إلا أنَّه عُثِرَ على نقائش بونية في ويات[5] وصبراتة[6] وجيغيش[7] (بوقارا الحالية في تونس)،ووادي بني موسى[8] بترغلات، وغدامس[9]،وقبر زدو[10] بزليتن،والدافنية[11] على طريق مصراتة، والخمس وخليج سرت الكبير[12] ، وفي منطقة

---

(1) - بعض هذه التماثيل الصغيرة "النصيبات"تم استرجاعها من أيدي المهربين ونابشي القبور،وهي تحمل كتابة بونية منقوشة على ظهر هذه التماثيل تشير إلى هويتها والغرض من صنعها مثل تمثال الليبي حطيط(قطيط) بن أرشم وتمثال الإلهة تانيت وغيرها.عن هذا الموضوع ، راجع:عبد الحفيظ الميار، "اكتشافات جديدة في منطقة الجبل الغربي" مجلة تراث الشعب (طرابلس) ، العدد 3- 4 (1998) ص96.

(2) IPT-79.

(3) IPT-77,78.

(4) IPT-86.

(5) IPT-5,8.

(6) IPT-1,4.

(7) Vattioni,F.,1976.Glosse Puniche,Augstinianum16:552 .

(8) Ibid.p69.

(9) Ibid.p553.

(10) Polselli, G.C., 1979 A proposit di alcune inscrizione Latino-puniche , S M 11: 37- 49

(11) Levi della Vida , Rend. Acc. (8) XVII, p.481- 482

(12) IRT 855

الجبل الغربي عثر على بعض النقائش البونية في بعض المواقع بمنطقة ترهونة مثل المحيجيبة[1] (قرية الخضراء)، وسيدي علي بن زايد[2] (قرية الخضراء)، قصر دوغا[3] النوايلية[4] (جنوب شرق ترهونة) وفي ترهونة[5] بئر الواعر[6] وبئر سيدي لابا [7] .

وفي المنطقة الواقعة جنوب الجبل وما دون الصحراء ، حيث ظهرت النقائش على واجهات المباني المقامة في أحواض الأودية وروافدها مثل قصر العزيز[8](وادي المردوم)، قصر شميخ (وادي البئر)[9] قرب (حوض وادي سوف الجين)،قصر العيساوي[10](وادي مجدل)،قصر العويرية[11] بئر شديوه[12](وادي شطاف) ، وادي بني موسى[13](ترغلات) . وإلى جانب نقائش القصور عُثِرَ على نقائش بونية على بعض الأضرحة في موقع أم الجرم[14]، ومقبرة وادي العمود[15]وشواهد قبور تريبونات بئر دريدر[16]في حوض وادي العمود، وأضرحة قرزة[17]وبئر جبيرة[18] .

وهكذا نرى أنَّ وجود النقائش البونية لم يقتصر على المنطقة الساحلية وإنما عثر عليها في المناطق الجنوبية من إقليم المدن الثلاث خاصة أحواض الأودية وروافدها التي تغطي شبكتها منطقة ما دون الصحراء حيث الأراضي الصالحة للزراعة والرعي.

---

(1) - IPT-76 .

(2) - IRT-877a,IRT-877,

(3) عبد الحفيظ الميار" الإله قرزل في نقش بوني من قصر دوغا" مجلة العلوم السياسية والاجتماعية (1997) ص .

(4) - Elmayer,A.F., Latino Punic funenary inscription from Nawailia (Tarhuna) , LA.NS Iv (1998)p.129.

(5) - Garbini,G.,Dedica Caelistis at Tarhuna , LA.13-14 (1976-1977), p.19-20; TRE,P.323-24.

(6) - IRT 865

(7) - IRT 876

(8) - IRT 873

(9) - IRT 899

(10) - Vattioni , F., Aug. 16 (1976), p.553

(11) - IRT-892

(12) - TRE,P394.

(13) - Brogan ,O. and Reynolds, LA. 1 (1964),p.45-46

(14) - Levi della Vida OA . 2 (1963) 75; Vattioni , F. Aug. 16 (1976).

(15) - IPT 77-79

(16) - IRT 886 a , 6 ,c , d , e , f .

(17) - IRT 901 ,C.I.L III 744 .

(18) - IPT 81 .

وهذا يدل على انتشار الحضارة الفينيقية في الإقليم، وتأثر السكان المحليين بها خاصة الأسر الغنية التي تكون عادةً أكثر تأثراً بحضارة العنصر الأرقى، فأخذت تكتب باللغة البونية بدلاً من لغتها الأصلية، وتقيم المزارع المفتوحة (Opus Africanum) على النمط الفينيقي التي كانت تنتشر في منطقة الجبل، وتشيِّدُ المباني والأضرحة على غرار أضرحة وادي العمود[1] .

والنقائش البونية التي عُثِرَ عليها حتى الآن يمكن فرزها على أساس موضوعاتها أو مضامينها فنجد بينها نقائش تذكارية أو إهداءات (Votives) خاصة بنذر مكرسة لبعض الآلهة التي كانت تُعبَدُ في الإقليم مثل الإله "شادراب" (ŠDRB) والإله "ملك عشترت" (MLK AŠTRT) وهما الإلهان الحارسان لمدينة لبدة الكبرى (ربة اللبقى) حيث عثر على نقيشة بونية مكرسة لهذين الإلهين في معبد الإله ملك عشترت في الميدان القديم بهذه المدينة (IPT 31).(شكل 5) وصنفٌ ثانٍ من النقائش البونية جنائزي (Funerary) وهو ما نجده مدوَّناً على شواهد القبور وجدران الأضرحة يظهر فيها اسم الميت[2] وأحيانا يذكر لقبه ونسبه مثلما جاء في النقائش البونية التي عُثِرَ عليها في مقبرة وادي العمود[3] ، فقد جاء في نقيشة المقبرة الرئيسية في هذا الوادي (IPT 79) ما يلي :

السطر الأول : ماصوكان بن يمرر بن جطيط المصلى.

السطر الثاني : زوط إبنة جاتيدان التغلبي .

فلقب المصلي و التغلبي أُضيفا إلى اسم العائلة، وهو اسم الأسرة أو القبيلة كما هي عادة العرب في حمل أسماء قبائلهم . و التغلبي اسم لقبيلة عربية معروفة ، وربما تشير أسماء هذه العائلة إلى أصولها العربية التي تنحدر منها . إنَّ الأسماء العربية المدوَّنة على شواهد القبور والمباني التي عثر عليها في أماكن متفرقةٍ من ليبيا تؤكِّدُ الأصول العربية التي ينحدر منها سكان هذا البلد.

---

(1) لزيادة المعلومات حول النقائش البونية التي عُثِرَ عليها في الإقليم ، راجع :
- مجموعة نقائش طرابلس البونية (IPT) .
- مجموعة نقائش طرابلس الرومانية (IRT) .
- Elmayer , A.F., TRE , P. 397- 425.

(2) هناك نقائش تكتب على التوابيت التي تحفظ فيها رفات الموتى داخل الأضرحة مثل تلك التي عثر عليها في المقابر الفينيقية البونية التي تم اكتشافها في لبدة الكبرى حيث تسجل هذه النقائش اسم الميت ، وهذه التوابيت تم العثور عليها في الحفريات التي أجرتها بعثة جامعة روما الثالثة عام 1997 في منطقة لبدة .

(3) - IPT-79 .

وقد يُضاف إلى اسم الشخص ولقبه اسم المنصب الذي يشغله، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قد تكون الوظيفة من الوظائف التنفيذية العليا في حكومات المدن الفينيقية مثل (الشفطم) (القاضيان) والمحازيم.وفي العادة يتولى هذه الوظائف الأغنياء من أرستقراطية المدن ولمدة سنة واحدة، ففي النقيشة (IPT17) (شكل 6) المحفورة على الكراسي الحجرية الموجودة بحمامات هادريان بلبدة الكبرى وردت أسماء حكام هذه المدينة خلال العام الذي تمَّ فيه جمع المال اللازم لصناعة هذه الكراسي وإنجازها بالصورة التي هي عليها، والحكام هم :

القاضيان :عبد ملقارت وعريس هفرب .والمحازيم الأربعة هم :كانديدوس .دوناتوس . ادينبعل بن حنبعل . حانو بن أرشم.

ويبدو أنَّ الشخصيات المعروفة أو من سبق لهم تولي الوظيفة يكتفى بكتابة أسمائهم فقط في النقيشة كما نرى في أسماء القاضيين ومساعديهما من المحازيم الأول والثاني ، أما المحازيم الثالث والرابع فيبدو أنَّ الوظيفة قد أُسندت إليهما لأول مرة.

وتشير النقيشة إلى أنَّ المحاز حانو بن أرشم كان من مسئوليته الإشراف على الرياضة العامة "يق مك" وبالتالي يدخل في اختصاصه الإشراف على إدارة المباني الخاصة بالأنشطة الرياضية والمرافق الأخرى كالمسرح (Theatre) والمسرح المدرج (Amphitheater) ومضمار السباق (Circus).

ومع أنَّ المحازيم كانوا يشتغلون معا في بعض الأحيان إلا أنَّهم كانوا يتولون مناصب ذات اختصاصات وأنشطة مختلفة[1] . والى جانب الرياضة العامة كانت هناك وظيفة الإشراف على الخزانة العامة ومراقبة الأسعار حيث ورد في النقيشة أنَّ المحاز ادينبعل بن حنبعل قد أُسندت إليه هذه الوظيفة خلال تلك السنة[2] . وتشير نقائش مدينة لبدة إلى وظيفة أخرى كان يشغلها قضاة هذه المدينة وهي"الشحم" التي تعني المسئول عن الشؤون الزراعية[3] . ومن بين الوظائف التي ورد ذكرها في نقائش لبدة البونية الوظائف الدينية مثل كهنة عبادة الإمبراطور (ابن المؤله)[4].وفي نقائش تريبونات بئر دريدر[5]ورد ذكر

(1) IRT.P-30 .
(2) IRT.17.6 .
(3) IRT.31a , IPT. 21.2
(4) IPT. 27.2
(5) IRT. 886f .

المسؤوليات التي كانت تُسند من قبل الرومان إلى مشائخ القبائل الليبية التي كانت تنتشر مضاربها في منطقة الحدود الطرابلسية في العصر الروماني، فهي علاوة على الرتبة العسكرية (Tribunus)التي كانوا يحملونها فقد أُسند إليهم الإشراف على العدالة "ميزروثم" (Myzorothm) والإدارة "مشرت" (MŠRT) [1](IRT 886f) (شكل 7) والنقائش التي تظهر على واجهات بعض المباني مثل القصور تشير إلى اسم من قام ببنائها ومالك الأرض والغرض من أقامتها وهو في العادة "السكن" وحماية الأراضي وما عليها. وقد أكَّد هذا النوع من النقائش أنَّ أغلب القصور الواقعة في جنوب الإقليم كانت مساكن خاصة لليبيين مثل قصر شميخ وادي البئر وقصر العزيز وادي المردوم[2].

وهناك نقائش على الأختام مثل النقيشة (10) البونية اللاتينية التي عثر عليها في لبدة ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي[3]، ونقائش على الأواني الفخارية والمسارج والنقود والخواتم وغيرها من الحاجيات الأخرى ، وهذه النقائش تسجل عادة اسم صاحب الشيء أو صانعه.

وفى القصبات عُثِرَ على شقفةٍ فخارية تحمل نقيشة[4]تسجل معاملات تتعلق بالشؤون الزراعية كتبت باللغة البونية. وقد تضمنت الشقفة تفاصيل اتفاق بين مالك الأرض ومستأجر لها.وتنصُّ بنود هذا الاتفاق على أنْ يقدم المستأجر إلى مالك الأرض نسبة من المحصول في شكل أقساط بدلاً من تسديد الأجر نقداً .

أما بالنسبة للنقود فنجدُ منها ما يحمل اسم المدينة التي سُكَّت العملة باسمها مثل لبدة وويات وصبراتة[5].

ومع ما للنقائش من أهمية كبرى في دراسة التاريخ، إذْ أنَّها الوثائق الأصلية المعاصرة للأحداث التي تسجلها، وهي تعطينا الكثير من المعلومات التي قد لا نحصل عليها من مراجعنا،فضلاً عن كونها مصدراً لا يرتقي إليه الشك ، فإنَّ أغلب النقائش البونية التي عُثِرَ

---

(1) على سبيل المثال النقش الذي عثر عليه في قصر شميخ وادي البئر (قرب وادي سوف الجين) (IRT 889) وقصر العزيز في وادي مردوم (IRT 893) ،لمزيد من المعلومات، راجع:

-TRE ,op.cit., p.379-82; Elmayer, A.F., The Centenaria of Roman Tripolitania ,L.S.16 : 77- 84.

(2) قصر شميخ (889) قصر العزيز (IRT 893) .

(3) حول هذا النقش أنظر: .L ev della Vida, Libya3(1927)108-

(4) IPT.86 .

(5) Jenkins.Some Ancient Coins of Libya ,LS ,5 (1973 – 1974), P.33-35 .

عليها في إقليم المدن الثلاث لا تقدم معلومات كافية عن التاريخ السياسي والثقافي للفينيقيين والليبيين .

ومع ذلك فإنَّ هذه النقائش تزدادُ أَهميتها بالنسبة لتاريخ الكتابة فهي تمكننا من التعرف على تطور هذا النوع المحلي من الكتابة الفينيقية البونية.

ولا يخفي أنَّ ترجمة هذه النقائش ليست عملاً سهلاً، وذلك لصعوبة لغتها وكثرة الاختصارات، فضلاً عن اندثار بعض أجزائها ، وهو عمل يصعب حتى على المختصين في هذا المجال.

ومن خلال محاولاتنا لترجمة بعض هذه النقائش ظهرت لنا بعض المصاعب منها :

أولاً ــ ندرة وقلة مفردات اللغة الفينيقية (البونية) المعروفة جعلتنا نعتمد في ترجمة هذه النقائش على بعض اللغات العروبية الأخرى.

ثانياً ــ أنَّ البعض من كُتَّاب هذه النقائش وقعوا في كثيرٍ من الأخطاء النحوية واللغوية، فضلا عن ضياع أجزاء من هذَه النقائش بسبب عوامل الزمَن والأضرار التي أصابت المواد التي كتبت عليها.

ثالثاً ــ أَنَّه خلال الحكم الروماني لا يتوفر أي دليل أدبي على وجود عملٍ ذي أهمية كتب باللغة الفينيقية التي لم تستخدم كوسيلة لنقل ثقافة مهمة أو رسمية إليها ، وحتى الأناشيد المسيحية المقدسة التي ذكر القديس أغسطس أنها تؤلف باللغتين الفينيقية واللاتينية لا يوجد ما يدلُّ على كتابتها باللغة الفينيقية ، ولو توفر شيء من ذلك لساعد على فهم هذه النقائش.

وخلاصة القول إنَّ أغلبية النقائش البونية التي عثر عليها في إقليم المدن الثلاث لا تتضمن أيَّ ذكر لأية أحداث أو أسماء يمكن ربطها بوقائع تاريخية معروفة.

والنقيشة الوحيده التي تُعدّ من أهم النقائش البونية التي عثر عليها حتى الآن في هذا الإقليم هي النقيشة الإهدائية التي كرَّسها أحد الليبيين للإله آمون، وقد عثر عليها في معبد هذا الإله الليبي في المحيجيبة بقرية الخضراء- ترهونة(شكل 3) ، وذلك أنها تعدُّ نموذجاً رائعاً لنمط الكتابة البونية المحلية التي اتبعت في الإقليم، حيث كتبت الحروف البونية بارتفاع متساوٍ (8 سم) وبصورة مماثلة ومنتظمة ، وباستثناء نقيشة الإله الليبي قرزل (شكل9)التي عثر عليها في المحيجيبة (ترهونة) لم تظهر حروف هذه النقيشة في أية نقيشة

أخرى من النقائش البونية التي عثر عليها في الإقليم.ويرجع تاريخ هذه النقيشة إلى أوائل القرن الأول الميلادي خلال فترة حكم البروقنصل لوكيوس إيليوس لاميا (15-17م)[1].

غير أنَّ بعض هذه النقائش يصعب تحديد تاريخ معين لها لعدم توفر الأدلة التي تساعد على ذلك.وقد ترتب على هذا حدوث اختلاف في نسبة هذه النقائش إلى هذا التاريخ أو غيره .

إنَّ ظهور أسماءَ رومانيةٍ مثل فلافيوس ويوليوس في النقائش البونية اللاتينية التي عثر عليها في مقبرة بئر دريدر جعل جود تشايلد يُرجع تاريخها إلى عهد الإمبراطورين يوليوس كونستانس (Constans)وفلافيوس يوليوس كونستانتيوس(Constantius) (340-350م) [2]إلا أنَّ الأدلة غير كافية لدعم هذا الرأي.

وبسبب الاختلاف في أسلوب الكتابة الذي يتأثر بخط الكاتب ونوعية المادة وشكلها والمساحة المخصصة للنقيشة ، فإنَّ كل ذلك يجعل الاعتماد على شكل الحروف ودلائل علم الكتابة القديم غير كاف في هذا المجال.

وقد استمرت الكتابة باللغة البونية في الإقليم حتى بعد الاحتلال الروماني، إلا أنَّه منذ القرن الثاني الميلادي بُدِئَ في كتابة اللغة البونية بالحروف اللاتينية،وظهر ما يسمى بالنقائش البونية اللاتينية[3]، فقد عثر في حمامات هادريان بلبدة الكبرى على بلاطة على شكل ختم تحمل نقيشة بونية كتبت بالأحرف اللاتينية، ترقى إلى القرن الثاني الميلادي، جاء فيها "فيليوث إيادم سيروقات يماني"، وترجمة ليفي ديلافيدا :"هذا من صنع سيروقات يماني"[4]

وقد دخلت بعض الكلمات اللاتينية إلى اللغة البونية المستعملة في الإقليم مثل كلمة حصن(Centenarium)وكلمة منطقة(Zone) في نقيشة قصر شميخ بوادي البئر[5] (IRT 889) (شكل 10) ولا شكَّ أنَّ هذا يدلُّ على تأثير الحضارة الرومانية في حضارة الإقليم البونية.

---

(1) IPT . 76 .

(2) جودتشايلد ،ر.ج ، دراسات ليبية ، ترجمة عبدالحفيظ الميار وأحمد اليازوري، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1999، ص 127.

(3) لزيادة المعلومات عن النقائش البونية اللاتينيةفي الاقليم راجع :مقالنا " النقوش البونية اللاتينية "في"النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، أعمال المؤتمر الثالث عشر للآثار (طرابلس ليبيا 1-1995/10/7)،المنطقة العربية للثقافة والعلوم ، تونس ، ص351-385

(4) Levi della Vida. Libya 3 (1927) ,108 .

(5) حول ترجمة هذا النقش ، راجع :
-TRE .325-27

ويمكن أنْ نستخلص من دراستنا للنقائش الفينيقية في إقليم طرابلس ما يلي :

ألقت هذه النقائش المزيد من الأضواء على جوانب عدة من التاريخ الحضاري للإقليم، ففي المجال الثقافي دلّت الإكتشافات الأثارية على انتشار اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم المدن الثلاث (لبدة الكبرى ، ويات ، وصبراتة) ففي المنطقة الساحلية عثر في لبدة على العديد من النقائش الفينيقية البونية التي أمدتنا بمعلومات وفيرة عن سكان هذه المدينة، بالإضافة إلى الدراسات المفصَّلة التي أظهرت أنَّ ارستقراطية المدن الساحلية كانوا من الفينيقيين أو من العنصر (الليبيو ـــ فينيقي) . وتشير النقائش إلى هيمنة هذه الطبقة واحتلال مركز الصدارة في هذه المدن خلال القرن الأول الميلادي . ومن العائلات الكبيرة في لبدة عائلة طباحفي التي عرف بعض أفرادها من خلال النقائش الإهدائية المسجَّلة على عدد من المعالم الأثارية ، ومن أشهر أفراد هذه العائلة حنبعل طبحفي روفس الذي قدَّم خدمات كثيرة إلى مدينته لبدة الكبرى ،ومنها بناء السوق الفينيقي(حوالي 8ق.م).ومسرحه (1-2م) ومن الشخصيات البارزة الأخرى أديبعل حمكلت وأديبعل طبحفي ، وقد نال زعماء لبده وأثرياؤها الذين قدَّموا مساعداتٍ إلى أبناء شعبهم الكثيرَ من مظاهر التبجيل والاحترام وسجلت النقائش (IPT34;27) الشكر والإمتنان لما قدَّمه هؤلاء مثل :

مشقل أرض = فخر بلده .

محب دعت هتمت = محب الوئام التام .

مشلك بنو عم = الداعم لشعبه .

وتشير النقائش الفينيقية التي عُثِرَ عليها في الإقليم إلى انتشار اللغة الفينيقية البونية لغة حديث فيه؛ حيث يذكر أرنوبيوس أنَّ الجرمنت كانوا يتكلمون اللغة الفينيقية البونية على أيامه(Arnobi us , Comm.ad. psalm,104) (260A.D)،وقد استمر استعمال هذه اللغة حتى وقت متأخر من العهد الروماني إذْ نجدُ القديس أوغسطين ينصح رجال الدين الكاثوليك بتعلم الفينيقية اذا أرادوا شرح أمور الديانة المسيحية للأهالي الليبيين[1].ولا شكَّ في أنَّه كان للثقافة الفينيقية القرطاجية ، أثرها في المنطقة الساحلية التي كانت أكثر تعرضاً لتيار الحضارة القرطاجية[2] ثم انتشرت اللغة والثقافة الفينيقية في المناطق الجنوبية عن طريق الأهالي.

---

(1) لمزيد من المعلومات حول استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في العصر الروماني : راجع مقالنا المنشور في مجلة آفاق تاريخية ، العدد الأول ، 1998 .

(2) (Romanelli ,P..LH(1968) ,p.134-35)

إنَّ آثار هذه الثقافة واضحةٌ في لغة الإقليم ، وهذا ما تؤكده النقائش البونية التي عثر عليها في هذا الإقليم . ففي نقائش وادي العمود حمل الليبيون الأسماء الفينيقية واستخدموا اللغة الفينيقية في الكتابة ، وخلال القرن الثاني الميلادي استخدموا الحروف اللاتينية في كتابة هذه اللغة كما أسلفنا. وفي مجال الدين استخدم الليبيون من سكان منطقة الجبل اللغة الفينيقية في كتابة النقائش الإهدائية المكرَّسة لآلهتهم باللغة الفينيقية مثل نقيشة الإله آمون في قرية الخضراء في ترهونة (IPT 76) . وفي المنطقة الساحلية نجد سكان المدن من عنصر (الليبيو ــ فينيقي) يعادلون آلهتهم بالآلهة الرومانية ويسجلون ذلك في نقيشةٍ إهدائيةٍ مكرَّسةٍ للإلهين الفينيقيين ملك عشترت والإله شادراب، وهما الالهان الحارسان لمدينة لبدة الكبرى ، كما كرست نقيشة فينيقية لإله الأرض (IPT 18)الذي كان من ضمن مجمع آلهة لبدة الكبرى ،كما تظهر النقائش معادلة الليبيين لإلههم قرزل بالإله الروماني ساتورن(شكل 11) (1982) (Elmayer,A. LS 144) الذي ورد اسمه في نقيشة أخرى (نقيشة رقم9 أسفل).

وفي مجال النظم الإدارية تسجل النقائش (IPT17) (شكل 6) الفينيقية هيئة الحكام في مدينة لبدة الكبرى والمؤلفة من القاضيين (الشفطم) ومساعديهما المحازيم الأربعة . ويبدو أنَّ عملها استمر حتى عهد هادريان . و تشير نقائش لبدة الكبرى إلى وظائف أخرى مثل الشحم المختص بالشؤون الزراعية (RT319) . وفضلاً عن ذلك فإنَّ النقائش (IPT17) تشير إلى وظائف أخرى كان يشغلها المحازم مثل صد شمر ديمن= المسؤول عن الخزانة وعن الأسعار والتسويق وهى في العادة واجبات المحازم (IRTp79-80) . و يشغل المحازم وظيفة أخرى(يقمك)=مسؤول الرياضة العامة (IRTp 51 n 21) . وتسجل النقائش وظائف دينية مثل:ادر كوهنم= الكاهن الأعظم (Elmayer,A.LS14(1984,93).وفى المجال المعماري قلَّد الليبيون الفينيقيين فى بناء المقابر والأضرحة المسلية و كتابة النقائش الجنائزية عليها،ويظهر ذلك بوضوح فى المباني الَتي تعود إلى فترة مبكرة والمشيدة في المزارع المفتوحة المقامة على النمط الفينيقي فى الشمال الأفريقي مثل أضرحة وادي العمود و نفد وجبيرة وهى مشابهة للضريحين الموجودين في صبراتة . و يرجع تاريخ أغلب هذه الأضرحة المسلية والمقابر إلى القرن الأول والثاني الميلادي . إنَّ انتشار هذه الأضرحة يدل بلا شك على تأثر الليبيين بالحضارة الفينيقية و خاصة الأسر الثرية التي تُعدُّ أكثر تأثراً بحضارة العنصر الأرقى كما أسلفنا.

وتؤكد الأدلة أنَّ أصحاب هذه الأضرحة من الليبيين وليسوا من عنصر(الليبوـــ فينيقى) وذلك أنَّ النقائش الموجودة على هذه الأضرحة مثل نقائش وادي العمود تدل على أنَّ أصحابها من الليبيين كما أنَّه لا يوجد ما يدل على أنَّ الفينيقيين أقاموا مستعمرات فينيقية في جنوب الإقليم.

و في الختام فإنَّه بالنظر إلى أهمية النقائش و لكونها مصدراً لا يرتقي إليه الشك فإنَّ الأمر يتطلب ما يلي:

1- إجراء عملية مسح شاملة لحصر المواقع الأثرية وما بها من نقائش وتوثيقها والتعريف بها ووضع خريطة لتحديد مواقعها .

2- إجراء عملية جرد وإعداد كشف شامل بالنقائش الفينيقية البونية الموجودة في المتاحف والمخازن وتلك التي لازالت في مواقعها.

3- جمع النقائش و خاصة المهمة منها وعدم تركها معرضة للتلف ولعوامل الطبيعة.

4- إنشاء متاحف في المناطق التي تحوى مواقع آثارية ودلك لحفظ الأثر والتعريف بها .

ملحق خاص بالنقائش الواردة في البحث :

النقائش البونية الواردة في هذا البحث أُعطيت نفس الأرقام التي ظهرت بها في مجلد نقائش طرابلس البونية (IPT) . كما أُعطيت النقائش البونية اللاتينية نفس الأرقام التي ظهرت بها في مجلد نقائش طرابلس الرومانية (IRT) . و قد قمتُ بإجراءِ دراسةٍ تحليليةٍ لهذه النقائش و ترجمة ما لم يترجم منها.

النقيشة البونية 1= IPT 20 (شكل 1)

عثر أوريجيما على نقيشة بونية تتكون من خمسة حروف كبيرة (إرتفاعها 12سم) محفورة على إحدى الدرجات التي تسبق القوس الروماني الموجود على قلعة رأس المرقب (جنوب غرب لبدة) (رومانيلي ، مرجع سابق).

ويذكر ديلا فيدا أنَّ النسخة التي استلمها من أوريجيما في(1912/7/12) لم تكن دقيقة (شكل 11) ويرى أنَّ السبب في ذلك ربما يعود إلى نسخ أوريجيما بعض الشقوق الموجودة في الحجر معتقداً أنَّها أجزاءُ من الحروف . قرأ ليفي ديلا فيدا هذه النقيشة على النحو التالي ووجد صعوبة في ترجمتها .

النص : أ س ر ش .

وقد حاولت قراءته وترجمته على النحو التالي:

النص : أ م ر ش ت

قراءة النقيشة : ام ر ش ت

ترجمة النقيشة :

عبَّر ليفي ديلا فيدا عن صعوبة ترجمة هذه النقيشة بقوله : " Naturalment non e il caso de tentare un interpretazione" ، غير أنَّني أعتقد أنَّ الحرفين الأولين يمكن قراءتهما على أنهما " أم " والأحرف الثلاثة التالية تكون كلمة " رشت " (= العظيمة) (DISO, p.283 n.15) ومن تكون الأم العظيمة سوى الإلهة تانيت[1] (Tanit) ، وعليه يمكن ترجمة هذه النقيشة كما يلي :

" الأم العظيمة" (تانيت . . .

النقيشة البونية 2 = IPT 24B (شكل 2)

تتكون هذه النقيشة من سطرين بونيين وهي عبارة عن ترجمة لنقيشة لاتينية من أربعة أسطر محفورة على حجر جيري رمادي اللون (0.82 × 3.16) يرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

النص :

1. ح ن ب ع ل م ي ش ق ل ا ر ص م ح ب د ع ت هــ ت م ت ز ب ح ش ف ط ا د ر
2. ع ز ر م ب ن ح م ل كــ ت ط ب ح ف ي ر ا ف س ب ن ا ر م ب ت م ف ع ل و ا ي ق د ش

قراءة النقيشة :

1. حنبعل ميشقل أرص محب دعت هتمت زبح شفط أدر
2. عزرم بن حملكت طابا حفى روفس بن ارم بتصات فعل ويقدس .

المفردات :

مشقل ارص= مزين (أو : فخر) بلده

---

[1] مع ملاحظة أنَّ الإكتشافات الحديثة دلَّت على أنَّ الإلهة تانيت فينيقية وليست ليبية حيث ورد إسمها في نقش عثر عليه مؤخرًا في سريبتا " الصرفند" قرية من مدينة صور ، يرقى تاريخها إلى القرن السابع / السادس ق.م وورد ذكرها في هذا النص مع عشترت ، لمزيد من المعلومات عن الإلهة تانيت راجع :

- J.B. Pritchard , Recovering Sarepta , A Phoenician city , New Jersey , 1978, p.104-108 ; Idem , " The Tanit inscription from Sarepta " dans Phöenizier im Westen , p.83-92 ;

كذا:احمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ،تونس:المعهد الوطني للتراث، 1993، ص 193-196 ، وكذا :

-Elmayer , A.F., "Statues of Libyans dedicated to one of the ancient Libyans Gods in the area of Tripolitania " BICS. 41 (1996) , 109-113

Ornator Patriae (IRT 275,318)

زبح = أضحية .

محب دعت = محب الوئام .

Amator Concordiae (IRT 318)

ترجمة النقيشة :

1. حنبعل فخر بلده محب الوئام التام قدَّم الاضحية القاضي والكاهن

2. بن حملكت طباحفى روفوس بن ارم على حسابه الخاص أنجز وكرس .

(أ) النقيشة البونية 3 = IPT 79 (شكل 3)

هذه النقيشة هي إحدى نقائش وادي العمود وهي النقيشة المحفورة على الضريح (أ) وهو الضريح الكبير في المقبرة الرئيسية بوادي العمود.

وحسب وصف السيدة ألوين بروجان فإنَّ الحجرة التي حفرت عليها هذه النقيشة موضوعة فوق الحلية الخاصة بالضريح الفخم (أ)، (الموصوليم) وتشير هذه النقيشة إلى المدفونين في هذا الضريح .وحجم حجرة النقيشة (0.5 × 1.06 م) والمساحة المخصصة لهذه النقيشة(39 × 29 سم).

وفي السطر الأول نجد أنَّ حجم الحروف كبير بعض الشيء(5.5سم) أمَّا السطور الخمسة الباقية فنجدُ أنَّ حجم الحروف(3.5 سم)والكتابة منتظمة وواضحة وهي أقل مستوى من تلك المكتوبة على آثار لبدة ونقيشة معبد آمون في المحيجيبة (IPT 76). والاختلاف الوحيد الجدير بالملاحظة هو أشكال الحرف "ح" (حيت) حيث تلتحم حروفه الوسطى واليسرى في حين تكون في العادة منفصلة.

وكما هو الحال بالنسبة لجميع النقائش البونية يصعب التمييز بين حرفي النون والتاء، والكتابةُ متصلةٌ عدا الكلمة الأولى من السطر الأول فهي مفصولة عن التي تليها بواسطة فراغ ، ويرجع تاريخ هذه النقيشة إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي . وتؤكد الأدلة الأثرية كالفخار الذي عثر عليه في الموقع هذا التاريخ.

النص :

1. [ق] ب ا ر م ق ن ا ت ا ت م ا ا ش ف ع ل م

2. م ع ص و ك ـــ ن ل ا ب ي ا ي م ر ر ب ن ج ع ط ي ط

3. هـــ م ص ل ي و ل ا م م ز و ط ب ت ج ع ت ي ع ن هـــ ن / ت ج ل ب ي

4. و ل ا ب ن ي و ل ا ش ت ي ع س ل ي ن / ت ب ت ي ن /ت كـــ د ع ص ن ب ن
5. ص ي و كـــ هـــ ن / ت ج ل ب ي ح ش ل ا ر ب ت ن م ن ف ل ع ب ت ص ت ي ب ن / ت م
6. ب ح ي ت ن م و ب ح ي ت ب ن ا م ا ر ش م واي ا ص د ن

قراءة النقيشة :

1. قبر مقنات أتما أش فعلم
2. ماصوكان لأبيا يمرر بن جطيط
3. همصلي ولأمم زوط بت جاتيان هتغلبي
4. ولأبني ولأشتي عسليات / ن بت ينكداصن بن
5. صيوك هتغلبي حش لأربتنم نفلا بتصتي
6. بحيتنم وبحيت بنام أرشام وياصدن

ترجمة النقيشة :

1. قبر ملك خاص (الذي) أقامه
2. ماسوكان لوالده يمرر بن جطيط
3. المصلي ولأمه زوط ابنة جاتيان التغلبي
4. ولابنه ولزوجته عسليان /ت ابنة ينكداصن (أو: يتداكصن) بن
5. صيوك التغلبي (أو النغلبي) ياللحزن على أربعتهم شيَّده على حسابه بني
6. خلال حياته وحياة ولديه اريشام وأياسدن.

شرح المفردات :

السطر الأول : قبر : ضريح وهي تحمل نفس المعنى في اللغتين العربية والعبرية ويتكرر في نقيشة (IPT 29.2)

مقنت : ملكية وهي نفس الكلمة في الآرامية القديمة وفي العبرية مقنه (Migneh) (Tomback , Lexicon , p.197) وفي العربية من يقتني = يمتلك .

اتما ('TM') : بالتمام ،مطلق، وعليه فإنَّ "مقنت اتما " تعني ملكية تامة.

أش : الذي، ضمير وصل (Tomback , Lixcon , p.34)

فعلم : فعل + م = فعل بمعنى أقام وحرف الميم هنا ضمير الغائب مذكر مفرد في محل نصب مفعول به عائد على القبر (IPT, p.118).

السطر الثاني : لأبي (L'BY) : ل + أبي = لوالده .

السطر الثالث: لأمم (L'MM) : ل + أم + م = لأمه ، والميم الأخيرة ضمير للغائب مفرد مؤنث. هتغلبي (HTGLBY) : التغلبي وهو اسم لقبيلة عربية لازالت تحمل هذا الاسم حتى الآن وهي موجودة في العراق والسعودية. همصلي (HMSLY) : المصلي وهو اسم عربي لازالت تحمله بعض الأسر والعشائر في ليبيا.

السطر الرابع: ولأبني ولأشتي (WL'BNYWL'ŠTY) : لأبني ولزوجتي.

السطر الخامس: حش لأربعتنم : حش = يقاسي الحزن(Tomback, Lexicon, p.115)، لأربعتنم = لأربعتهم حيث تتكون من الحرف ل + أربعتنم والخاصة بضمير الغائب الجمع في صيغة استخدم فيها حرف "ن" وعبارة حش لاربعتنم= يا للحزن على أربعتهم (Tomback, Lixcion.115) نفلا (NPL') : يبدو أنَّها صيغة محرَّفة للفعل نفعل (أو تقال) ضمير الغائب مفرد مذكر تام ، وقد تكرر هذا الفعل في عدة نقائش عثر عليها في إقليم طرابلس مثل قصر شميخ في وادي البئر قرب سوف الجين (IRT 8) (Vattioni, Aug. 11(1971), p.184) ، كما تكرر في نقيشة أخرى من مالطا (CIS, 1.124) .

بتصاتي بتم (BTSTY BTM) ، بتصاتي : تردد في النقائش التي عُثِرَ عليها في إقليم المدن الثلاث في صيغة بتصاتم بكتابة الميم بدلاً من ي (Y) وهي تعني على حسابه، وكلمة بتم فهي تعني "تم" . (أو أنجز) (IPT 76.1).

السطر السادس : بحيتنم (BHYTNM) = في حياته ، وبحيت (WBHYT) = و+ بحيت = الواو حرف عطف ، بحيت : في حياة.

بنام (BN'M): أولاده (أبناؤه).

وهكذا فإنَّ كلمة حيت في الفينيقية هي حياتم (haytm) وفي العربية حياة ، وقد تكررت "حيت" في نقيشة بونية أخرى عُثِرَ عليها في إقليم المدن الثلاث (IRT 828.3)في صيغة " baiem " (IPT, p.119). و كلمة بحياته تعني خلال فترة حياته.

النقيشة البونية 4 = IPT 86 (شكل 4) :

عثر على هذه النقيشة في القصبات بمنطقة مسلاتة (شرقي جبل ترهونة) والنقيشة مكتوبة باللغة البونية على شقفة من وعاء من الطين (الصلصال) الأحمر، وهي على شكل شبه منحرف والنصف الأعلى منها أكبر قليلا من الجزء الأسفل(14×16.5 سم) والارتفاع (86سم) والشقفة الكبيرة سليمة والكتابة بحبر أسود وهي تتكون من ثمانية أسطر أفقية

ومفصولة بمسافات منتظمة ، والكتابة واضحة ودقيقة وجميع الحروف تظهر بوضوح باستثناء حرف الزاي، ويبدو أنها كتبت بيد خبير وهي مشابهة لتلك المنقوشة على الحجر.

ورغم أنَّ الكتابة لازالتْ واضحةً إلا أنَّ أجزاءَ هنا وهناك قد بهتت بسبب اختفاء الحبر مما أدى إلى اختفاء بعض الحروف فضلاً عن ضياع أجزاء من السطر الأخير.

وكما هو معروف عن الكتابة البونية فإنَّ حرف النون (ن) والتاء (ت) يصعب التمييز بينهما وكذلك حرف الألف (أ) والميم (م) في بعض الأحيان .

النص :

1. [.] م ي كـــ ا ا ت ن ي م ط م ا ل كـــ ن ش ل م ف ت ح ا ش ع م
   ا ح ر ا ب كـــ ا و ي ش ق ل [ا]
2. ل د ن ع ط ا ع س ر كـــ كـــ ر ا ص م ق و ا ت ا / و م ن ا د ن ع ط
   ا ب ع ت ا ت ا ش ع م
   ع ش ي ق ب هـــ ل ع ل ا ت ق ا م ب ب ع ت ا ت هـــ كـــ ر س و
   ات كـــ د ي كـــ ر ي ا ت هـــ ش د
   ش ب ن ا ح ن ا ب ن م ت ن ا ش ل م ب هـــ ج وع ر ب ع م ق ت
   ش هـــ ت ع م ا ر و كـــ م س ت
1. ش ح [ع] ت ش ي م كـــ ر ا ب هـــ ش ل ش م ل ي ر خ م ن ا ح م
   ش ف ر ص م ل ع ب ر ب ن/ت ا ي ع ب ر
2. . . ن/ت ل ف ع ن ا هـــ ب ع ت و ب/د ن/ت ر ا ت د ي ج ا/م ع
   ي ل كـــ هـــ ت م ا ت ف ر ي كـــ ن ش ل م
3. ش ل ح . . . . . ص ي ف ر م ا ر ر م [ب] هـــ م ق م ب . .[.]
   م ن/ت . ن/ت ب ج ي د ر ي
4. ي ت ن . ش . . . . ن/ت [ ] كـــ ن ش ل م

وقد قام ليفي ديلافيدا بقراءة هذه النقيشة وترجمتها على النحو التالي :

قراءة النقيشة :

1. [.] ميكا أتنيم طما ليكون شلم فتحا شعما خراب كا وشقل[ا] .
2. لد ناطو عصر ككرا سمق وأتى دناطو بعت أتى شعم .

3. عشيق بهللات قام ببعت أت هكرس واتكد يكرى أت هشد .
4. ش بنا حانو بن متنو شلم بهجور بعمقت ش هتمر وكمصت .
5. ش حيت ش يمكرا بهشلشم ليرخ منا خمس برسم لعبر بنا يعبر .
6. . . . . ن/ت لفنا هبعت و ب / د ن/ت ر أت ديقما يلك هتم أت برى ـــ كن شلم .
7. شلخ . . . . . سيفرم أررم [ب]همقام ب. . .†م ت/ن . ن/ت بجيدرى.
8. يتن ث . . . . . ت/ن . . . . كن شلم .

ترجمة النقيشة :(كما جاءت عند ليفي ديلا فيدا) :

1. تقارير شهر أتنيم قسم منها (؟) مطلوب تسويتها (؟). فتح مخازن المواد الجافة ووزنت .
2. لدوناطو عشرة تالنت من مادة جافة صالحة للأكل (زبيب ؟) ودناطو أتى (أو : دفع) في الوقت الذي جاء فيه هنا.
3. ربح المزاد وتمسك بالسعر مع الفائدة (؟) وقرر شراء المزرعة
4. الخاصة بأبناء حانو بن موتنو ، من . . . . (؟) في وادي النخيل ، وفقا . . . .
5. الوقت الذي سيبيعون فيه الثلاثين من الشهر ، دفع خمسة براسيم لينقلوا إلى بيته (؟) (ابنه ؟) سينقل ؟ .
6. . . . . قبل الدفع ؟ و . . . فائز ؟ . الكل (أو: التمام) ستكون صفقة مربحة .
7. أرسل . . . طيور مترليه . . . (؟) (في) المكان (. . . .) عبر جدارى (؟) .
8. أعطى . . . . سوى .

على الرغم من أنَّه ليس لديَّ ما أضيفه إلى ترجمة الأسطر الأربعة الأولى، إلا أنَّ كلمة يكري البونية ينبغي ترجمتها "يكري " كما هي في اللغة العربية وليس "يشتري" كما ترجمها ديلافيدا.

وفي الأسطر التالية يوجد بعض المفردات أقترح ترجمتها على النحو التالي :

السطر الخامس كلمة رقم (9):

بنا( )وهي تعني "إبنه" .

(CISI.149(4);Cherh.II,9(DISO,p.37.n.3

السطر السادس كلمة رقم (1):
ختن (ابن بالتبني = إبنه من زوجته = اللاتينية SOCER ، وهي كما في العربية كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ (مختار الصحاح ص169).
السطر السادس كلمة رقم (4):
يحتمل أن تكون عربن (Arbn) = ضمان (أنظر النقيشة البونية IPT = 37) ففي اللغة الإغريقية كما في اللغة الفينيقية توجد كلمة عربن ، وفي اللاتينية عرابا (Arraba) (DISO, p.221,n.5,27) = تعني يحتفظ بمال كضمان.
السطر السادس كلمة رقم (6):
ديقما (Digma) الإغريقية وهي تعني "اتفاق".
السطر السادس كلمة رقم (7):
يلك (Ylik) : يتقدم، يصل إلى
(Poen.v.934 ; Szyner, M., p.78 ; DISO, pp.65,66.)
السطر السادس كلمة رقم (10):
فنى = قبل (DISO, p.230) ولا تعني مثمراً كما ترجمها ديلافيدا.
السطر السابع:
صفرم (Syifrm) = طيور ، مفرد صفر
(Tomback, R.S., Lixcon,p.282)
السطر السابع:
الحروف التي تسبق كلمة صفرم تبدو كما لو كانت كلمة ثمن = ثمانية
(DISO, p. 309 , n.7)
السطر السابع :
أررم (RRM ’) وهي كلمة بونية تعني صنعية، وعليه فإنَّ صفرم أررم تعني "طيور صنعية " تستخدم لجذب الطيور الحية لاصطيادها(Tomback, R., Lexicon. P.33) .
وعليه يمكن ترجمة هذه النقيشة على النحو التالي:
1. حساب شهر أكتوبر ؛ قسط واجب السداد . فاكهة مجففة هنا فتحت وتم وزنها.
2. لصالح دوناطو و (هي) عشرة طالن من الفواكه المجففة وجرى هذا في الوقت الذي جاء فيه دوناطو.

3. رابحاً في المزاد العلني ومتمسكاً بالسعر مع (الفائدة) (لصالحه) ؛ وقرر أنْ يؤجر أرض (مزرعة)
4. حانو بن موطنو الممتدة من وادي النخيل .
5. في نفس الوقت الذي أجر فيه الأرض في 30 من الشهر ، دفع خمسة أكياس من التمر على أن تؤول إلى ابنه (وابن زوجته)
6. ....وقبل الدفع كان هناك ضمان مع عقد اتفاق قبل الاتفاق النهائي
7. أطلق....(و)....(وثمانية....)طيور خاصة بجلب الطيور الحية في المكان من داخل أسواري.
8. أعطى . . . . دفعت مقابل . . ..

شرح المفردات :

السطر الأول : [ت] ميكا و [ش] ميكا وهي تعني "يعضد" أو "يساند"(IPT, p.132) ، أتينم (TNM') = شهر أكتوبر (Cf.Tomback, Lexicon, p.39) ، تما (TM') = قسم ، جزء ، لكن شلم (LK N ŠLM) = واجب السداد (IPT, p.132) ، فتح (PTH) = "فتح" كما هي في اللغة العربية، شعم خراب (Š'MHR'B) = شعم = المخازن، خراب = قحط ، جفاف. كا (K') = الذي ، (قارن IPT, p.132 ; PPG²S 248) ، ويشقلو = و + شقلو = "و" حرف عطف ، يشقلو = يزن.

السطر الثاني : دوناتو (D'N'T') "اسم شخص" ورد في نقائش بونية أخرى عثر عليها في الإقليم ، (قارن : IPT 17.5). عسر (ASR) = عشرة ، ككرا (KKR') = تالنت ، سمق (SMQ) = مادة جافة (زبيب) ، وأتى دوناطو (W'T'DN'T') = أتى دوناطو ، بعت (B'T) بعت = سعر، واتى شعم (Š'M ' T') = وجاء في نفس الوقت.

السطر الثالث: عشيق (SYQ') : كلمة بونية بمعنى "رابحاً ، فائزاً " ، بهلالوت (BHL'L'T) = بيع بالمزاد العلني ، قم بيعت (Q'MBB'T): قم (QM) = قائمة ، بعت (B'T) = تسعيرة وهي قريبة من العربية " قائمة البيع أو التسعيرة " ، ات هكرس (THKRS') = هكرس = الربح (أو الفائدة) (IPT p.133) وهي كلمة بونية لا زالت تستعمل في اللهجة الليبية حيث نجد كلمة يكرز باستعمال حرف الزاي بدلا من حرف السين وهي تعني يحصل على أو يكسب ، وقد ترجمها ليفي ديلافيدا على أنها تعني "فائدة " ويرى أنها ترجمة حرفية لكلمة خرسيس(Χρήσίς) الإغريقية التي تعني "فائدة" (حا . م (1964) (Or.n.5,33 ،

واتكد (W'TKD) : و+ اتكد = و :حرف عطف + اتكد : يقرر (10),(8).Ser .ANLR .Cfr) (1955), pp.557-8 ; IPT, p.134) ، يكري (YKRI) : ترجم ليفي ديلافيدا هذه الكلمة على أنها تعني (Aquistare) "يشتري" ، "يكسب" ، إلا أنَّ هذه العملية تدل على أنَّ الاتفاق قد تمَّ بشأن عملية "تأجير" وليس عملية "شراء" حسب ما ورد في السطر الأول أنَّ الحساب يجري تسويته شهرياً كما أنَّ الكلمة "يكتري" في اللغة البونية (Tomback, Lexicon, p.149)وكذلك في العربية تعني يؤجر.

السطر الرابع : ش بنو حانو، بن مطنو (Š BN' HN BN MTN') = أبناء حانو بن مطنو. ش لمب هقعر (Š LMBHGW'R) = ش + لمب+ هقعر، ش = التي، لمب = جزء من، هقعر = الحوض، بعمقت = بوادي، هتمر = (ŠHTM'R) : ش + هتمر، هتمر = النخيل : بعمقت ش هتمر = بوادي النخيل. كمست (KMST).

السطر الخامس : (Š'HT): ش = الذي فيه. خيت = وقت ، ش يمكرو (ŠYMKR') : ش+ يمكر : ش= الذي يمكر= يبيع، يؤجر، يرخ (LYRH) = ل + يرخ = يوم ، منو (MN') = يدفع ، فرسم (أو: برسم) ترجم البعض هذه الكلمة على أنها نوع من العملة (Tomback, Lexicon, p.272, IPT, p.134) إلا أنَّ معنى هذه الكلمة هنا قد يكون "أكياس من التمر" وهي لا زالت مستعملةً حتى الآن في اللهجة الليبية، فضلا عن أنها تتفق في المعنى مع السياق العام للنص (Context)، حيث أنَّ عملية التأجير تمت مقابل دفعات من فاكهةٍ جافةٍ وهو التمر ، كما أنَّ المنطقة يبدو أنها تشتهر بأشجار النخيل الذي ورد في النص. لعبر (L BR' = ل + عبر = عبر : ينقل(1) .

السطر السادس: لفنا (LP'N') = "قبل" حيث كلمة فنا (P'N') تكررت في نقائش أخرى عثر عليها في الإقليم (IPT, p.135)

النقيشة البونية 5 = IPT 31 (شكل 5) :

النص :

1. ل ا د ن ل ش د ر ف ا و ل م ل كـــ ع ش ت ر ت ر ب ت ا ل ف ق ي م ا ش . . . [

2. هـــ ا د ل هـــ كـــ ت ع ر ت ع ل ب ا ط ن ا ا ش ن د ر و ط ي ن ا ا د ر ب ع ل ب ن كـــ [

(1) وهي تعني في اللغة العربية الانتقال من مكان إلى آخر عبر حاجز طبيعي كالنهر مثلاً .

3. ب ن ب د ع ش ت ر ت م ف ق د ب ي رخ ح ي ر ش ف ط م ب ا ل ف ق ي ا ر ش و ب د م ل ق [ر ت
4. م ا ش هـ ـ ن ح ش ت ع ل م ا ك ـ ـ ن ا ا ي ت ك ـ ـ د ا ا د ر ا ا ل ف ق ي و ك ـ ـ ل ع م ا [ل] ف [ق ي
5. ل ا د م هـ ـ ا ل ا د ر ب ع ل ا ت م ش و ت م ب ت ك ـ ـ ل ت م ق م ل ف ي ك ـ ـ ل ع ر ك ـ ـ ا م ل ا . . . .
6. ع ل ن م و ل م ح ت ك ـ ـ ل ن ش ا ي ع ج ن و ب ص ع م ن ع م م ا ت م ا ن ش ا و ن ب ص ع ل م ل ك ـ ـ ت هـ ـ م ق [م
7. و ل م ح ت ب /ك ـ ـ م ي ف ا ا ي ب ل ا م ا ت ا ب ت م و ا ت ت ا ر م ع ل ع ر ب م ل ك ـ ـ ت هـ ـ م ق م ا ت
8. ك ـ ـ ل هـ ـ ب ع ت ك ـ ـ ش م ع ا ق ل ا ب ر ك ـ ـ ي ا

قراءة النقيشة :

1. لأدن لشدربا ولملك عشترت ربة البقي ماش . . . . [. . . .
2. هادل هكتارت على باطنا أش ندر وطينا ادربعل بن كـ [... بن ملقارت]
3. بن بد عشترت مفقد بيرخ خير شفطم بالفقي أرش وبد ملقارت
4. ماش هنحشت على ماكنا يتكدا ادرا الفقي وكل عم الفقي
5. لأدم هالأدربعل أت مشوتم بتكلت مقم لفي كل عركام
6. علنم ولمحت كل نشا يقن وبصام نعمم ات مانشا ونصبا لملكت همقم
7. ولمحت ب / كميفا ييلام ات ابتم وات تارم على عرب ملكت همقم ات
8. كل . . . هبات كشمعو قولا بركيا

ترجمة النقيشة :

1. إلى الإله شادراب والى ملك عشترت حارسي لبدة [هذا] تمثال . . .
2. مع الحامل فوق قاعدته الذي أهداه أدربعل بن كبد ملقارت ك [
3. بن بد عشترت كرسه في شهر حير في عهد قاضي لبدة أريش وبد ملقارت (بن...)
4. والتمثال البرونزي على قاعدته نبلاء وشعب لبدة قرروا اعطاءه
5. إلى ذلك الرجل أدربعل مع المساهمات الخاصة بتكاليف المعبد طبقا لتقديراتهم .
6. بالإضافة إلى ذلك تسديد (؟) جميع المساهمات والأرباح (؟) مع ما تمَّ المساهمة به

7. أن يدفع فقط لتزيين مكان المعبد وما يحيط به (؟) وكضمان لذلك.

8. مع جميع المصاريف حيث سمع دعاءه واستجاب له .

شرح مفردات النقيشة :

السطر الأول : لادن:" الاله " وهي تشير إلى الإله ملك عشترت والإله شادراب (قارن KAI , II, pp.97,124) وفي العادة يطابق الإله ملك عشترت في اللاتينية بالإله هيركيوليس وهذان الإلهان هما الحارسان لمدينة لبدة(Di Vita ,A. or.N.5.37(1968) p.201.11 .

ربت RBT = آلهة (جمع مذكر) وهي تعني الإلهين الحارسين لمدينة لبدة .

ماس M 'Š : كرسي وقد تكرر في نقيشة أخرى في معبد الإله آمون في المحيجيبة (رأس الحداجية) في ترهونة (IPT 76.1) .

السطر الثاني: هـــ : أداة تعريف = ال ، دل(DL)=مع (Tomback, Lexicon , p.72, IPT 76، كتارت KT'RT : وهو في العبرية كوثيريت = تاج العمود (KAI 10.6 ; IPT, p.76) . أش (Š) = الذي (DISO , p.26) ، ندر = نذر (DISO , p.175) ، أدر: قادر ، قوى (Tomback, Lexicon , p.6) ، أدربعل : إسم فينيقي تكرر في نقائش أخرى عثر عليها في إقليم المدن الثلاث (IPT.19;31.2).

السطر الثالث: MPQD ترجم ليفي ديلا فيدا هذه الكلمة على أنها تعني مشرف، مكلف (Incaricato) (RSO,39 (1964) p.307)، إلا أنَّ كلمة "مفقد" تعني في الفينيقية "كرس" وهي تتمشى مع مضمون النص بخلاف ما أورده ديلافيدا من أنها تعني مشرف . حير (HYR) تعنى شهر حير (Tomback, Lexicon , p.6) ،بيرخ حير : ب +يرخ = في + شهر حير= اسم الشهر، أرش وبد ملقارت : أسماء فينيقية تكررت في نقائش أخرى من الإقليم . (قارن IRT 79 ; IPT 17) .

السطر الرابع : ماش هنحشت : ماس + هنحشت = تمثال + برونزي = تمثال برونزي (IPT 77)،ماكنا (M'KNA) = يضع ويثبت، يتكد (YTKD) : وهي كلمة فينيقية تعني قرر أو أكد القرار وهى مشتقة من الجذر أكد (Levi della Vida ,RSO,39,(1964), p.307)أدرا الفقي (LPQY' ' DR')=سادة لبدة،وكل عم الفقي M' LPOY›(WKL) = وكل شعب لبدة.

السطر الخامس : لادم (L 'DM) قرأ ليفي ديلافيدا هذه الكلمة في البداية على أنَّها لأدن (RAL (8),10 (1955) p.550-61) وهي تعني السيد أو الإله ، إلا أنَّه عاد مرة أخرى وقرأها لأدم بدلاً من لأدن (L 'DN) على أنها تعني رجل (IPT, p.78)، هـــ (H`): ذلك ، لادربعل

(L'DRBAAL) : إلى ادربعل وهو إسم فينيقي ، أت (T') تستعمل بمعنى مع وأحياناً كضمير المخاطب أنت (You) ، حول استعمالاتها انظر (Tomback, Lexicon ,) p.38 ، مشوتم (MŠWTM): وهي تعني دفعات Payments (IPT,p78.a)،مقم (MQOM):تعني مكان مقدس أو معبد وتكررت في نقائش بونية أخرى عثر عليها في الإقليم (26.2; 22,86.7 ; IPT 9).

عركام (RKM'): تقديرات (Tomback, Lexion , p.257) ، لفي (LPY) طبقا، وفقا (IPT 27.8 ; IPT,p.79).

السطر السادس : لمحت (LMHT) = محى ،شطب، ألغى، سدد (KAI, 60.2 ; DISO, p.147 ; IPT 80) ، نشا (NŠ') = أعطى ، قدم .

بسعم نعمم (BŞ 'M N'MM) = بسعم +نعمم = أرباح + طيبة (DISO, p.41) ، نبصا (NBŞ') = مساهمة Contribution وهي مساهمة في التكاليف المتعلقة بالمعبد .

لملكت همقم = ل + ملكت + همقم = ل + أعمال المعبد .

السطر السابع : لمحت = ليدفع ، يسدد . بيميفا (BMYP') = تزيين . أبتم (›BTM W›T›RM) : أبتم = بيوت، وهي تعني بيوت الإله أو معابده ، كما تعني كلمة أب = والد أو وسيط . تأرم (T ‹RM) = جمال، حسن . عرب (‹RB) = ضمان ، رهن.

النقيشة البونية (رقم 6 = IPT 17) (شكل 6) :

وهذه النقيشة البونية المحفورة على الكراسي الحجرية الستة بحمامات هادريان ، وتتكون من ستة أسطر ، يلاحظ أنَّ السطر الرابع منها قد تضرَّرَ كثيراً . ويرجع تاريخ هذه النقيشة إلى عام 180 م. وعثر أيضاً في نفس المكان على كرسيين من الحجر الجيري (0.80 X 0.70) محفور عليهما نقيشة لاتينية (IRT 599)

(a) Iuttaph Domitius Sufes sus P(ecunia) fa (ciendum) C(uravit).

(b) Aediles s(ua) P(ecunia) d(ederunt).

النص :

1. ن ف ع ل أ ش ش هـــ ي ش ب م أ ل أ ب ش ت ش ف ط م ع ب د
   م ل ق ر ت ط ب ح ف ى و ا ر ش هـــ ف ر ب ت م ن م د ى ن ر ى ا
2. م أ ت و ش ل ش م و ش ل ش ب ت م ت م ن م د ن ع ر ي أ ش م
   ن م و كـــ ن / ت د ر م ت ش ع ل م ب ع ن ش م ا ش ب ص د .

3. ع ل هــ م ح ز م أ ش كــ ن أ ب هــ ش ت هــ ي و ت م ن م د ن ع ر ي أ ح م ش م و ش ن م و[.
4.] أ / ع كــ / ب ن / ت م ق م [.
5. ع ل هــ م ح] ز م ق ع ن د د أ و د ن ط أ ي ش ب م أ ر ب ع ف ع ل أ ب ع ن ش م ع ر كــ ت أ ش ع ل هــ م ح ز م أ د ن .
6. ب ع ل ب ن ح ن ب ع ل ص د ش م ر ع د ي م ن و ح ن أ ب ن أ ر ش م ي ج م ع كــ

قراءة النقيشة :

1. نفعل شش هيشبم ألا بشت شفطم عبد ملقارت طباحفي وارش هفرب تمنم دينارياء.
2. مات وشلشم وشلش بتم تمنم دينارياء شمنم وكندرم تشع لمب عنشم أش بصد .
3. على همحزيم أش كنا بهشت هى وتمنم دينارياء حمشم وشنم و [.
4.] أ / ع ك / بن / تمقم .
5. على همحزم قانديدو ودناطو يشبم أربع فعلو بانشم عركت أش على همحزم أدن.
6. بعل بن حنبعل ــ صد شمر عد يمن وحانو بن أرشم يقمك .

ترجمة النقيشة :

1. هذه الكراسي الستة صنعت في عام القاضيين (الحاكمين) عبد ملقارت طباحفى وعريس هفرت (أو : الرب)
2. كلف ثمنهم مائة وثلاثة وثلاثين ديناراً وكلف صنعها 80 ديناراً، وكندرم مقابل الغرامات أو الاشتراكات التي وضعت جانبا .
3. في عهدة المحازيم الذين كانوا في السلطة في تلك السنة والتي بلغت 52 ديناراً .
4. (جزء مفقود من سطر آخر؟...كرسيان سددت تكاليفهما من الغرامات (أو : الاشتراكات) وذلك طبقاً للتقديرات التي وضعت .
5. بإشراف المحازيم كانديدوس ودوناتوس؛ أمَّا الكراسي الأربعة الباقية فقد سددت تكاليفها من الغرامات (أو الاشتراكات) طبقاً للتقديرات التي وضعت بإشراف المحازيم ادن ــ .
6. بعل(Adnb˘l) أمين الخزانة وحانو بن أرشم مسؤول الرياضة العامة .

ترجم ليفي ديلا فيدا كلمة بصد في السطر الثاني على أنَّها (da parte) جانب. ,.Riv.Trip) (III, 1927,p.103 إلا أنَّنا نعلم أنَّ مبلغاً من المال قد جمع دخلاً من الغرامات أو الاشتراكات ثم حفظ في مكان ما ؟ تحت إشراف المحازيم . وفي العادة يودع الدخل الحكومي في الخزانة وهذا يبعث على الاعتقاد بأنَّ مصطلح بصد (BṢD) يعني في الخزانة وهو أيضا يعني ثروة . (DISO, n.17,p.242)

صد شمر دمن = SD + SHMR DYMN

صد ṢD = خزانة

شمار SHMR = حارس ، مشرف (DISO ,p.310)

دمن DYMN = ثمن (DISO, p.59)

وعليه فإنَّ مصطلح صد شمر دمن يعني أمين الخزانة والمسؤول عن الأسعار وشؤون التسويق . (Cf. IRT , p.79-80)

أمَّا كلمة يقمك YGMK فقد تكون مشتقةً من الكلمة الإغريقية gymnasiarque التي تعني شخصاً مهما مسؤولاً عن الرياضة العامة (DISO, p.51 , N.21) . وبطبيعة الحال فإنَّ مَنْ يتولى مهمة الإشراف على المؤسسات الاجتماعية العامة تقع تحت إشرافه مباني الرياضة العامة في المدينة كالمسارح ومضمار السباق وربما الحمامات العامة حيث عثر على هذه الكراسي في حمامات هادريان.

وعلى الرغم من أنَّ المحازيم يعملون معاً فإنَّهم يشغلون وظائف ذات أنشطةٍ واختصاصاتٍ مختلفة . وإلى جانب تلك الوظائف صد شمر دمن (ṢDSHMR DMN) ويقمك (YGMK) فإنَّه يحتمل وجود وظائف أخرى مثل تلك الخاصة بالشؤون الزراعية والري والأمن والعبادة. والقاضيان والمحازيم في لبدة يجري انتخابهم سنوياً من قبل الشعب وهم بطبيعة الحال من الطبقة الأرستقراطية ومن الشخصيات البارزة في مدينة لبدة .

وكما سبق أنْ ذكر فإنَّ بعض الشخصيات البارزة من ارستقراطية لبدة كانوا يقيمون المشاريع العامة على نفقتهم مثل السوق العامة 8 ق.م(IRT 319)والمسرح/2/1م(IRT 222) والسوق الثاني 12/11م (IRT 324) وكان شعب لبدة ، اعترافاً بالجميل ، يسبغ عليه ألقاباً تشريفية مثل مزين بلده (Ornator Patriae) (318، IRT 321) ومحب وطنه (Amator Patriae) (IRT 347) قارن(IRT p.80 .).

وعلى أية حال فإنني أرى أنَّ الترجمة الصحيحة للسطرين 2، 6 هي كما يلي :

1. كلفة إجمالية 133 ديناراً سدِّد منها ثمانون ديناراً وتسعة كندرم (DISO, p.123 , n.1,2) من الغرامات (أو : الاشتراكات) التي كانت متوفرة في الخزينة .

2. أدينبعل بن حنبعل أمين الخزانة وحانو بن أرشام المسؤول عن الرياضة العامة .

التعليق :

إستنتج ليفي ديلا فيدا من دراسته لهذه النقيشة أنَّ تاريخ هذه الكراسي يرجع إلى عهد الانطونيين، وأنَّه جرى نقلها من مكانها الأصلي إلى حمامات هادريان خلال عملية الترميم التي تمت في العهد السفيرى[1]، في حين يرى كل من ج . رينولدز وورد بيركنس احتمال إعادة استعمال هذه الكراسي في حمامات هادريان[2] . أمَّا رومانيلي فيرجع تاريخ هذه النقيشة إلى عهد هادريان أو إلى فترة لاحقة[3]. ونحن نتفق مع رومانيلي في إرجاع تاريخ هذه النقيشة إلى عهد هادريان وذلك للأسباب التالية :

أولاــ أنَّ جميع هذه الكراسي قد تمَّ صنعها في نفس السنة التي حكم فيها كل من القاضيين عبد ملقارت طبا حفى وعريس هفرب .

ثانيا ــ يدلُّ شكل هذه الكراسي وحجمها على أنَّها صنعت لاستعمالها في مكان مثل حمامات هادريان ، وذلك أنَّ حجمها وعددها لا يناسب مكاناً آخر في لبدة الكبرى عدا هذه الحمامات كما نعلم حتى الآن .

ثالثا ــ أنَّ حجم وعدد هذه الكراسي مناسب للغرفة الكبيرة الموضوعة فيها بحمامات هادريان.

رابعا ــ أنَّ ذكر هذه الكراسي في نقيشة واحدة يدل على أنها صُنعت خصيصاً لوضعها في مكانٍ واحد عام وهو حمامات هادريان .

ومما يجدر ذكره هنا وجود صفٍّ من خزانات المياه تقع جنوب الحمامات عُثِرَ بالقرب منها على نقيشةٍ[4] يرجع تاريخها إلى عام 119 / 120م. وأنَّ شخصاً يدعى كوينتوس سيرفيليوس كانديدوس قام بمد لبدة بالمياه (ربما بواسطة قناة) وذلك على نفقته الخاصة .

---

(1) Riv. TrIP ., P.99 .

(2) IRT 599 .

(3) Romanelli . Lepcis Magna, 1925, P.24 ,N.2 .

(4) IRT ,357 .

وكما نعلم أنَّ حمامات هادريان كانت قد أُقيمت في عام 126 / 127 م خلال نفس الفترة التي ظهر فيها مشروع المياه هذا ، وهو ما يبعث على الاعتقاد بأنَّ كانديدوس صاحب مشروع المياه هو نفسه المحازيم الذي يحمل نفس الاسم و ذكر في نقيشة الكراسي الستة[1]. ويمكن أنْ نتفق مع رومانيلي[2] على أنَّ تاريخ هذه النقيشة يعود إلى عهد هادريان أو إلى فترةٍ لاحقةٍ وتشير هذه النقيشة إلى استمرارية نظام الشفطم في لبدة الكبرى حيث يظهر القاضيان على رأس هرم السلطة في حكومة المدينة،كما أنَّ المحازيم (MHZM) يمارسون اختصاصاتهم مثل إدارة الشؤون المالية وتحصيل الإيرادات (IRT 599) = (IPT 17) وتوفير المواد والمعدات للأسواق (IRT 498,590) .

إنَّ جميع هؤلاء المسؤولين هم من سكان لبدة المحليين وهم لا شك من أفراد الطبقة الأرستقراطية ومن الأثرياء في المدينة.

وعليه يمكن أنْ نستنتج هنا أنَّ لبدة الكبرى قد احتفظت بمؤسساتها الدستورية القديمة تحت الحكم الروماني،كما كانت تتمتع باستقلال ذاتي واسع و لم تتدخل السلطات الرومانية إلا في حدود ضيقة حتى بعد أنْ تحوَّلت هذهً المدينة إلى مستعمرة عام 109م، وربما كان الحال كذلك بالنسبة للمدينتين الأخريين ويات وصبراتة غير أنَّنا لا نملك الدليل على ذلك حتى الآن كما أنَّنا لا نعرف من أوقف العمل بهذا النظام .

وتوجد نقيشة لاتينية (IRT 396) من لبدة تشير إلى أنَّ حمامات هادريان قد جرى ترميمها من قبل دومفير كوينكوينياليس (Duumvir Quenquenalis) اللذين حصلا على تخويلٍ من الإمبراطور بالإنفاق على ذلك من الإعتماد المخصَّص لمشاهد مصارعة المجالدين (Gladiatorii) في المسرح .

ولا توجد أية إشارة في هذه النقيشة إلى نظام الشفطم كما لا توجد أية نقيشة أخرى تشير إليه بعد هذا التاريخ[3] .

وعلى أية حال فإنَّ التنظيمات الداخلية لمستعمرة لبده الرومانية أصبحت بمرور الوقت صورةً مصغرة لتلك التي كانت موجودة في جمهورية روما[4] ، حيث كان هناك اثنان من

(1) Ibid ,599 .
(2) Lepcis Magna ,op . cit, P .
(3) CIL .VIII ,14=10994=22673=IRT 595,Elmayer,A.F ,TRE, 1997,P .176 .
(4) Di Giovani,Tripoli,II,P.43,Elmayer,A.F. TRE..P176 -7 .

كبار الموظفين[1] (Duoviri) يجري انتخابهما سنويا من قبل مجلس الشعب، واثنان من المساعدين يسميان إيدليس[2](Aediles) مكلفان بالإشراف على تسيير الشؤون الإدارية وكويستور (Quaestor) لتسيير الشؤون المالية يساعدهم مجلس من أثرياء المواطنين[3] (Ordo et decurionem).

النقيشة البونية اللاتينية رقم(7) (IRT 886F):

عثر على هذه النقيشة في مقبرة تريبونات بئر دريدر .

النص:

1- IVVIVS NASIF
2- TRIBUNIS [BYM]
3 - SIR ABAN BYN
4 - IYEIHAN RIRA
5 - CHAN B [AL] MSA
6 - RASTHIE VY MYSY
7 - RTHIM BAL SEM RM
8 - SABSI BEN MYCNE
9 - I SABSY[V] FATHSY BY
10 - N AABSM[UN][R]OSA L
11 - VN[SN]....

الترجمة :

"جوليوس ناصيف تريبونوس أمير (أو شيخ) بن جيهان ريركان رئيس الإدارة والقضاء السيد النبيل المحتد المقاتل العظيم من قبيلة بن مكني المحاربة بن عبد أشمون عاش .... سنة".

السطر 1: JULIUS NASIF = اسم

السطر 2: BYM SIR : BYMSIR ABAN = أمير , (أو شيخ قبيلة) ABAN = نصب .

السطر 5/4/3 : إبن جيهان ريركان = اسم.

---

(1) ظهر في نقش الكراسي الستة بحمامات هادريان (IRT 599 =IPT 17) اسم شفطم إلى جانب إيدليس(Aediles) .

(2) Idem.

(3) Idem

السطر6/5 :BAL = رئيسMSARASTHIE من الواضح أنَّ THI هي جزء من كلمة MSARASTHIE والتي هي بدون شك صيغة محرفة عن كلمة مشترت(MŠRT) الفينيقية = "إدارة" أو خدمة.

أنظر (DISO,1965.P.171,n.40).

السطر 7/6 :VY MYSYRTHIM: VY = و (Poen.V.930)

MYSYRTHIM = عدالة وهي مشتقة من الفعل YSR الذي يفيد معنى عدالة.

(Poen.v.933 ; Vattioni,1976)

السطر7 : BAL : وهي تعني " رئيس " و " سيد " . (CIS,122) ; (DISO,1965,P.4) .

SEM أو SAM , SAMEN) كما ورد في بوينولوس(Poen.V.1006 ,1007) فإنَّ جميع هذه الصيغ محرفة عن كلمة SM ، "سام" "رفيع الشأن "(DISO,1960,P.306)؛(PPP,P.142).

ترجم IS SAM التي جاءت في بوينولوس (Poen .V. 1006) على أنَّها تعني "رجل كامل" وأيضاً في العربية كلمة سام تعني السمو وعلو النفس .

وفي النقائش اللاتينية نجد أنَّ (CIL i , 2407) (DISO ,1965, P.280 ,n.32)

RM : " عظيم " أو " بارز "(انظر DSO,p280,n32 SMM RMM).

السطر 8 : SABSI : جيش أو جندي (Vattioni , 1976 , 547)

السطر 9/8 : BEN MYCNEI : من عائلة أو قبيلة مكني ـــ مثل بن صديق BEN SDQ من قبيلة أو عائلة صديق كما جاء في نقيشة أخرى ،(Levi della vida , 1963- 468 . 469) .

إنَّ اسم قبيلة مكني قد يكون مشتقاً من اسم قبيلة المكاي الليبية التي شاركت القرطاجيين في طرد الاغريق من وادي كعام الذي كان يسمى في القديم بنهر "كنبس" (KINYPS) حسبما يذكر هيرودوتس (V.42)

السطر 9 : SABSY :Sabsy = قد تصف هذه الكلمة أفراد هذه القبيلة بما أبدوه من شجاعة أثناءَ خدمتهم العسكرية أو حبهم للقتال ، وهم لا شك قد ورثوا ذلك عن أسلافهم الجرمنت والنسامونيس الذين اشتهروا بعدائهم ومهاجمتهم المستمرة لمعاقل الغزاة من رومان ووندال شأنهم في ذلك شأن القبائل التي عاشت في نفس المنطقة في فترة متأخرة حيث نجد الشاعر اللاتيني كورييوس(Corippus)يصف المحاربين من قبيلة لواتة Llsguas) (Johannidos 2 . 109 بالقسوة والشجاعة والذين أشاعوا الرعب في الإقليم كلِّهِ معتمدين

على بركات إلههم قرزل(GURZIL) في تحقيق النصر على أعدائهم البيزنطيين خلال ثورتهم عام 546 م (عبد الحفيظ الميار 1982) .

V:FATHSY : ــ و(Poen .V. 930) .

FATHSY : قد تكون صيغة محرفة لكلمة FHST =" ساحق " أو " قوي" , " مدمر".

. (DISO ,1965,P.226,n.40)

السطر 10/9 : BENAABS (MUN) .

BEN = ابن,AASMUN = ESMUN - Abd = عبد أشمون = إسم .

السطر10: ROS : قد تكون مشتقة من الجذر R,S =رأس = وهي تعني العظمة والرفعة.

(DISO,1965,P.283,n.15 ; Tombaek Lexicon,1977, P.304)

السطر 11/10: LVN:وهي عند هوفتزر (DISO , P.163 ,n.42) وتعني " قضى وقتاً" وهي تعني هنا " عاش " (Polselli , 1979,41) .

السطر 11: (?? SAN ??) قد تعني سنة والباقي غير واضح .

النقيشة البونية رقم 8 = 76 IPT (شكل 8) :

وهذه النقيشة محفورة على قطعة من الحجر الجيري (2.19 X 42. سم)وقد عثر عليها في معبد الإله الليبي آمون في المحيجيبة .بمنطقة قرية الخضراء بترهونة في إقليم المدن الثلاث . وتتكون هذه النقيشة من ثلاثة أسطر محفورة على حجر(1.93 X 0.31 سم) وارتفاع أكبر الحروف 7.5 سم ،والأوجه الأخرى لحجر النقيشة مشذبة إلا أنها ليست ناعمة ويبدو أنّ هذه الحجرة كانت مثبتة على باب مقصورة الإله :

النص :

1. ل أ د ن ل أ م ن م أ ش أ ل م ش ف ع ر س ت و م ق د ش ب ت أ ي و ع ر ف أ ت أ ش ب أ ن أ و أ ي ق د ش .
2. ب ش ت ر ب ت أ ح ت ر ب م ح ن ت ب ش د ل و ب ي م ل و ق ى ع ى ل ى ل ع م ي ع ن / ت كـــ س ف ب ن .
3. ش ع س ي د و ع س ن /ت ب ن ن/ت م ر ر أ ش ب ب ن أ م ع س ن كـــ ع و . ب ت ص أ ت م ب ت م .

قراءة النقيشة :

1. لادن لامون ماش ألم شفير ست ومقدش بيتي وخرفات أش بنا ويقدش

2. بشت رب تحت رب محنت بشد لوبيم لوقى عيلى لاميا / تكصف بن
3. شاسيدواسن / ث بن ن / تمرر أش ببنأ ماسينكاو بتصاتم بتم

ترجمة النقيشة :

ترجم ليفي ديلا فيدا هذه النقيشة على النحو التالي (IPT 76) :

1. إلى الإله آمون،هذا التمثال الجميل(حرفيا تمثال الإله)وحرم معابده والأروقة التي بنيت وكرست
2. في سنة برو قنصل أفريقيا (منطقة الليبيين) ،لوكيوس إليوس لاميا، على يد تكصف بن
3. شاسيدوا صان(ت) بن ن(ت) مرر الذي ينتمي إلى أبناء ماصنكو أنجزت على حسابه الخاص .

التعليق :

هذا النص المشهور تم اكتشافه في عام 1902م على يد دي ماثويزو(Mathuiseaux).

وخلال أعمال البعثة الأثرية الإيطالية وفي عام 1911م قام كل من أوريجيما وبنجوينوت بزيارة موقع الإله آمون في (رأس الحداجية) (المحيجيبة) قرب قرية الخضراء في ترهونة ، وقام أوريجيما بإيداع هذه النقيشة في متحف آثار طرابلس بالسرايا الحمراء.

وتعدُّ هذه النقيشة إحدى أهم النقائش البونية :

أولا - وباستثناء النقيشة الجنائزية الخاصة بالملك النوميدي مكوسن(مكيبسا) (Micipsa) (شرشال 2)، فإنها تعدُّ النقيشة البونية الوحيدة التي يمكن تحديد تاريخ لها وهو 15-17 م .

ثانيا - تقدم مثالاً رائعاً على الكتابة البونية التي استخدمها الأهالي في إقليم المدن الثلاث التي كانت واقعة تحت التأثير الروماني .

إنَّ انتظام الحروف التي يصل ارتفاعها 7سم وتناسق السطور لا يوجد مثيل له في أية نقيشة مكتوبة باللغة الفينيقية البونية في ليبيا.

النقيشة البونية (رقم 9) (شكل 9)

(الإله الليبي قرزل في نقيشة بونية جديد في مدينة دوغا ــ ترهونة)[1]

في الضاحية الشمالية الشرقية من ترهونة وبجوار قصر دوغا عُثِرَ على نقيشة فينيقية جديدة محفورة على نصب حجري وتتكون من سطرين ، وهى نقيشة إهدائية مكرسة إلى

[1] ملخصٌ لمقالنا المنشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ــ العدد الأول(1997).

الإله قرزل بن الإله آمون حيث كانت عبادته منتشرة بين القبائل الليبية في المناطق الريفية والداخلية من إقليم طرابلس . إنَّ الغرض من دراسة هذه النقيشة وغيرها من النقائش التي يعثر عليها بين حين وآخر في الإقليم هو إلقاءُ المزيد من الأضواء على تاريخ الإقليم والحصول على معلومات تتعلق بديانة الليبيين القدامى وحضارتهم وكشف النقاب عن ماضيهم ورسم صورة لحياتهم ، وتدلنا هذه النقيشة على انتشار عبادة الإله الليبي قرزل وبالتالي على استعمال اللغة الفينيقية في كتابة الشعائر والطقوس الدينية وتأثر الليبيين بالثقافة والحضارة الفينيقية. ونظراً لتشابه حروف هذه النقيشة ولغتها مع نقيشة الإله آمون في رأس الحداجية والتي تعود إلى القرن الأول (15-17 م) ، وحيث أنَّ كتابة اللغة البونية الجديدة بالحروف اللاتينية في إقليم طرابلس كانت قد بدأت في القرن الثاني الميلادي فإنَّه يمكن إرجاع تاريخ هذه النقيشة إلى القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني الميلادي.

خلال شهر الماء من العام 1997م قمت بزيارة لموقع الضريح الفخم المعروف قصر دوغا (Doga)[1] الذي يقع في الضاحية الشرقية من مدينة ترهونة (حوالي 8 كم) وعلى مسافة قصيرة (1كم) من موقع مسفى القديمة (مدينة دوغا) . وقد شاهدت الكثير من الأحجار المتناثرة حول الضريح ،ولفت نظري إلى أحدها رئيس مكتب الآثار في منطقة ترهونة، وهو عبارة عن نصب من الحجر الجيري على شكل مستطيل طوله متر ــ أما عرضه الأصلي فلا يمكن تحديده بدقةٍ بسبب تهشم الجانب الأيسر مما تسبب في ضياع حرفين من السطر الأول ومثلهما من السطر الثاني.وعلى أية حال فإنَّ الأبعاد الحالية لهذا النصب (46×30سم).

وبعد قراءتي لهذه النقيشة تبيَّن لي أنَّها مكتوبة باللغة (البونية) الفينيقية الجديدة (شكل 9) والكتابة واضحة والحروف قياسية وهي مماثلة لحروف نقيشة معبد الإله آمون(Ammon) في رأس الحداجية(أو المحيجيبة)غربي قرية الخضراء بمسافة كيلو متر واحد (بمنطقة ترهونة)[2].

النص :

1. لهربت كر (زل)

---

[1] يبدو أنَّ اسم دوغا (Doga) ليبي وذلك أنَّ الدلائل تشير إلى أنها كانت مستوطنة ليبية حيث لا توجد بها دفاعات عسكرية رومانية عدا محطة مسفي (Mesphe) الواقعة على الطريق الاستراتيجي الذي يربط لبدة الكبرى وتكاباي (قابس) ، كما أنَّ المكان الذي يوجد به ضريح الأغليد ماسينسا (الملك النوميدي) يعرف باسم دوغا (Dougga) وتكرار هذا الاسم قد يدل على أصالته الليبية.

[2] لمزيد من التفاصيل عن نقش ومعبد الحداجية ، أنظر : - Goodchild, R.G., Libyan studies , London 1976, pp.93-6

2. بتم

الترجمة :

1. مكرَّسٌ للربَّةِ كر(زل)

2. تمَّ إنجازه

دراسة النقيشة :

على الرغم من ضياع الحرفين الأخيرين من الكلمة الأخيرة في السطر الأول إلا أنَّه من السهل معرفة اسم الإله الذي كُرِّسَ له هذا الإهداء ، وذلك من معرفة الحرفين الأولين من اسمه وهما الكاف (ك) والراء (ر) = كر(زل) أو (قرزل) .

السطر الأول: الكلمة الأولى تتكون من خمسة حروف : الأول اللام(ل)والثاني الهاء (هـــ) وهي أداة تعريف =(ال) والثالث الراء (ر) والرابع (ب) والخامس التاء (ت) وتقرأ لهربت وهي تعني مكرَّس للربة . وكلمة ربة = (إلاهة) وتدل على مؤنث مع أنّ الإله قرزل ذكر ، وذلك واضح من وصف الشاعر كوريبوس بأنَّه يشبه الثور[1]:

" MAGICA TAURUS DI DIMITTITUR ARTE / MAURORUM E MDIO , TAURUS , QUEM IERNA SAC- ERDOS / ARTEQUE IDEM GENTIS RECTORUM MAMUS AUCTOR / FINEXRAT AMMONII SIGNANTEM NUMINA GURZIL / OMINA PRIMA SUIS".

والكلمة الثانية من النقيشة تتكون من أربعة حروف الأول الكاف (ك) والثاني الراء (ر) والثالث الزاي (ز) والرابع اللام (ل) وقد فقد الحرفان الأخيران بسبب تهشم حجر النقيشة وهي تعني قرزل أو (كورزا) وهو لابدَّ أنْ يكون اسم الإله الليبي قرزل الذي حفظ لنا اسمه الشاعر كوريبوس (Corippus) . وقد يكون هو نفس الإله الذي ذكره البكري في صيغة "كورزا" .

السطر الثاني:أما السطر الثاني فقد وردت فيه كلمة تتكون من ثلاثة حروف وهي الباء (ب) والتاء (ت) والميم (م) وتعني بتم = أكمل ، أنجز.وقد تكررت في عدة نقائش فينيقية جديدة عثر عليها في إقليم طرابلس[2].

هذا وقد تكررت كلمة ربة في نقيشة أخرى عُثِرَ عليها في معبد الإله الفينيقي ملك عشترت ، وهو أحد الإلهين الحارسين لمدينة لبدة الكبرى والذي جرت مطابقته في العصر الروماني بالإله هرقل (Hercules) ، والإله الثاني الحارس للمدينة هو شادراب(ليبر باتر Liber Pater)[3] .

---

(1) Johanidos 5.22- 26 .

(2) IRT 338,318,347,Libya Antiqua,12(1982),19-20 .

(3) Levi della Vida,inRAL,10(1955),550-561=IPT31 .

ويرجع تاريخ نقيشة الإله ملك عشترت هذا إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الأول ق .م . وهى لا تقدم معلومات تذكر عن عبادة هذين الإلهين سوى تقديم القرابين التي كانت المظهر البارز في الديانة الفينيقية،وقد شارك في ذلك جميع سكان لبدة وهم دون شك من عنصر (الليبو- فينيقي) الذي كان سائداً في المنطقة الساحلية من إقليم طرابلس. وتُعدُّ نقيشة قصر دوغا من أكثر النقائش الفينيقية أهمية وذلك لورود إسم الإله الليبي قرزل فيها وهو يؤكد ترجمتنا لنقيشة أخرى ورد فيها اسم هذا الإله[1].

وقد كان للإله قرزل مكانة عظيمة في نفوس أتباعه، وذلك أنَّ الليبيين كانوا يعتبرونه من نسل إله النبؤات الليبي آمون، وكان لهذا الأخير معبد مشهور في سيوة ،كما كان له معابد منتشرة في أماكن متعددة من ليبيا، منها تل آمون جنوب بنغازي ، وسرت مذبح الأخوين فليني (موقع القوس الرخامي سابقاً) ، أبو نجيم ، زاوية المحجوب (15كم غربي مصراتة) ، مليتة (24كم غربي صبراتة) ، ورأس الحداجية في قرية الخضراء بترهونة. وفي الموقع الأخير يوجد معبدٌ للإله آمون أقامه أحد الليبيين خلال فترة حكم البروقنصل لوكيوس اليوس لاميا والي أفريقيا (15-17م) في عهد الإمبراطور الروماني تيبريوس.

تدل النقيشة التي عثر عليها في هذا المعبد على انتشار اللغة الفينيقية واستخدامها في الطقوس الدينية. ويُعَدُّ الإله آمون هو المرشد والحارس لطرق الصحراء والمسافرين ، وله صلة بعبادة الموتى والقدرة على التنبؤ التي اشتهر بها معبده في سيوة ثم واحة أوجلة حيث انتشرت عبادته في جنوب الإقليم حتى شملت أراضي الجرمنت[2].

ولأهمية هذا الإله وتعدد ميزاته فقد تمت مطابقته بالإله الإغريقي زيوس (Zeus) والإله الروماني جوبتر (Jupiter)، حيث ظهر في النقائش تحت اسم زيوس آمون وجوبتر حمون. وكان الأخير حامياً للطرق الصحراوية ، وقد عثر على معبد له في موقع حصن قولايا (أبو نجيم) الروماني ، وعثر أيضا على ثلاث نقائش إهدائية في هذا الموقع تعطي معلومات مهمة عن العبادات المحلية مما يدل على اهتمام رجال الحامية العسكرية بالديانة المحلية[3] ، ومما يدعو كذلك إلى الاعتقاد بوجود مجندين ليبيين بين أفرادها.

---

(1) Elmauer,A.F,"The Libyan God Gorzil in a neo punic inscription from Tripolitania",L S, 13(1982) , 49 -50

(2) لمزيد من المعلومات عن الإله الليبي آمون، راجع : - Bates ,O., The Eastern Libyan , London 1914 , p.198ff ; وعبد اللطيف البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم، نشر الجامعة الليبية 1971 ، 216-219 .

(3) Rebuffat,R"Dix ans de recherché dans le predesert de Tripolitania" ,Libya Antiqua 13-14,(1976-77) ,51-56 .

وتدل هذه الإهداءات على عملية مطابقة بين الآلهة الرومانية التي كان يعبدها أفراد الحامية والآلهة الليبية المحلية. ففي أحد النقائش ورد اسم الإله جوبتر آمون وفي الآخر اسم الإله الليبي مارس كانابفار (Mars Canappar)،ويذكر اوريك بيتز (Bates) أنَّ الإله الليبي آمون "لم يكن مشخصاً في نظر أتباعه لا على أشكال بشرية أو حيوانية"[1].أما ابنه من بقرة الإله قرزل (Gurzil) فقد وصفه الشاعر اللاتيني كوريبوس بأنَّه يشبه الثور الذي يحمل بين قرنيه قرص الشمس ،وربما كان ذلك يرمز إلى قوة الثور وجماله والى ضياء الشمس وقوتها. ولقد عثر على رسم صخري يمثل ثوراً يحمل بين قرنيه قرص الشمس في موقع يسمى مايابيب في وادي مرسيط[2] ، ويبدو أنَّه يمثل الإله قرزل الذي تحدث عنه كوريبوس ووصف مكانته في نفوس الليبيين وإيمانهم بقدرته على جلب الخير لهم ودفع الضرر عنهم. وكانوا يحضرونه معهم إلى ميدان المعركة اعتقاداً منهم بأنَّه سيساعدهم ويحقق لهم النصر على أعدائهم .

ويصف الشاعر كوريبوس الشيخ جيرنا زعيم قبيلة لواته ورئيس اتحاد القبائل الليبية في حربها ضد البيزنطيين الذي وقع صريعاً بين القتلى وهو يدافع عن رمز إلهه العظيم قرزل الذي حطمته سيوف الأعداء البيزنطيين[3].

"SOIUS EQUES CURRIT IAM CAMPIS NUDUS APERTIS /EFFUGIT ILLE FERUS

CONFRACT ROBORE IERNA/ ET SIMULCRA SUI SECUM TULIT HORRIDE GURZIL "

وحوالي القرن الحادي عشر الميلادي نجد البكري يتحدث عن إله اسمه كرزا كانت تعبده قبيلة هوارة الليبية ، وهو على شكل صنم كبير موضوع على تلة ولعل هذا الصنم رمز للإله قرزل ، وربما كان الاله كرزا الذي تحدث عنه البكري هو الإله قرزل الذي ورد اسمه في النقيشة التي عثر عليها بجوار قصر دوغا (Doga) حيث هناك احتمال بوجود معبد لهذا الإله في موقع فوق الرابية التي بني عليها هذا القصر .

وتدل النُّصُبُ التذكارية الليبية المتناثرة في موقع دوغا وكذلك وجود المعابد الليبية في المنطقة على أنَّ مدينة دوغا كانت مستوطنة ليبية،كما أنَّ استخدام اللغة الفينيقية الجديدة

(1) Bates,O.op.cit.p.195 .

(2) Haynes,D.L,The Antiquities of Roman Tripolitania .

(3) Johanidos, 5.519 .

في كتابة النقائش ينهض دليلاً على انتشار اللغة والثقافة الفينيقية في منطقة الجبل الغربي وتأثر الليبيين بالثقافة والحضارة الفينيقية ،وخاصة أفراد الأسر الغنية منهم الذين يكونون عادة أكثر تأثراً بحضارة العنصر الأرقى .

ونظراً لتشابه حروف نقيشة قرزل ولغتها التي عُثِرَ عليها بجوار قصر دوغا مع نقيشة الإله أمون في رأس الحداجية قرب ترهونة التي تعود إلى أوائل القرن الأول (15- 17) مع معرفتنا بأنَّ كتابة اللغة الفينيقية الجديدة في إقليم طرابلس بالحروف اللاتينية كانت قد بدأت في القرن الثاني الميلادي ،فإنَّه يمكن إرجاع تاريخ هذه النقيشة إلى القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني الميلادي .

النقيشة البونية اللاتينية 10 :

عثر عليها في لبدة الكبرى :

النص:

1-FELIOTH. IADEM SY RO.

2-GATE YMMA-

3-NNAY

قراءة النقيشة:

ترجم ليفى ديلا فيدا هده النقيشة على النحو التالى :

Livey della Vida ,Libya 3(1927)

1- فيلوث يادم سيرو

2- قات يما

3- ني

ترجمة النقيشة :

" عمل هذا في مصنع سيروقات يماني "

ترجمة المفردات :

السطر الأول:FEL : عبارة عن ترجمة لاتينية حرفية للفعل البوني " فعل " وقد تكرر هذا الفعل في النقائش البونية التي عُثِرَ عليها في إقليم طرابلس (DISO, P. 231-32).

قارن (IRT 929 , 1 , 3 ; 873.2/ 877.2).

ومن صيغ تصريف هذا الفعل التي وردت في نقائش الإقليم نجد Fela (فعلت) (IRT826 .1/2/3) و FELU(فعلوا)(IRT 889.2;.IRT 906)، وورد هذا الفعل بنفس الصيغة "FEL " في الفقرة 935 في بوينولوس(Poenulus) :

FEL YTH CHYL CHON YTHEM LIFUL"لقد فعل كل ما هو في صالحه ".

السطر الأول:IOTH : YOTHويمكن أنْ تكون صيغة محرفة للكلمة البونيةYTH (Poenulus vers.930,932,935,936) : .

ووضع هذه الصيغة الدالة على المفعول به قبل الفاعل هو عبارة عن خطأ نحوي: Ythem = لنفسه وهى تعادل الكلمة اللاتينية(SIBI)في النص 956 من بوينولس ،كما تعنى=إليه في النص 937 منه. IADEM : تعنى " يدان " .(PPP, P.68) .

السطر الاول " of " = S = SI = SY وهى تستعمل ضمير وصل : ش = أش (Š) = " الذي , التي " وذلك كما ورد عند بوينولوس في المقاطع 935 ,933 , 930 . Poenulus , vers) (، وفي بعض الأحيان تستعمل في حالة المضاف إليه(genitive) 944 , Poenulus) ؛ PPP, P . . 126 - 127)

2/1 Rogate = Rogatus : إسم شائع في النقائش الافريقية البونية اللاتينية 281 ; 244 IRT) Elmayer. TRE , P. 326 ؛)

يماني(Yammnay) : لا يعرف معنى هذه الكلمة حتى الآن , ويرى ليفي ديلا فيدا أنَّ النهاية (ai) غريبة(odd) .

وقد يكون يماني اسماً صحيحاً مثل الأسماء المنتهية (-aeus) و(Ridaeus) الذي ورد في نقيشة ضريح العمروني .

النقيشة البونية اللاتينية (11) (IRT889) (شكل 10) :

عثر على هذه النقيشة فوق مدخل باب قصر شميخ في وادي البئر قرب حوض وادي سوف الجين وحالياً توجد بمتحف لبدة .

النص :

1- FLABI DASAMA VY BINIM.

2- MACRINE FELV CENTENARI BALARS.

3- SVMAR NAR SABARE SAVN.

قراءة النقيشة :

1- فلافيوس داساما وبنم

2- مكرين فيلوكنتناري بعل ارص

3- شومار نار شاباري سون

الترجمة :

" فلافيوس داساما وإبنه مكرينوس مالكا الأرض أقاما هذا الكنتناريوم (البيت) لحراسة وحماية جميع حدود أرضهما "

شرح المفردات :

السطر **1 :** داساماDASAMA : م. سينسير(Szyncer,PPP,1965) قرأ هذا الإسم "Flavi Dasama V.binim في حين قرأه فاتيوني(Vattioni) : " فلابيوس داساما وبنيم" FLABI " "DASAMA VY BINIM , وحيث أنّ حرف العطف U=UY , فإنّ كلا القراءتين مقبولة. كراهملكوف (1973) رأى أنّ الحرفين الأولين من كلمة داساما(DA) كأداة عطف ليبية إلا أنّ رأيه لا يدعمه دليل. ونجد ليفي ديلا فيدا (1976) تبع م.سينسير في قراءته وترجمته لهذه النقيشة ووافق قاربيني على ذلك (Garbini,1974) وفي الحقيقة أنّ هناك بعض العائلات الليبية خاصة "البربر" لازالت تحمل أسماء مشابهة لاسم داساما مثل نيسامو وتسامو، ومع ذلك فنحن لا نستطيع القول إنّ داساما ليس اسماً صحيحاً.

السطر1 **:** بنم V.YV.BINIM = ويمكن أنْ تجد تفسيراً لها فيما أورده بوينولوس (.Poen) في هذه العبارة ALONIM UALONUTH = باللاتيني= "does deaque" = آلهة وآلهات (70945) .

BINIM = "ابنه" والاسم هنا في حالة الرفع والإضافة الأخيرة (IM-) كانت تضاف إلى الاسم فقط عندما يكون في حالة الإضافة. (Krahmalkov,1970)

السطر2 **:** ماكرين MACRINE : اسم = ماكرينوس(MACRINUS)

السطر2 **:** FELV :"هم أقاموا أو صنعوا " , اشتقت من الجذر FEL = فعل،صنع والذي نجده في نقيشة أخرى من نقائش طرابلس (IRT 906,989,2) FEL = " صنع" (929.1.3.IRT FELA 873.2) = " صنعت" (IRT 826.1/2.3)

السطر2 **:** كينتناري" CENTENAIUM" = وهو مترل خاص ارتبط اسمه باسم حصن المائة جندي الذي كان يسمى بهذا الاسم.

إنّ آثار بعض هذه البيوت لازالت باقية حتى الآن في منطقة الحدود الطرابلسية(Limes Tripolitanus) وحصون الكنتوناريا هذه يطلق عليها الليبيون " القصور"

وكلمة قصر ربما جاءت من الكلمة العربية " قصر" ونجد أيضاً الكلمة اللاتينية (Castrum) التي تعني "الحصن" وهذه القصور أطلق عليها جودشايلد بيوت المزارع المحصَّنة (Goodchild, 1976) .

السطر2 : BAL ARS : ليفي ديلا فيدا (1976) قال إنَّها تعني مقاول(Contractor) فنان(DISO,1965,P.40) . ولكن هذا يبدو غير صحيح لعدة أسباب منها :

أولاً- لا يبدو أنَّ فلافيوس داساما وابنه كان آمراً لوحدة عسكرية أو أمير (شيخ) مثل تريبونات بئر دريدر(IRT 886a,b,d,f) .

ثانياً- إنَّ إشتراك أب وابنه في تشييد بيت محصَّن يدلُّ على أنَّ هذا البيت ملك خاص بالعائلة وأنهما أقاماه على أرضهما التي يمتلكانها.

ثالثاً- وجد في نفس الفترة أنَّ هناك بعض ملاك الأراضي في منطقة الحدود بنوا بيوتاً مشابهة على أرضهم وذلك لحماية سكانها المقيمين فيها من اعتداء الليبيين المقيمين خارج منطقة الحدود[1].وعليه فإنَّ BAL يمكن ترجمتها على أنَّها (مالك) (DISO,1965,P.40) و ARS وهي كلمة فينيقية تعني أرض (DISO,1965,P.25 n.47)،لذلك فإنَّ BAL ARS تترجم إلى (مالكي الأرض) التي تناسب المعنى.

السطر 3 : ŠVMR : يحرس (DISO,1965,P.310 ; Lexicon,p.325).

NAR : يبدو أنَّها صيغة محرفة لكلمة نصر NSR = يحمي (DISO,1965,P.185 n.24) وعليه فإنَّ شومر ونصر (SVMR(W)NṢR) = يحرس ويحمي (RES 20.1) ؛ شومر ونصر = يحرس ويراقب (Lexicon,p.221.Ib)

السطر3 : شابارŠABARE=قد تكون صيغةً محرفةً للكلمة الفينيقية ŠBRT=ŠBR شبرت التي تعطي معنى " كل"(DISO,1965,290 n.22) .

SAVN : في هوفتزرHoftizer (DISO,1965,P.30.35)نجد أنَّ هذه الكلمة تعني مكان فمثلاً:

ـــ سون بيجرت (SAVN BJRT) = حصن بيجرت (DISO,1965,P.35.5)

ـــ بيسون بيجرت (BSAVN BJRT) = في حصن سون (DISO,1965,P.30 N.33) . وفي مثال آخر رب هجل زج سون = آمر حامية سون (DISO,1965,P.271,n.12) .

---

(1) IRT 889, Goodchild,1976,Libyan Studies,p.112,Brogan,O.in LA13 (1983) 127 .

وفي ترجمتي السابقة (المشار إليها أعلاه) رأيت سون ZONE = SAVN التي تعني في اللاتينية وجود حزام أو حدٍّ يحيط بأرض المالكين.

هذا ويظهر في وسط حجر نقيشة قصر شميخ رسم يمثل أسطورة نايكي إلاهة النصر القديمة عند الإغريق ، وهى على صورة فتاةٍ مجنَّحةٍ بإحدى يديها سعفة نخيل وبالأخرى إكليل الغار تتوج به رأس المنتصر. وهذه الرموز كانت شائعةً في تمثيل فكرة الانتصار على الموت وعلى الأعداء من البشر، وعليه فقد جرى رسمها على الأضرحة وأقواس النصر. وقد ظهرت علامة النصر هذه مرسومة على أحد قبور قرزة ، وعلى الجانب الأيسر من المدخل الرئيسي لقلعة القريات الغربية، وعلى قوس الإمبراطور سبتيميوس سفيروس في لبدة الكبرى، وقوس ماركوس أوريليوس في ويات(طرابلس).[1]

[1] لمزيد من المعلومات عن هذه النقيشة راجع :
عبدالحفيظ فضيل الميار؛ الحضارة الفينيقية في ليبيا ، ص 398-401 .

الاختصارات :

AI : (Afr. Ital.) Africa Italiana.
AION : Annali dell' instituo Orientale di Napoli , Napoli.
AUG : Augustinianum.
BAAA : Bibliugraphie analytique de L' Afrique antique .
BAC : Nuovo Bolletino di Archeologia Christiana.
BASOR : Bulletin of the American school of Oriental researches , --Baltimore.
BCS : Bulettino del centro di studi per la storia dell' archietettura .
BICS : Bulletin of institute of classical studies.
CIL : Corpus inscriptionem Latinarum.
CPP : La Civilisation Phoenicenne et Punique (edit.par -------V.Krings)Leiden 1995=CPP .
CIS : Corpus inscriptionem Semiticarum.
DISO : Ch.F.Jean – J. Hoftijzer, Dictionnaire des Inscriptions --Semiti-ques de l' Ouest , Leiden 1960.
GLECS : Comptes- rendus du Groupe linguistique d' etudes comito-Sémitiques , Paris.
GPP : Segret,S., Agrammar of phoenician and punic , verlag C.H.Beck,1976
ILAL : S.Gsell, Inscriptions Latines d' Algerie.
IPT : G. Levi della Vida, M.G.A. Guzzo, Iscrzioni punche della Tripo-litania (1927-1967).
IRT : J.M. Reynolds and J.Ward-Perkins, Inscriptions of Roman Trip-olitania, 1952.
JA : (Jour.Asiat) Journal Asiatique.
JBL : Journal of Biblical literature , Boston- Philadelphia.-
JAOS : Journal of American Oriental Society.-
JSS : Journal of Semitic Studies.
KAI : H.Donner, W.Röllig , kanaanāische und aramāische Inschriftin. Mit einem Beitrag von O.rőssler, Wiesbaden, I²,1966, II²,1968, III²,1969.
LA : Libya Antiqua.
LP: Latino-Punic Inscriptions-
LS : Libya Studies (Lib.Stud.)
MOS : Michigan Oriental Studies in honour of G.G.Cameron , 1976.
NSI : R.G. A. Cooke , A text book of North-Semitic Inscriptions Oxf-ord , 1903.
OA : Orients Antiques.
PBSR : Paper of the British School at Rome.
PPP : M. Sznycer, Les passages puniques en transcription latine Dans le "Poenulus" De Plaute. Paris, 1967.

QAL : Quaderni di Archéologia della libya.
RA : Revue Africaine.
RANL : Rendiconti dell' Accademia Nazionale dei Lincei.
RES : Semitica Cahiers publics par L' Institute d' Etudes Semitiques de L' universrsite de Paris.
Riv.del.Trip. : Rivista della Tripolitania iii , Roma 1927.
RSO : Rivista delli studi orientali.
RSF : Rivista di studi Fenici.
SEG : Supplementum Epigraphicum Graecum.
SM : Studi Magribini.
TRE : Elmayer, A.F. (1997), Tripolitania and the Roman Empire.
UF : Ugarit – Forschungen , Műnster.
ZDMG : Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gsellschaft

جدول (1)

أشكال الحروف الفينيقية ــ البونية

	حروف فينيقية	حروف بونية	حروف بونية متأخرة
أ= ألف= ثور			
ب= بيت= منزل			
ج= جميل= جمل			
د= دالث= باب			
هـ= هي= شبكة			
و= واو= مسمار			
ز= زين= سلاح			
ح= حيط= حائط			
ط= طاط= حمل			
ي= يود= يد			
ك= كاف= كف اليد			
ل= لاميد= مهماز			
م= ميم= ماء			
ن=نون=سمك			
س= سامك= دعامة			
ع= عين= عين			
ف= في= فم			
ص= صادي= صنديق			
ق= قوف= قرد			
ر= ريس= رأس			
ش= شين= سن			
ت= تاف= علامة			

جدول (2)

الكتابة الفينيقية ــ البونية الليبية

شكل (1)

النقيشة البونية رقم 1 = IPT20

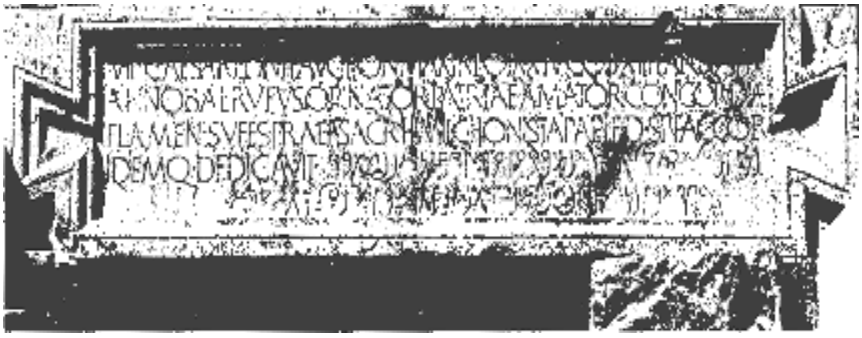

شكل (2)

النقيشة البونية رقم 2 = IPT 24 B

شكل (3)

النقيشة البونية رقم 3 = IPT 79

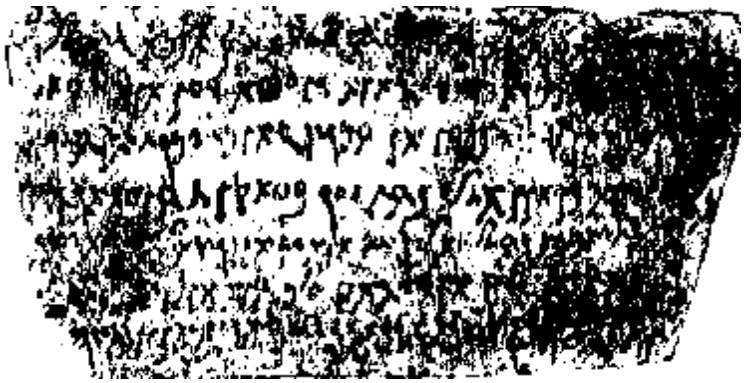

شكل (4)

النقيشة البونية رقم 4 = IPT 86

شكل (5)

النقيشة البونية رقم 5 = IPT 31

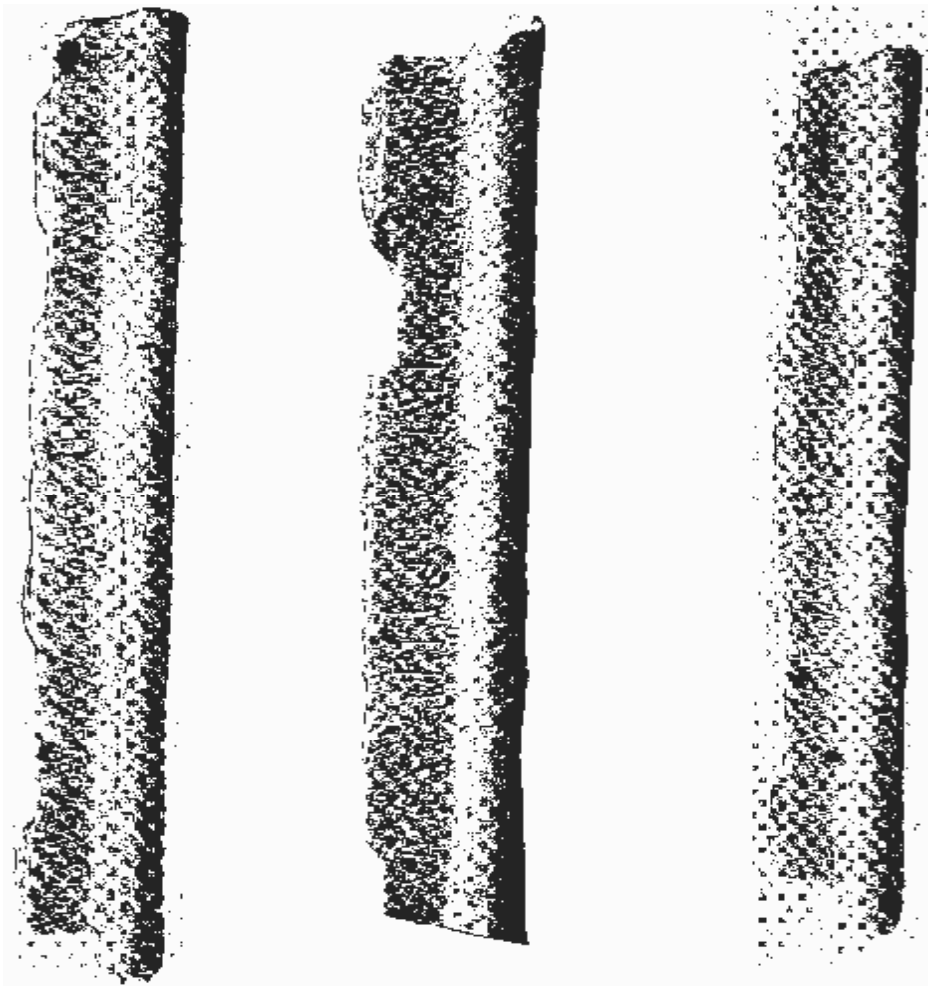

IPT = 17.1 IPT = 17.2 IPT = 17.3

شكل (6 - أ)

النقيشة البونية رقم 6 = IPT 17

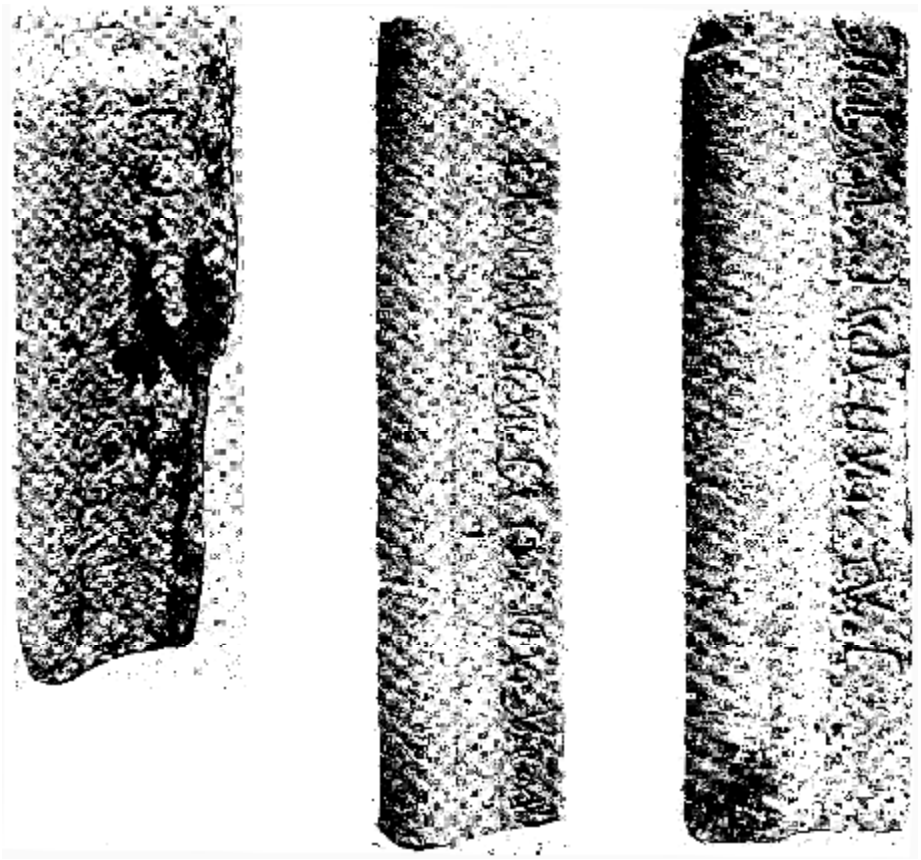

IPT = 17.4 IPT = 17.5 IPT = 17.6

شكل (6 - ب)

النقيشة البونية رقم 6 = IPT 17

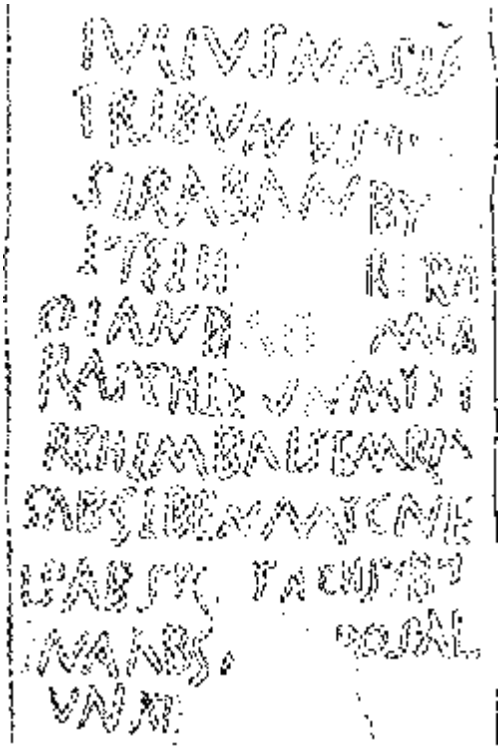

1.IVLIVS NASIF .
2.TRIBUNUS BYM .
3.SIR ABAN BYN .
4.JYEIHAN RIRA .
5.CHAN B(AL)MSA .
6.RASTHIE VY MYSY .
7.RTHIM BAL SEM RM .
8.SABSI BEN MYCNE .
9.I SABSY(V) FATHSY BY .
10.N AABSM(UN)(R)OSA L.
11.VN(SN)...

شكل (7)

نقيشة بونية لاتينية (IRT 886 F) 7

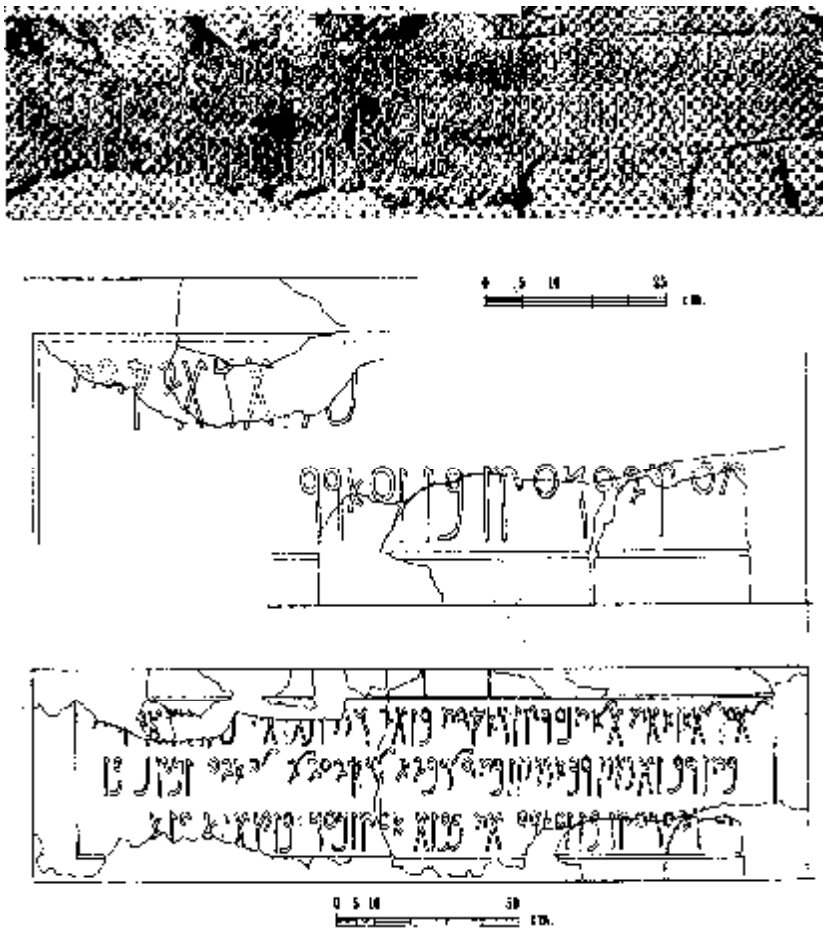

شكل (8)

النقيشة البونية رقم 8 = IPT 76

شكل (9)

النقيشة البونية رقم 9

شكل (10)

النقيشة البونية رقم (11) = (IRT 89)

دراسات في العربية الفصحى ولهجاتها

حركات العربية

في الاستخدام اللغوي بين الأسبقية والتثليث

أ.طارق عبد الغني دعوب
قسم اللغة العربية ـــ كلية الآداب
زليطن ـــ جامعة المرقب

(1)

الأسبقية في الاستخدام اللغوي بين الحركات والصوامت :

لقد درست الحركات في سياقاتها اللغوية من خلال علائقها بالصوامت . ومن خلال دورها الذي تمثله في التشكيل الإعرابي داخل المفردات والجُمل ، وكان البدوي صانع القياس النحوي في بدايته ينطق الكلام على سليقته فيرفع بالحركات ـــ أعني الطويلة منها والقصيرة ـــ ما كان مرفوعاً ، وبها ينصب ويجر ، غير أنَّ تطور المجتمعات واختلاطها بمجتمعات أخرى تولد عنه تطور معرفي وفكري، ونشأت فيه علوم جديدة كان من أهمها علم النحو الذي وضع من أجل صيانة العربية خوفاً من أن يلحقها لحن Solecism أو فساد ، فأنشأ مؤسسوه لذلك قوالب قياسية Language Patterns تقاس عليها لغة العرب حتى تكون أكثر تقنيناً وتقعيداً ، فما خالف قوالبهم القياسية من كلام العرب عُدَّ شاذاً وقليلاً لا يؤبه به ، وكان دور الحركة الكبير في هذه القوالب تقنين الكلام العربي Language Purity من أن يُلحنَ به أو أن يُزَاغْ ، واستمر الحال كذلك إلى أن دخلت الفلسفة والمنطق الدرسَ النحوي ، فتغيَّر بذلك منهج النحو وأسلوبه وأصبح البحث عن (العلل) محور هذا العلم المعتم بالمماحكات المنطقية والتأويلات الفلسفية ، ونشأ عن ذلك ظهور ما يسمى بـــ(نظرية الأصول Root Theorty) عند العرب المستقاة من منابع الفكر اليوناني ونهر فلسفتهم الخالد ، وأصبحت هذه النظرية تمثل محور تفكير علماء العربية في جميع العلوم فهي المرجعية التي يبنون عليها أحكامهم العلمية ويدرسون من خلالها منشأ العلم وأحوال تطوره ، فهي ترجع أي مبحث علمي إلى أصلٍ وفرع ولا يخرج عن إطارها أي شيء ، وسواءٌ ثبتت أصلية الشيء بدليل أو تخمين فإنَّ الناتج أنَّ كل شيء يتطور بترتيب أصل عنه فرع ، عنه جزء إلى ما لا نهاية .. وهذا التحليل الفلسفي لا يخلو من

الخطأ ومن مبدأ إلقاء الكلام على عواهنه .. ومع ذلك فإنَّ نحاة العربية وظفوها في الدرس النحوي وداخل أي مبحث علمي ، ومن هذه المباحث مبحث الحركات والحروف وبمعنى أكثر إيضاحاً مبحث " الأسبقية في الاستخدام اللغوي بين الحركات والصوامت ، وبين الحركات مع بعضها البعض ، غير أنَّ مناقشة هذا المبحث على هذا النحو تُشبه إلى حد كبير الكلام عن فلسفة نشأة اللغة في عدم جدواها من ناحية الدرس اللغوي .

لقد طرح النحاة مبحث الأسبقية في الاستخدام النطقي واللغوي بين الحركات والصوامت منتهجين النهج الفلسفي اليوناني في طرح أصوله وتطور منشئه ، وكانت دراستهم لهذا الموضوع تتمثل في إجابتهم عن سؤالين موجهين .. وهما على النحو التالي :

أيهما أسبق في الاستخدام اللغوي الحركات بعامة أم الصوامت ؟ ثم أيهما أسبق الحركات القصيرة منها أم الطويلة ؟ وأي من هذين مأخوذ من الآخر ؟

يدور محور إلقاء السؤالين على التحاليل الفلسفية والحجج المنطقية التي نهلوها من منابع الفلسفة اليونانية والتي قد لا تُرتجي فائدة من ورائها لأنها نوع من (السفسطة) ، كما أنَّ الإجابة عنهما أخذت النهج نفسه ــ أعني النهج الفلسفي ، والتدليل المنطقي في إثبات الأصول والقواعد النحوية ــ نراها كالتالي :

يذكر علماء العربية عن السؤال الأول ثلاثة آراء :

الرأي الأول يقول:إنَّ (الحروف = الصوامت) قبل الحركات ؛ لعلل منها: أنَّ(الحرف) يسكن ويخلو من الحركة ثم يتحرك بعد ذلك ، فالحركة ثانية و (الحرف) أول[1]. ومنها أنَّ (الحرف) يقوم بنفسه ولا يضطر إلى حركة ، والحركة لا تقوم بنفسها فلابدَّ لها من (حرف) ،وأخيراً إنَّ من (الحروف) ما لا يدخله حركة نحو الألف وليس كذلك الحركة[2]. فقولهم : (الحرف) سابقها ؛ لصحة وجوده عارياً عنها[3]. مع أنَّه في اللغة العربية لا يمكن البدء به وهو عار عن أية حركة ، لكن قد يجوز ذلك في الفارسية ، يقول رضي الدين الاستراباذي راوياً عن ابن جنِّيْ تقريره عن أبي علي الفارسي : إنَّ الفارسية

---

(1) يقول ابن جني في الخصائص ،266/1 "أمَّا مذهب سيبويه ، فإنَّ الحركة تحدث بعد الحرف "ويقول في سر صناعة الإعراب 28/1 "محال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف"ويُنظر: شرح قصيدة مخارج الحروف لابن عبد السلام الفارسي ، ص 134 عن بحث في فونولوجيا اللغة العربية ، ص 178 . والتفكير الصوتي عند العرب ، ص 81 .

(2) ذلك على اعتبار عدهم الحركات الطويلة (حروف مد) التمهيد في علم التجويد ، ص 19-20 .

(3) يُنظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات 186/1-187 .

يعسر فيها هذا النطق لكنه ليس بمتعذر ، ولربما جاز في الفارسية أن يتجرد (الحرف) من كل حركة [1]، غير أنَّ ابن جني والشيخ الرضي قد قرَّرا أنَّه حتى بالنسبة إلى الفارسية لم يكن ذلك إلا وهماً ، فإنَّ حركة شديدة الضعف(= صويت)، تمر دون أن تلمح ؛ لتنطق بعد هذا (الحرف)، إذْ كان نطق (الحرف) بدونها مستحيلاً[2]. لكن ما يلزم التنبيه عليه أنَّ الوقف في العربية يسمح باجتماع صامتين غير متحركين في نهاية الكلمة في مثل : (بَكْرْ)، ولم يكن نطق هذا متعذراً على العرب بالنسبة إلى أصواتهم ، وقد قدم ابن جنِّيْ في ذلك عنصراً صوتياً حال عرضه لطريقة (ذوق) الجرس ،أو الصوت الخاص بـــ(الحروف)،حيث قرَّر : أنَّ (الحرف) الساكن يستتبع عند الوقف (صويتاً) ،لا يمكن أن يحدث في حالة الوصل[3]. وهكذا " نجد أنَّ تناول العرب لمجموعة الصوامت في نهاية الكلمة في حال الوقف لم يؤد بهم إلى تصور استقلال الصامت الثاني من المجموعة عن الحركة "[4]. ويظهر ذلك جلياً فيما صرح به أبو محمد مكي بن طالب حين يقول : "إنَّ الكلام الذي جيء به للإفهام مبني من (الحروف) ،و(الحروف) إن لم تكن في أول أمرها متحركة فهي ساكنة ، والساكن لا يمكن أن يُبتدأ به ولا يمكن أن يتصل به ساكن آخر في سرد الكلام فلابد ضرورة من كون حركة من (الحرف) لا يتقدم أحدهما الآخر ، إذْ لا يمكن وجود حركة على غير (حرف)، وأيضاً فإنَّ الكلام إنَّما أتي به لتفهم المعاني التي في نفس المتكلم، وبالحركات واختلافها تفهم المعاني إذْ بها يفرق بين المعاني التي من أجلها جيء بالكلام"[5].

الرأي الثاني يقول : إنَّ الحركات قبل (الحروف) ، وحجة هؤلاء أنَّ الحركات إذا أشبعت تولدت منها (الحروف) ، وعلى هذا فالحركات لا تنفرد بنفسها ولابد من (حروف) تقوم عليها[6]. وقولهم إنَّ الحركات إذا أشبعت تولدت منها(الحروف)، يقصد: (الحركات الطوال) لا (الحروف) الصوامت ، لأنَّ الحركات الطويلة في المفهوم القديم تسمى (حروفاً) .

---

(1) يُنظر: الخصائص 92/1-93 ، وشرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي 251/2 .
(2) يُنظر: نفس المصدرين والصفحتين .
(3) يُنظر:سر صناعة الإعراب،ص 7-8 وشرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي، 251/2 ،وشرح المفصل لابن يعيش ، 124/3-129
(4) التفكير الصوتي عند العرب ، ص 85 .
(5) الرعاية لتجويد القراءة وتجويد لفظ التلاوة ، ص 77-80 .
(6) يُنظر: سر صناعة الإعراب 28/1 ، والرعاية ، ص 77-80 ولطائف الإشارات 186/1-187.

وعلى هذا فإنَّ إشباع الحركات القصيرة تتولد عنها حركات طويلة من جنسها ولا تتولد عنها (الحروف) ؛من هنا بطل هذا الدليل بسبب ضعف الحجة التي انبنى عليها، نظراً لاختلافهم في المفهوم ،ويقال :(ما بُنيَ على باطل فهو باطل) ،كما يقال :(أخطأ في الفهم فأخطأ في الإجابة) ،فإطلاق مصطلح(الحروف) على(الحركات الطوال) التي تعرف بـــ(حروف المد) لا يعني أنَّ الحركات إذا أُشبعت تولّدت عنها (الحروف)، بل تتولد عنها حركات من جنسها أطول منها ..، وهذا اختلاف بيّن في المفهوم والمضمون ، ولعل السبب في هذا الفهم أنها ترسم (حروفاً) .

وقال قوم :"الحركة سابقة (الحرف) لتوقف (الحرف) المبدوء به عليها " [1]، وهذا القول يخالف إنتاجنا للمنطوق الذي عهدناه ، فما عهدناه هو نطق الصامت قبل الحركات، وما أدعوه من توقف(الحرف) ليس من الصحة العلمية والمفهوم الصوتي في شيء . يقول ابن جني في ذلك : " محال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ، وذلك أنَّ الحرف كالمحل للحركة ، وهي كالعرض فيه ، فهي لذلك محتاجة إليه ، فلا يجوز وجودها قبل وجوده "[2]، ويفسر أحد المحدثين مقالة ابن جني المنطقية إذْ يقول :"إنَّ الحركة لا تقوم بنفسها ، فكيف نتصور وجودها قبل أن يوجد ما يساعد على هذا الوجود "[3] .

الرأي الثالث : يمثله أبو علي الفارسي حيث يذهب إلى أنَّ (الحروف) والحركات لم يسبق أحدهما الآخر في الاستعمال ، بل استعملا معاً كالجسم والعرض اللذين لم يسبق أحدهما الآخر [4] ويعجب ابن جني ومكي بن طالب [5] بدليل هذا الرأي من جانب ويؤكدان على رفضه من جانب آخر . إذْ يرفضانه لأنَّه لا يجوز أن نشبه (الحرف) بالجسم والحركة بالعرض ، ويؤيدانه لأن (الحرف) والحركة لم يسبق أحدهما الآخر فلا يمكن لساكنين أن يجتمعا في أول الكلام دون فاصل متحرك ، وبالحركات واختلافها تفهم

---

[1] شرح قصيدة مخارج الحروف لابن عبد السلام الفارسي ، ص 134 عن بحث في فونولوجيا اللغة العربية ، ص 178 .

[2] سر صناعة الإعراب 28/1 .

[3] التفكير الصوتي عند العرب ، ص 81 .

[4] يُنظر: سر صناعة الإعراب 32/1-33 . حيث يعجب ابن جني بدليل أستاذه ويقول عنه : " وهو لعمري استدلال قوي " .

[5] الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة ،ص 77-80 ، وقد أخذ هذه الفكرة عن ابن جني ومكي كل من مؤلف التمهيد في علم التجويد ،ص 19-20 . ومؤلف لطائف الإشارات 186/1-187 .

المعاني[1]. ومن هنا جاء إطلاق أهل التحقيق مصطلح (متقارنان) لما يلزم من تقدمهما وتأخرهما قيام العرض بذاته[2].

هذا مجمل ما قاله علماء العربية المتقدمون ؛ أمَّا المعاصرون فلبعضهم آراء أخرى تخالف ما رآه بعض علماء العربية المتقدمين . يقول الدكتور النعيمي عن أصوات الحركات بأنها : صوائت قصيرة مجهورة فكل منها صوت قائم بنفسه ، وأي (حرف) من (حروف) المعجم صوت مستقل أيضاً ، فكيف يتصور خروج صوتين مختلفين في آن واحد ، وقد يكون الصامت مهموساً فيختلفان حينئذ مخرجاً وصفة[3] ويفهم الباحث الدكتور فخر الدين قباوة [4] مثل هذا الفهم ويفصل ذلك بمجمل قوله : إنَّ (الحرف) والحركة كل وجد على حدة ، ولا يمكن أن يكون أحدهما تطوراً عن الآخر ، وامتداداً له . واشتراك بعضها في صورة واحدة لا يعني التطور من صورة بسيطة إلى صورة مركبة ، فلو كانت (الحروف) تطوراً للحركات ؛ لما احتاجت إليها ، فالواو في كلمة : ولد (حرف) ولكنها احتاجت إلى حركة فلو كانت تطوراً للضمَّة لما احتاجت إليها . فالحركة هنا جاءت للتعبير عن معنى في (ضُرب ــ ضَرب) ، فكل صورة لها دلالة معنوية .

ويخرج الدكتور قباوة بنتيجة مؤدَّاها أنَّ (الحروف) والحركات وجدت في وقت واحد، وذلك لأنَّه لا يُعَبَّرُ بـــ(الحرف الصامت) وحده ، فالطفل عندما يلفظ أول حرف لا يلفظ بـــ(الحرف الصامت) وحده ، لأنه لا يؤدي إلى معنى ، فلابد له من حركة تساعده على اللفظ ، ويؤيد هذا أنَّ اللغويين عندما كانوا يلفظون (الحرف) لا يلفظونه صامتاً ، بل يضعون معه حركة . فـــ(حرف) القاف يلفظونه هكذا(إقْ) ، على أنَّ الحركات في اللغات البدائية كثيرة ، فبعض القبائل تكون لغاتها عبارة عن مقاطع . وكل مقطع فيه حركة والحركة هي (حرف) ، أي أنها ترسم في اللغات الأوروبية (حرفاً) ، لكنه (حرف) بسيط اختصره العربي فلم يرسمه [5] .

---

[1] يُنظر: الخصائص 327/1 ، وينظر في الحديث : قضايا أساسية في علم اللسانيات العربية ، ص 613-614 ، والدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني ، ص 335 .

[2] شرح قصيدة مخارج الحروف لابن عبد السلام الفارسي ، 134 ، عن بحث في فونولوجيا اللغة العربية ، ص 178 .

[3] الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني ،ص355.

[4] فخر الدين قباوة،أستاذ النحو في جامعة حلب .

[5] يُنظر:قضايا أساسية في علم اللسانيات العربية،ص631-632.

وبصدد الحديث عن اللغة الإنسانية والطفل ونشأة الأصوات عنده ، يشير بعض لغويي النظرات اللغوية الحديثة في هذا الشأن كـــماكس موللر Max muller إلى أنَّ المراحل الأولى التي اجتازتها اللغة الإنسانية متمثلة في الآتي : مرحلة الصراخ Lerci ، وفي هذه المرحلة لم يكن في أصوات اللغة الإنسانية أصوات حركات ولا أصوات صامتة ، وإنما كانت مؤلفة من أصوات مبهمة ، تشبه أصوات التعبير الطبيعي عن الإنفعال كالضحك ، والبكاء ، وأصوات الحيوانات ومظاهر الطبيعة والأشياء ، كدوي الريح ، وصوت القطع والضرب ...، ثم مرحلة أصوات الحركات Vocalisation، وفيها ظهرت أصوات الحركات في اللغة الإنسانية ، ثم مرحلة المقاطع Articulation ؛ أما فيما يتعلق بالطفل فقد ظهر أنَّ أصواته اجتازت المراحل نفسها التي ذكرها أصحاب هذه النظرية ، كما لوحظ في كثير من لغات الأمم البدائية والممثلة إلى حد كبير الأساليب الإنسانية في عهودها الأولى .

إنَّ الأصوات المبهمة وأصوات الحركات تفوق كثيراً الأصوات الصامتة في كميتها وأهميتها في الدلالة[1] . غير أنَّه " ليس من بين هذه الأدلة ما يمكن عدُّه برهاناً قاطعاً على صحة هذه النظرية ، بل إنَّ معظم المحدثين من علماء اللغة يقطعون بفسادها ، وحجتهم في ذلك : أنَّه لا يوجد من بين اللغات الإنسانية المعروفة .. لغة خالية من (أصوات اللين) ، أو من (الأصوات الساكنة) ، وأنَّ من المتعذر تصور لغة إنسانية عارية عن أحد هذين النوعين[2] .

والحاصل أنَّ البحث في هاته المسائل يُعَدُّ نوعاً من الترف الفكري الذي أصيبت به عقول كثير من لغويي هذه العصور ، نتيجة تأثرهم بالعلوم الفلسفية والمنطقية في مناهجهم واستنباطهم الأحكام ، فكان نتاجهم بذلك حاملاً لطباعها من حيث بحثهم عن العلل والحجج المنطقية التي لا ترجى منها فائدة علمية أو صوتية لعلمي النحو والصرف ، ومثل البحث في هذه المسألة ، شبيه بالبحث في فلسفة نشأة اللغة . وهذا ما نقصده بداية عنوان هذا الفصل ، بـــ(فلسفة الحركات) ،أي دراستها دراسة ذات مضمون فلسفي . ومثل هذه الدراسة مسألة ما السابق من أصوات الحركات : الحركات الطويلة أو الحركات القصيرة الثلاث ؟ ، إذْ يذهب علماء العربية في ذلك إلى آراء ثلاثة أيضاً :

---

(1) يُنظر: علم اللغة، علي عبد الرحمن وافي،ص110-111،ولغويات ، ص18-19.

(2) المصدر نفسه ،ص112،ولغويات،نفس الصفحة.

أولها : يرى أنَّ الحركات القصيرة الثلاث مأخوذة من الحركات الطويلة : (الضمة من الواو والكسرة من الياء والفتحة من الألف) ، بدليل السبق عند أكثر النحاة [1]؛ إذْ يرون أنَّ (الحروف) قبل الحركات ومنها (حروف المد) ، والعرب لما لم تعرب أشياء من الكلام بالحركات التي هي أصل الإعراب أعربته بـــ(الحروف) التي أخذت الحركات منها نحو : التثنية والجمع والأسماء الخمسة[2].وقد صرح الجعبري[3] ببطلان هذا الدليل ؛ لكونه لا يتماشى مع ما قاله المحققون ، إذ يرى المحققون : أنَّ الحركة " لا تتولد من حرف ، ولا (الحرف) من الحركة ، إذْ لا يكون الذاتي مادة للعرض ، ولا بالعكس " [4].

ثانيها : يرى أنَّ الحركات الطويلة مأخوذة من الحركات القصيرة ؛ لأنَّ الحركات القصيرة إذا أُشبعت حدثت عنها الحركات الطويلة ، وقد استغنت العرب في بعض كلامها بالضمة عن الواو ، وبالكسرة عن الياء ، وبالفتحة عن الألف . وأنشدوا :

فلو أنَّ الأطبا كان حولي وكان مع الأطباءِ الأساة

فحذف الواو من (كانوا) وأبقى الضمة تدل عليها[5].

قال الجعبري : ومعنى هذا ، أنْ يُلفظ بعد الحركة بحركة مدٍّ زائدة[6].كما أنَّه يقول : "إنَّ (حروف المد) لا تملك بالاستقراء سوى الحركات فيجب إذاً اعتبار الحركات بداية لـــ(حروف المد) ومعنى لها "[7].

ثالثها : يرى أنَّ أحد الصنفين لم يسبق الآخر في الاستعمال ، وبه يأخذ مكي بن طالب، وهو يذكر بعد ذلك في بابين آخرين (الحروف) التي زادتها العرب في كلامها على التسعة والعشرين (حرفاً)،وما انفردت العربية به من (الحروف) على بقية اللغات[8].

هذا ما ذهب إليه علماء العربية المتقدمون من آراء قد نكون مخالفين لبعضها ومؤيدين لبعضها الآخر ؛ أمَّا المعاصرون من علماء العربية فهناك من الباحثين من أدخل نفسه في

---

(1) يُنظر :شرح قصيدة مخارج الحروف لابن عبد السلام الفارسي،ص134 عن بحث فونولوجيا اللغة العربية ،ص178.

(2) يُنظر :قضايا أساسية في أساسيات اللغة العربية ،ص614.

(3) الجعبري (640-732هـــ =1242-1332ف) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم ، بن خليل الجعبري ، أبو اسحق ، عالم القراءات والحديث والأصول والعربية ، من فقهاء الشافعية . له نظم ونثر ، ولد بقلعة جبر على الفرات ، وتعلم ببغداد ، ودمشق، واستقر ببلد الخليل في فلسطين إلى أن مات ، يقال شيخ الخليل ، ويعرف بابن السراج ، وكني في بغداد (تقي الدين) له نحو مائة كتاب أكثرها مختصر منها : خلاصة الأبحاث ، وشرح الشاطبية ، ونزهة البررة في القراءات العشرة ، وغيرها.(يُنظر: غاية النهاية 21/1، والإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، لمجير الدين الحنبلي 496/2 ، والأعلام 56/1) .

(4) شرح قصيدة مخارج الحروف لابن عبد السلام الفارسي ، ص 134 عن بحث في فونولجيا اللغة العربية ، ص 178.

(5) يُنظر : التمهيد في علم التجويد،ص19-20.

(6) يُنظر: شرح قصيدة مخارج الحروف لابن عبد السلام الفارسي ، ص134، عن بحث في فونولوجيا اللغة العربية ،ص178.

(7) المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

(8) يُنظر: الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة،ص77-80.

مهاترات الجدل الماضي من المناقشات التي لا طائل يُجْنَي من ورائها ، يقول الأستاذ البيطار : " إنَّ (حروف المد) بما فيها من مدٍّ للصوت وراحة في النطق ربما كانت أسبق من الحركات ــ وقد تكون أصلاً لهذه الحركات ــ ولعل ما في بعض الشواهد الشعرية من إطلاق للحركات حتى تنشأ منها (حروف مد) عودة إلى الأصل الذي أُخذت منه ، فالرأي القائل إنَّ الحركات أسبق من (الحروف) رأي ضعيف ؛ لأنَّ نشأة هذه (الحروف) من الحركات لم يذكره العرب إلا في مواضع معينة ، أكثرها يعود إلى الشعر ؛ وبخاصة في العروض والضرب (التفعيلة الأخيرة من الصدر والعجز) ، كما أنَّ الحركات التي أشبعوا فيها الحركات فنشأت (الحروف) كانت قليلة جداً ، مما يدل على أنَّ هذه (الحروف) التي نشأت من الحركات هي أقرب إلى الضرورات منها إلى القاعدة العامة "[1] .

ويلحظ على هذه الآراء كلها التحليل الفلسفي والاستدلال المنطقي تطبيقاً لنظرية الأصول التي تبناها علماؤنا وأسقطوها على القواعد النحوية والصوتية ، فهي مرجعيتهم ولا يمكن الحياد عنها أو الخروج منها ، مع أنَّه لا جدوى لها في درسنا النحوي ، والصرفي ، والصوتي . فما الفائدة التي تُرْتَجَى في الدرس اللغوي بعامة ، والتشكيل الصوتي بخاصة ، من معرفة أيهما أسبق في الاستخدام اللغوي الحركات أم الصوامت ؟ أو الحركات القصيرة من الطويلة ؟ .

ويجب على الدارس اللغوي اليوم إبعادها عن الدرس الصوتي ، إذْ لا قيمة لها في بناء القواعد اللغوية واستنباط الأحكام العامة ، لكونها نوعاً من (السفسطة) والعبث الفلسفي، والترف الفكري ، وحب الجدل والمناظرة .

(2)

إسقاط فكرة التثليث على المضامين اللغوية :

إنَّ عدَّ الحركات اللغوية ثلاثة ، وتمثيل منطوقها بثلاثة رموز إشارية محددة ، كان ذلك مؤشراً أولياً إلى وجود فلسفةٍ وَبُعْدٍ تاريخيّ يصاحب النظام الثلاثي Tripartite system في عددها ورمزها الإشاري ، من حيث إطلاقه وأبعاده الضمنية التي يحتويها والدلائل القرينة فيه . إلا أنَّ هذه الفلسفة لم تكن بارزة وجلية أمام أعين معظم الدارسين عند النظرة الأولى ، مع أنَّ المتمعن في مضامين العدد الثلاثة وسياقه التاريخي ودلالاته تظهر له فلسفة هذا العدد وأبعاده الضمنية المصاحبة له .

---

[1] عن قضايا أساسية في أساسيات اللغة العربية ،ص632-633.

وسوف ندرس في هذا المبحث فلسفة هذا العدد وأبعاده المنوطة به ، ولكن بعدما نفهم دور الطبيعة والقوانين السحرية [1] في تكوين دلالته وتشكيله ، ومن ثم نوضح كيف أُسقط ذلك على تحديد الحركات العربية ورموزها الكتابية وبداية نقول :

إنَّ المتأمل في حقيقة اللغة يجد فيها من الأسرار ما لا يُدْرَكُ كنهه ولا يُعرف دقيق سره[2] ، مما يغالبه الظن أنها ليست من صنع البشر . عِلمها الإنسان ليستنطق بها الطبيعة ويحاكيها ويتفاعل معها لا أن ينفعل فقط .

لقد كانت الطبيعة مثار اهتمام الإنسان منذ النشأة الأولى ، فاحتوت تفكيره ، وأراد أن يتفاعل معها بأحاسيسه واستعداد ملكته القادرة على إنشاء المسميات باللغة ، بعدما اهتدى أو هُدى إلى الإفادة من جهازه الصوتي في تسمية الأشياء ، سواء كان ذلك بإلهامٍ أو بمحاولة المحاكاة[3].

إنَّ الإنسان الأول رمز بالأصوات إلى الأشياء أولاً ثم إلى المعاني [4]. وفي ذلك يقول كراتيل : " إننا بمعرفة الأسماء نعرف الأشياء أيضاً " [5] . إلا أن كراتيل " لا يتمسك بتحديد العلاقة بين الأسماء والأشياء إلا من أجل أن ينفذ إلى حقيقتها "[6] . ففي بعض اللغات الأفريقية يطلق على المولود لفظة (كونتو Kuntu) بمعنى (شيء) فإذا تعلم اللغة أطلق عليه لفظة (مونتو Muntu) بمعنى (شخص) [7]فالصفة الإنسانية التصقت بالمولود

---

(1) قوانين تحمل في طياتها أبعاداً(أسطورية وفلسفية ضمنية)،أسقطها أهل سومر على مفاهيمهم الفكرية واعتقاداتهم الروحية،وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية :أخذت هذه القوانين تسيطر على أفكار الناس وتفلسف أمور الطبيعة وتسير مجريات الحياة.وقد سُجل لهذه القوانين انتشارٌ واسعٌ في الأقطار المجاورة لمدينة(سومر)بسبب التأثر بحضارتهم الباهرة، والمحاكاة الفكرية والعقدية والاجتماعية بينهم .

(2) يُنظر :فلسفة الحركات في اللغة،ص66.

(3) يُنظر: تفصيل ذلك في الدراسات اللهجية والصوتية عند ابي حني،ص269-275. من الحقائق العلمية أنَّ(الطفل) لا يستطيع أن يكتسب القدرة على نطق أصوات أية لغة من لغات الكلام إلا من خلال تعلم أسماء المسميات أولاً .(يُنظر:أطلس أصوات اللغة العربية،ص13).

(4) يُنظر:علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي،ص148.

(5) بحث في فونولوجيا اللغة العربية ،ص 186 .

(6) بحث في فونولوجيا اللغة العربية ،ص 187.

(7) Diabate, Massa ,makan ,Oral tradition and Mali Literature in the Republic of mali . P .95 .

أود أن أشير هنا إلى أنَّ بعض النظريات اللغوية ترى أنَّ صوت الطفل يجتاز مراحل هي نفس المراحل التي اجتازتها اللغة الإنسانية : المرحلة الأولى، مرحلة الصراخ le cri والأصوات المبهمة المشبهة لأصوات الحيوان ومظاهر الطبيعة ، ثم تكثر لديه في المرحلة الثانية أصوات الحركات الطوال Vocalisation وفي آخر مرحلة يجتازها قبل أن يظهر لديه التقليد اللغوي ، وهي المرحلة التي يسميها علماء النفس بمرحلة المقاطع Articulation أو مرحلة التمرينات النطقية التي تكثر في نطقها الأصوات الصامتة :(ينظر: علم اللغة ، علي وافي ، ص 110-111 ، و 136-165) .

ــ كما يرى كراتيل ــ حين تعلم اللغة ، أي : حين يتعلم المفردة الصوتية أولاً ، ثم الجملة اللغوية الصوتية ثانياً ، لتكون له بالتالي وسيلة تواصل إنساني ، منحصر بالمحيط الذي ارتضى أفرادُهُ ــ (بطريقة غير مقصودة أو غير مجمعية) ــ هذه الأصوات المحدودة؛ للتعبير عن الذوات والصفات التي كان مفهومها مستقراً في ذهن كل فرد من أفراد المجتمع الصغير ، حين كانت في أول أمرها تمثل جزءاً من لغة غير تواصلية ، وهكذا صارت اللغة " أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [1]، وصارت الأصوات اللغوية وسيلة تواصل ميسرة بين أفراد المجتمع الواحد[2]مقتبسين بذلك معانيها ومسمياتها ومضامينها مما يتعايشون معها ــ أي الطبيعة ــ ، والتي يُعدون جزءاً من مظاهرها خوارق يجب أن تعبد في ديانتهم ، كالشمس والقمر والسيارات الفلكية والنجوم ، لعدم معرفة كنهها ، وإدراك دقيق سرها ، وفي ذلك يقول الدكتور : شوقي ضيف : " إنّ عرب الجنوب .. كانوا يؤلهون السيارات الفلكية والنجوم وأثرت ديانتهم الوثنية في العرب الشماليين إذْ يظن أنهم أخذوا عنهم ، كما أخذوا عن الآراميين عبادة الكواكب ، وكانت تقوم على أساس (ثالوث) ، هو القمر ، واسمه عند المعينيين وَد ، وكان إلههم الأكبر ، وتليه الشمس التي اعتبروها زوجة ، وهي اللات ، وفيها وُلد عثتر أو العزّى ، أي : الزُّهرة أو فينوس ، وبجانب هذا الثالوث كان عندهم آلهة أخرى ترمز لبعض النجوم أو بعض الطير أو بعض مظاهر الطبيعة "[3].

كما كان للطبيعة مثل هذا الدور في شهورهم ، يقول البيروني[4] في ذلك : " لم يكن العرب في جاهليتهم يسمون أيامهم بأسماء مفردة كما سمتها الفرس ، غير أنهم أفردوا لكل ثلاث ليال من كل شهر من شهورهم أسماً على حدة ، مستخرجاً من حال القمر وضوئه فيها "[5].

---

(1) الخصائص 33/1.

(2) يُنظر :الكتابة الصوتية ، حسام سعيد النعيمي،ص6.

(3) تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)د. شوقي ضيف،ص29،ط10.

(4) البيروني (362-440هـ/973-1048) : محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي ، فيلسوف رياضي مؤرخ ، من أهل خوارزم ، أقام في الهند بضع سنين ومات في بلده ، إطلع على فلسفة اليونانيين والهنود وعلت شهرته وارتفعت منزلته عند ملوك عصره ، له كتب كثيرة منها : الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب ، والجماهر في معرفة الجواهر ، وتاريخ الأمم الشرقية . (يُنظر : تاريخ حكماء الإسلام ، ص 72 ، والأعلام 314/5) .

(5) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، لمحمد بن أحمد البيروني،ص63-64.

إنَّ ما يلاحظ على هذين النصين : أنَّ الطبيعة ومظاهرها لها الأثر الكبير في ثقافة الإنسان العروبي ، يظهر ذلك جلياً في أواصر العلائق القائمة بين كوكب (القمر) وأطواره الزمنية ، والبدوي المتفاعل مع هذه الأطوار في حياته وإطلاق مسمياته ، ولعل هذا السبب راجع إلى الموروث الثقافي والحضاري الذي نهله العروبي بقصد أو بدونه من الحضارات السابقة التي تزخر بهذا الإرث (الميتافيزيقي = ما وراء الطبيعة) والمكتسب بطبيعة الحال من تراكم (الميثولوجيات = الأساطير) السالفة .

إنَّ الإنسان العروبي الأول بهره ضوء القمر فجذبه ، ووجده ملبياً حاجاته في معرفة أجزاء السنة ، ومنظماً أيام حياته لتغيراته الضوئية الواضحة ، فتفاعل معه دون غيره من الكواكب كالشمس وغيرها [1] ، ومن ثم أسقط هذه المفاهيم على ثقافته ونطق لغته وصوامتها وحركاتها ، يقول سهل بن هارون[2] صاحب بيت الحكمة ، ويعرف بابن راهبون الكاتب : "عدد (حروف) العربية ثمانية وعشرون (حرفاً) على عدد منازل القمر، وغايته ما تبلغ الكلمة منها مع زيادتها سبعة (أحرف) على عدد النجوم السبعة ، قال : وحروف الزوائد إثنا عشر(حرفاً) على عدد البروج ، قال : ومن (الحروف) ما يدغم مع لام التعريف ، وهي أربعة عشر (حرفاً) ، مثل منازل القمر المستترة تحت الأرض ، وأربعة عشر (حرفاً) ظاهرة لا تدغم مثل بقية المنازل الظاهرة ، وجعل الإعراب ثلاثة حركات : الرفع ، والنصب ، والخفض ، لأنَّ الحركات الطبيعية ثلاث حركات . حركة

---

[1] إنَّ القمر كان يطلق عليه الإله (سين) ، وسين هذا هو سيد الشهر والسنة ؛ إنَّ ما وجد في خرائب بابل من ملاحظات فلكية مدهشة بدقتها جاءت مسجلة على لوحات من الطين والآجر المشوي ، تدل على أنَّ أهل هذه الحضارة اعتمدوا نظاماً حسابياً دقيقاً يقسم الساعة إلى ستين دقيقة ودائرة الفلك إلى 360 درجة ، كما تدل على مراقبتهم السيارات الفلكية ومايزهم بينها وبين النجوم الثابتة ومعرفتهم طبيعة دورانها المختلفة السرعة ، كما يستفاد من تلك اللوحات تقسيمهم السنة إلى 12 شهراً ووضعهم الأسماء لها ، وتقسيمهم أيضاً الأسبوع إلى سبعة أيام حسب منازل القمر ، كما أنهم وضعوا في القرن الخامس قبل الميلاد رسماً هندسياً رائعاً للقبة السماوية وخريطة للكون بشكل دائرة . (ينظر : المحيط الكوني وأسراره مسح شامل لعوالم النجوم والمجرات والأبراج ، نجيب زينب ، ص 17-21 ، وبسائط علم الفلك وصور السماء ، يعقوب صروف ،ص 37 ،ومجلة المختار عدد فبراير، شباط ،1981ف ، والحضارات السامية القديمة ، ص 255 والأعداد والألوان ودلالاتها عبر التاريخ القديم ،ص 4 وما بعدها) .

[2] سهل بن هارون بن راهبون (أورامنوي أو راهيون) أبو عمرو الدستميساني (... ــ 215هـ = ... – 830) كاتب بليغ حكيم وشاعر ، من واضعي القصص ، يلقب بـــ(بزرجمهر الإسلام) ، فارسي الأصل ، اشتهر في البصرة واتصل بخدمة هارون الرشيد ، ثم خدم المأمون . له كتاب : ثعلة وعفرة ، والإخوان ، والمسائل . (ينظر : الفهرست ، ص 174 ، وإرشاد الأريب 258/4 ، والبيان والتبيين ، للجاحظ 30/1، والإعلام 143/3) .

الوسط : كحركة النار . وحركة إلى الوسط كحركة الأرض ، وحركة على الوسط كحركة الفلك . وهذا اتفاق ظريف وتأويل طريف "[1].

إنَّ الارتباط في الحياة بمنازل القمر المتباينة والعدد ثلاثة له جذور ضاربة في تاريخ الشرق الاعتقادي منذ فجر الحضارات ، وقد نالت الحضارة (السومرية) جزءاً كبيراً من هذا الإرث الذي اخضوضبته بـــ(القوانين السحرية) ــــ المعروفة آنذاك ــــ التي مثلت وقتها دوراً بارزاً في حياة البشر فقد ساعدت هذه القوانين وبالذات (قانون التشابه) الذي يرتكز على مبدأ العلل المتشابهة تنتج عنها نتائج متشابهة ــــ على تحويل العدد ثلاثة إلى عدد مبارك يعبر عن الجمع ، ويرمز كذلك إلى البركة ما دامت البركة لا تنشأ إلا من الكثرة والوفرة والجمع[2].

إنَّ الاعتقاد ببركة العدد ثلاثة جاء جلياً في تقسيم (السومري) لجميع أمور الطبيعة وعوارضها وجميع أمور الحياة المدارة في الطبيعة والمناطة بها ، فدخل ذلك في علوم الحياة الاجتماعية والعلمية والعملية ،بل حتى المفاهيم الدينية ، فديانة مدينة(الحضر) ــــ مثلاً ــــ بها الثالوث المقدس (= مرن ، مرتا ، برمرين أي الأب والزوجة والابن) والتأثير نفسه فيما بعد بالعدد ثلاثة وبركته مع الثالوث المسيحي العقدي (= الأب ، الابن ، روح القدس) لدى الآراميين والسوريان ومن تأثر بهم من عرب الحيرة وغيرهم [3]، (إنَّ اللَه ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إلَهٍ إلاَّ إلَهٌ وَاحِدٌ)[4].

---

[1] الفهرست،ص15.

[2] إن النموذج الذي استعان به الإنسان في اختيار شكل أعداده وفي تركيبة نظام عدّه كان الجسم الإنساني بالدرجة الأولى وأصابع يده بالدرجة الثانية ، فالعدد (1) عمودياً أشبه جسم الإنسان ، والعدد (2) عرفه من خلال تناظر أعضاء جسمه ، مثل : اليدين والرجلين ... ومما يؤكد على ذلك صيغة التثنية في اللغة العربية ، إذْ كانت في الأصل مقتصرة على أعضاء الإنسان المتناظرة، يؤيد ذلك الأسماء الأولى المؤلفة من مقطعين ، مثل : ماما ، بابا ، زمزم ، هدهد ، كما أن معظم اللغات العروبية الأخرى اقتصرت التثنية فيها على أعضاء الجسم المزدوجة ، يتمثل ذلك في آرامية الكتاب المقدس Aramean Bidlique وفي النصوص البابلية القديمة ، وفي اللغة العبرية أيضاً ، إلا أنها أَلْحَقَتْ التثنية كذلك في الأدوات التي تتألف من شقين ، كالمقص والميزان . (يُنظر: الحضارات السامية القديمة ، ص 255 وما بعدها،والأعداد والألوان ودلالاتها، ص 4 وما بعدها ،ومجلة آفاق عربية، العدد التاسع ــــ السنة السابعة (مارس عام 82)، ص81، ودراسات في فقه اللغة العربية،ص 155-160 ،والفكر عبر التاريخ د.فوزي رشيد،ص 10-13 ، والحضارة الليبية والحضارات الشرقية في العصور القديمة ، ص 183 ، ودراسات في اللغة ، ص 74-75) .

[3] يُنظر: بهجة المعرفة ، موسوعة علمية مصورة ، الصادق النيهوم وآخرون، مج 1 ، المجموعة الثانية (3) مسيرة الحضارة ،ص 46، 50 ،54 ،110، 240 ، 256 ، 272 ، 280 ، والأعداد والألوان ودلالاتها ، ص 7 وما بعدها .

[4] سورة المائدة ؛ الآية (75) .

و لم يقتصر هذا الموروث على ذلك بل صاحب تأثيره اللغة أيضاً والتي يصفها الفلاسفة المتخصصون في الدراسات الاجتماعية بأنها " حياة الإنسان وقوته "[1] ، سواء على صعيدها النطقي أو الكتابي ، حيث جاء تقسيمهم ـــ مثلاً ـــ لحركات لغتهم على نهج الفكرة (= بركة العدد ثلاثة) ـــ إضافة إلى ما تم إسقاطه عليهم من موروثهم الديني (=فكرة الثالوث) ـــ التي لم يستطيعوا تخليص أفكارهم منها ، حيث تم إسقاطها على عدد الرموز الإشارية لأصوات حركاتهم حالما دوَّنوا كتبهم وضبطوا بها أناجيلهم من اللغط ، يقول ابن النديم[2]في ذلك عن أهل الحبشة :" بأنَّ لهم قلماً (حروفه) متصلة كـــ(حروف) الحميري .. يفرقون بين كل اسم منها بثلاث نقط ينقطونها كالمثلث بين (حروف) الاسمين"[3]، ويقول في مكان آخر عن أهل السند :" هؤلاء القوم مختلفو اللغات، مختلفو المذاهب ، ولهم أقلام عدة ، قال لي بعض من يجول في بلدهم إنَّ لهم مئتي قلم .. وأنهم في الأكثر يكتبون بالتسعة الأخرى وابتداؤه :

أ ، ب ، ج ، د ، هـــ ،و ، ز و، ح ، ط، فإذا بلغ (ط) أعاد (الحرف) الأول ونقط تحته .. فيكون ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص، يزاد عشرة عشرة فإذا بلغ إلى (صاد) يكتب على هذا المثال وينقط تحت كل حرف نقطتين..فيكون ق ، ر ، ش،ت، ث ، خ ، ذ ، ظ ، فإذا بلغ (ظ) كتب (الحرف) الأول من الأصل وهذا هو (ﻇ) وتحته ثلاث نقط،هكذا فيكون قد أتى على جميع(حروف)المعجم ويكتب ما شاء[4].

يظهر لنا من خلال هذا النص التزام أهل الحبشة والسند بفكرة العدد ثلاثة وبركته حيث تم إسقاطهم إياه في كتابتهم ، كما إنَّ السوريان تأثروا بهذه الفكرة أيضاً في

---

[1] الأصوات اللغوية ، عبد الله عبد الحميد سويد ، ص 121 .

[2] ابن النديم(...-438هـــ =... 1047):محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم ، صاحب كتاب الفهرست ، يُظن أنَّه كان وراقاً يبيع الكتب .وكان معتزلياً متشيعاً ، من كتبه : التشبيهات . (يُنظر: إرشاد الأريب 408/6 ، ولسان الميزان 72/5 ، والأعلام 29/6) .

[3] الفهرست ،ص 29 ،كما أنَّ المصريين القدماء تأثروا ببركة هذا العدد ،حيث اخترعوا ثلاثة أنظمة للكتابة الفرعونية هي : (الهيروغليفية)،أي: النقش المقدس الكامل الدقة والوضوح و(الديموطيقية) التي يستعين بها الشعب في تدوين اللغة العامية المصرية ، و(الهيراطيقية)التي يستعين بها(الكهنة) في كتاباتهم . كما أنهم أخترعوا لأبجديتهم ثلاثة أساليب : الأبجدية المنفردة ، الأبجدية الثنائية ، الأبجدية الثلاثية ، وذلك بأن يرمز لكل ثلاث أصوات بـــ(حرف) واحد (ينظر : أطلس أصوات اللغة العربية ، ص 40-41).

[4] الفهرست،ص28.

كتابتهم السطرنجيلية ، حيث أسقطوا بركة العدد ثلاثة على رموز حركاتهم اللغوية حال ضبطهم الكتاب المقدس انسجاماً مع موروثهم العقدي الداعي إلى فكرة (تثليث الإله)[1].

وهذان الموروثان (الميثولوجي والأيديولوجي) قد فسحا المجال أمام العدد المذكور لأن يفرض نفسه على الكثير من النتاجات البشرية ، ويهبه أصحابه إلى كل من يتأثر بهم وينهل من مصدرهم الفكري ،وبالتالي فإنَّ لغتنا العربية جاء سياقها ــ ونظراً للعديد من العوامل الجغرافية والتاريخية معيّة اللغات العروبية الأخرى ــ متزامناً مع بركة هذا العدد ؛ لأنها اللغة المستند نظام بنائها عن بقية اللغات الإنسانية على بركة العدد ثلاثة Tripartite System،وبالتالي أمكننا عدها اللغة الأم التي تشعَّبت عنها بقية اللغات العروبية المعروفة ، لانبنائها على هذا الرقم العددي الموروث.إنَّ هذه اللغة بها حوالي أكثر من95% من الأسماء والأفعال ثلاثية الصوامت Trilateral root،وتتألف في الوقت نفسه من الاسم والفعل والحرف ، والزمن فيها ثلاثة : (ماضي ، حاضر ، مستقبل)[2] ، ومرحلة الجمع (غالباً) دون بقية لغات العالم تبدأ بالعدد ثلاثة ، كما أنَّهم جعلوا أصوات الحركات ثلاثة في النطق والكتابة ، ارتباطاً بحركات الطبيعة ، حيث تم إسقاط بركة العدد عليهما معاً ، وفي ذلك يقول أبو حيان[3] :"الحركة مستوية ومستديرة ومنعرجة"[4]، ويقول أحد الباحثين : " فالحركة إمَّا أن يقوم بها الإنسان،وإمَّا أن تحصل له من غيره من البشر الذي يعيش معه، أو من العالم الذي هو فيه بالنسبة إلى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار .. الخ . فهو إمَّا مؤثر على العالم ، وإمَّا متأثر به ، فالعربي بهذه الوجهة التي تتجلى في لغته واضحة ــ لأنه

---

(1) يُنظر: مدرسة البصرة النحوية،ص96.

(2) هناك الكثير من الاستعمالات الأخرى التي تعتمد على بركة العدد ثلاثة على الرغم من أننا لا نعلم بركة هذا العدد . وإنما استخدامنا له جاء لاشعورياً ، ومن تلك الاستخدامات : تناول الإنسان في اليوم الواحد ثلاث وجبات طعام مع إمكانه زيادة عدد هذه الوجبات أو نقصها ؛ الحياة أيضاً مقسمة إلى ثلاث مراتب فلسفية : مرتبة الآلهة ، مرتبة العاقل ، مرتبة غير العاقل ، الأهرام المصرية ثلاث لا أكثر ؛ الرتبة العسكرية لا تتجاوز من نفس الرمز العدد ثلاثة ، فتشكيلات معظم الجيوش العربية قائمة على بركة العدد ثلاثة ، قلب وميمنة وميسرة سواء (الفصيل أو السرية أو الكتيبة ، أو الجحفل) ، الأسماء ذات المقطعين المتناظرين حيث من أولى وأقدم الأسماء المتألفة من ثلاثة مقاطع هي الأسماء المتكونة من مقطعين متشابهين ، وثالث مختلف مثل : علي بابا ، وتاتا آر (=التاتار) ..الخ . إنَّ عدم ذكرنا لجميع الأمثلة المتوافرة راجع إلى أنَّ هذا البحث يهدف في الأساس إلى إيجاد الأسباب التي فلسف بها الأقدمون توجههم إلى بركة العدد ثلاثة .

(3) أبو حيان التوحيدي (نحو 400هـ =نحو 1010) علي بن محمد بن العباس التوحيدي فيلسوف ، متصوف معتزلي ، ولد في شيراز أو نيسابور ، وأقام مدة ببغداد وانتقل إلى الري ، صحب ابن العميد والصاحب بن عباد . مات في استتارة عن نيف وثمانين عاماً ، من كتبه : المقابسات ، والبصائر والذخائر . (ينظر : بغية الوعاة ، ص 348 ، وإرشاد الأريب 380/5) .

(4) المقابسات، تنسيق وتعريب وشرح وفهرسة د . علي شلق ، ص 218.

حافظ نسبياً على أوضاعها ، بينما نراها اندرست في اللغات الأخرى ـــ يرى العالم في أبعاد ثلاثة ، كما أنَّ لغته مبنية على ثلاث حركات "[1] .

لقد أثبت الدكتور عبد الرحمن أيوب تأثر النحاة العرب بالفكر اليوناني ، إذْ يقول بأنهم: " تأثروا بتقسيم أفلاطون[2] Platon Plato للموجودات فقد كانت مشكلة الوجود والعدم من أولى المشاكل التي تعرض لها فلاسفة الإغريق "[3]. ويعلق الدكتور عبد الرحمن على ذلك بقوله : " وأودُّ أن ألفت نظرك هنا إلى أنَّ أفلاطون كان يقسم الموجودات لا الألفاظ التي تدل عليها " [4]، أي أنَّ النحاة اخطأوا ـــ كما يرى الدكتور عبد الرحمن ـــ حينما أخذوا تقسيم أفلاطون للموجودات وطبقوها حرفياً على الألفاظ فهناك فرق بين الشيء والرمز الخاص به .. وبعد أن يوضح الدكتور تقسيم النحاة للكلمة على أساس من التقسيم اليوناني يقول : " لقد وقع النحاة في هذا الخطأ لأنهم كانوا في الواقع متأثرين بالفلسفة الإغريقية عن الموجودات أكثر مما كانوا يدرسون خصائص الألفاظ العربية ذاتها ليقسموها على أساس هذه الخصائص "[5].

كما يؤكد الدكتور أحمد مختار عمر على هذا التأثير إلا أنَّه تأثير من جانب آخر من جانب السوريان إذْ يقول : " تأثر النحو العربي بأخيه (النحو السرياني) في مجالين : الأول الأبجدية ، والثاني حركات الإعراب "[6].

---

[1] فلسفة الحركات ، ص 70 . إنَّ للتفكير والروح جزءاً كبيراً في بناء هاته اللغة وغيرها، يقول أفلاطون في ذلك:" الخط عقال العقل، ويقول إقليدس السقراطي Euclide Lesocratique Euclid the Socratic (نحو 450 – 480 ق.م):الخط هندسة روحانية ، وإن ظهرت بآلة جسمانية "(الفهرست،ص 16). فالمعنى المقروء أو المرئي في الصورة المكتوبة لهذه اللغات يظل حدساً أو تصوراً من أجل استكمال الصورة المنطوقة ،"فهذه(القطيعة)ما بين الصورتين لم تكن من قبيل (التخلف) عن سياق التطور بل كانت موقفاً ثقافياً ينطوي على معنى الجمع ما بين الحاضر والمستقبل أو الحياة الدنيوية والآخروية ، كما هو معروف في الفكر الإسلامي (فما هو مرئي وحسي يكمله ما هو غيبي وحدسي) وما هو جسدي يقابله ما هو روحي"(الخط العربي جمالياً وحضارياً ، شاكر حسن آل سعيد ،ص 52)،وكما يقول إبراهيم بن سيار بن هاني البصري أبو إسحق النظام (231هـ= 845):" الخط أصيل في الروح وإن ظهر بحواس البدن"(الفهرست،ص16).إذاً كانت هكذا اللغة منشطرة في مفاهيمها بين الطبيعة والروح ، لأنها بذاتها مجموعة من الأسرار منذ خلقتها،ولهذا كان الإنسان رادا كل شيء إلى الطبيعة والروح وبركة الأعداد، التي يعوزه فهم دفين أسرارهن .

[2] أفلاطون:فيلسوف في العصور القديمة،ولد بُعيد وفاة بريكليس نحو عام 427 ق.م من أسرة ارستقراطية أثينية ، ترشح للعمل في مضمار السياسة ، متضلع في جميع الفنون ، تحول إلى الفلسفة وعمره عشرون سنة . أخذ مبادئها عن (اقراطيلس)،وكان من الهراقليطيين .صار تلميذاً لسقراط ولم يتفرق عنه إلى يوم محاكمته ، له آثار عديدة ، على شكل محاورات ، منها كتاب : الجمهورية ، والمأدبة ، والدفاع ، وغيرها.(ينظر : معجم الفلاسفة ، إعداد جورج طرابيشي، ص 64-70 ، وموسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ، إعداد روني إيلي ألفا ، مراجعة د . جورج نخل 1/97-106 .

[3] دراسة نقدية في النحو العربي،د .عبد الرحمن أيوب ،ص 9 ،مكتبة الأنجلو،1957 .

[4] دراسات نقدية في النحو العربي ، ص 9-10 .

[5] المرجع نفسه ،ص9 ،وينظر : نظرة في قرينة الإعراب ،ص 27 .

[6] البحث اللغوي عند العرب ، د. عبد الرحمن علي ،ص 248-249 ، دار المعارف مصر 1971 .

كما يقول الدكتور جورجي زيدان[1]:" فالظاهر أنَّ العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو فأعجبهم ، فلما اضطروا إلى تدوين نحوهم نسجوا على منواله ، لأن اللغتين شقيقتان ، وأقسام الكلام في العربية نفس أقسامه في السوريانية "[2].

وإذا كان جورجي زيدان لا يستطيع مجرد الحديث عن حركات الإعراب الحالية فإنَّ مصطفى صادق الرافعي[3] يرى أنَّ هذه الحركات من تأثير السوريان حينما تنصَّروا وأرادوا ضبط قراءتهم في الأناجيل فوضعوا علامات صغيرة على الحركات ، ولا يزال أثر هذه الطريقة في المصاحف المخطوطة حتى القرن الثاني الهجري "[4] ، بل دخلت فكرة العدد ثلاثة وبركته حتى في رسم (الحروف) العربية ، فبعض (حروف) العربية لازمت بركة التثليث في شكلها حال رسم هيكلها وهي على النحو الآتي :

إنَّ الإطار العام لرسم (الحرف) (ب) يشاكله رسم حرف(ت) +(ث) ، كما أنَّ الإطار العام لرسم حرف (ج) يشاكله رسم حرف (ح)+(خ) (= ثلاثة أحرف متشابهة في الشكل والرسم) . هذا من حيث الإطار العام في هيكلها وشكلها . أمَّا من حيث النطق ، فإنَّ فكرة بركة التثليث لازمت تقسيمهم لنطق بعض (الحروف) ، فـــ(الصاد) يمثل الحالة القصوى في التفخيم مع (الحروف) المشاركة لها في المخرج ، و(السين) تمثل الحالة الدنيا في الترقيق من نفس المخرج ، و(الزاي) يمثل حالة بينهما ، كما أنَّ (الطاء) يمثل الحالة القصوى في تفخيمه مع (الحروف) المشاركة له في المخرج ، و (التاء) تمثل الحالة الدنيا في الترقيق ، و(الدال) يمثل حالة بينهما من حيث التفخيم والترقيق ، ومثلها كذلك : الظاء والذال والثاء .. الخ .

---

[1] جورجي بن حبيب زيدان (1278-1332هـــ = 1861-1914) عربي لبناني ، قام عام 1886 بمحاولات ترمي إلى وصل الدراسات اللغوية العربية بالدراسات اللغوية الغربية ، ومن ذلك كتابه : الفلسفة اللغوية . لجورجي زيدان مؤلفات أخرى منها : تاريخ اللغة العربية ، وتاريخ الأدب العربي ،وتاريخ الإسلام ،وقد خطا (علم اللغة)خطوات كبيرة منذ تأليفه لكتابيه .(يُنظر : أعلام اللبنانيين في نهضة الآداب العربية ، ص 71 ، وأطلس أصوات اللغة ، ص 57-58 ، والأعلام 117/2).

[2] مدرسة البصرة النحوية ،د . عبد الرحمن السيد ، ص 95 .

[3] مصطفى صادق الرافعي(1298-1356هـــ = 1881-1937)ابن صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد عبد القادر الرافعي ، عالم بالأدب ، شاعر من كبار الكتاب ، أصله من طرابلس الشام ، ومولده في بهيم ، ووفاته في طنطا بمصر ، أصيب بصمم ، له ديوان شعر ، وتاريخ آداب العرب ، وتحت راية القرآن ، وغيرها . (يُنظر : تراجم علماء طرابلس وآدابها ، لعبد الله بن حبيب نوفل ،ص 211 ،والأعلام 235/7).

[4] يُنظر : مدرسة البصرة النحوية ، ص 96 .

ولا يقتصر الأمر على رسم (الحروف) ونطقها ، بل صاحبت ـــ أعني فكرة بركة التثليث ـــ إعجامها ، فالإعجام لم يتجاوز الثلاثة في رسمنا العربي ، وهو في الباء واحد ، وفي التاء اثنان وفي الثاء ثلاث ، مع إمكان اجتياز الثلاث لتتمايز به (الحروف) ، وهم في أشد الحاجة لذلك ،كأن يرمزوا لـــ(حرف الجيم) في صوتيه (جار= الجوار، الجري) و (حرف الخاء) في صوتيه (خال = الخلاء ، أخ الأم) .. الخ [1] . ولكنهم عدلوا بعلم أو بدونه عن ذلك ليوافقوا فكرة بركة التثليث وإن لم يكونوا قاصدين ، جرياً مع المألوف .

أمَّا الحركات اللغوية فقد جاءت مساوية لحركات الطبيعة ـــ كما ذكرنا سابقاً ـــ متأثرة في ذلك بفكرة بركة التثليث التي صاحبت الفلاسفة والمفكرين طوال حياتهم ، ولم يستطيعوا التخلص منها ، واستمر الحال كذلك إلى أن وظفت هاته الحركات في رسمنا الكتابي داخل لغتنا العربية فجاءت الحركات على ثلاث : فتح ، وضم ، وكسر ، ولم يقتصر الأمر على الفن الكتابي ، بل لازمت فكرة التثليث حتى التحليل العقلي حيال تقسيمهم الحركة ، فالحركة الواحدة تقسم في ذاتها على ثلاثة أجزاء ، قد يحذف ثلث ويبقى الثلثان ، كما في حالة الروم [2] ، في قوله تعالى : (نَسْتَعِينُ)[3].. الخ ، وقد يحذف الثلثان ويبقى الثلث كما في حالة الاختلاس[4] في مثل قوله تعالى :(فَنِعِمَّا)[5]، (يَهْدِّي)[6] (يَخْصِّمُونَ)[7].. الخ .

كما أنَّ الألف من الحركات الطويلة متكون من ثلاث حركات ، و (المد الطويل) متكون أيضاً من ثلاث ألفات[8] ، ومقدار الحركة الطويلة كقبض الأصبع أو بسطه . يقول في ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين: "يسهل علينا الآن أن نرى كيف تمَّ هذا التركيب على ثلاث درجات متنازلة ـــ حول (الحرف):فهو صحيح أو معتل،و(الحرف) المعتل الساكن يعطينا (حروف المد) ـــ ومن (حروف المد) تتفرع الحركة التي هي جزء من (حروف المد) وهذه الحركة يمكن أن يطلق عليها حينئذٍ (حرفاً صغيراً) فكل درجة في هذا القسم يمكن أن توصف إذن بأنها :(حرف ، حرف المد ، حرف صغير)[9].

(1) يُنظر: تفصيل ذلك في رسالتي (الماجستير) ، ص231.
(2) يُنظر:لطائف الإشارات،178/1.
(3) سورة الفاتحة ،الآية رقم(4).
(4) يُنظر: المنح الفكرية،ص50،وما بعدها .
(5) سورة البقرة ؛الآية رقم(270).
(6) سورة يونس؛الآية رقم (35).
(7) سورة يس ؛الآية رقم (48).
(8) يُنظر: المنح الفكرية ،ص50 وما بعدها .
(9) التفكير الصوتي عند العرب ، هامش رقم(2) ص88.

لقد سيطرت فكرة بركة التثليث على أهل العربية فأرادوا توظيفها في اللغة وفي فلسفتها، كما نراهم حيال وجود الحركة مع (الحرف) ، فهم يذكرون أنَّ الحركة قد تكون قبل (الحرف) أو بعده أو فوقه [1] .

إنَّ نظرية علماء المسلمين كما يؤكد فلايشر Fleischer .H.L [2]هي " نظرية المناطقة.. منتهين إلى اعتبارها صارمة صرامة العقيدة[3] ونظرية المناطقة مضمونها في (نظرية الأصول) التي تبناها علماء العربية وجسدوها في تحاليلهم وآرائهم ، منتهجين النهج الفلسفي

---

[1] يُنظر: الخصائص 321/2 ،وسر صناعة الأدب ، 32/1 .

لم ينته إيمان الناس ببركة العدد ثلاثة عند هذا الحد ، بل صاحبت أهل الفكر وبعض العبادات والنسك والسنن ، - بعدما صاحبت أهل اللغة والنحو ــ إذ يذكر أهل الاعتزال فكرة الأعراف ،وهي مرحلة بين البينين، ــ أي بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ــ كما أن العديد من العبادات والنسك مبنية على بركة العدد ثلاثة ، فأيام العيد ثلاثة ، والإعلان عنها بإطلاق المدفع ثلاث مرات ، والأدعية في أثناء الصلاة والوضوء ثلاث مرات ، كما إن كفارة اليمين صيام ثلاثة أيام ، وأيام التشريق ثلاثة أيام ، وأقل مدة لختم القرآن مع التدبر ثلاثة أيام ، وتقبل العزاء ثلاثة أيام،وهكذا ،كما أنَّ العديد من العبادات والنسك في الإسلام مبنية على بركة العدد ثلاثة سواء برمته أو بضربه في نفسه وبالتوالي أو بضربه في العدد (7) ، لأن هذا العدد تحول أيضاً بسبب الحاجة وإسقاط القوانين السحرية عليه إلى رمز يدل على الجمع والكثرة وقد مثل بذلك دوراً رائعاً لنفسه أو بضربه في العدد ثلاث وهكذا دواليك. فمثلاً : البدر مكون من اجتماع سبعتين ، وأكبر وحدة زمنية بعد اليوم الأسبوع ، والسعي بين الصفا والمروة سبع ، والسموات الطباق سبع ، والكلمة العربية مهما اتصل بها من لواحق (Suffixes) أو سوابق (Prefixes)لا يزيد عدد مقاطعها على سبع ، والمعلقات الشعرية سبع ، وغسل الأواني المنجسة بلعاب الكلب سبع ، والرؤية لملك مصر (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ) ، وعجائب الدنيا سبع،واستقبال الرؤساء بواحد وعشرين إطلاقة،أي:بضرب ثلاثة في سبع ،يعني : اجتماع الاجتماع والكثرة والبركة .. الخ ، لقد أثرت فكرة التثليث في أهل اللغة وفي العديد من العبادات والنسك وصاحبت كذلك أهل الفلسفة والفكر ، إذ يقول الرازي : " إنَّ أجسام هذا العالم على ثلاثة أقسام : أحدها ما تكون خالية عن الإدراك والشعور وهي الجمادات والنباتات، وثانيها التي يحصل لها إدراك وشعور ولكنها لا تقدر على تعريف غيرها الأحوال التي عرفوها في الأكثر وهذا التقسيم هو جملة الحيوانات سوى الإنسان ، وثالثها الذي يحصل له إدراك وشعور ويحصل عنده قدرة على تعريف غيره الأحوال المعلومة ، وذلك هو الإنسان وقدرته على تعريف الغير الأحوال المعلومة عنده بالنطق والخطاب " (التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، 187).

[2] هاينرش ليبرشت فلايشر (1801ــ 1888) عمل أستاذاً للغات الشرقية منذ سنة 1835، في كلية اللاهوت أولاً ، ومن ثم في كلية الفلسفة منذ عام 1840 . درس فلايشر اللاهوت أولاً ، لكنه عاد فدرس اللغة العربية والتركية والفارسية ، في الفترة(1824 حتى 1828)، أعرض فلايشر عن كل ما هو تأملي ونظري ، تناول بشكل خاص في مساهمته التي نشرها تحت عنوان : مساهمات في علم اللغة العربية ،قواعد العربية لدى أنطوان دي ساسي ، 1831، وهي سبر نقدي جذري ،كما قدَّم في موضوعاته(دراسات حول ملاحق دوزي لقواميس العربية)تصويبات كثيرة لهذا الكتاب ، عرف بأنَّه مؤسس الدراسات العربية المنظمة في ألمانيا ، شغل كرسي العربية في جامعة ليبسيك لمدة خمسين عاماً ، تخرج على يديه كل من جولدزيهر ،وفكتور روزن ، ومن الألمان ي ، بارث ، وكان عضواً في جمعية المستشرقين . (يُنظر : تاريخ حركة الاستشراق للمستشرق يوهان فك ، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، ص 176-180.

[3] بحث في فونولوجيا اللغة العربية ، ص 188 .

والتدليل المنطقي في إثبات الآراء والأقوال ، وهكذا فقد كانت مرجعية هذين المبحثين مبنية على أقوال الفلاسفة ومنظريهم ، متمثلة في (نظرية الأصول) لدى المبحث الأول، وفي القول (بالتثليث) لدى المبحث الثاني .

ومن هذا كله نصل إلى نتيجة هي أنَّ علماء العربية أسقطوا مفاهيم هذه (النظرية) التي تبنَّوها ومضامين (فكرة بركة التثليث) على أبحاثهم اللغوية (لا العقدية) ، وجسَّدوها بالأخص في درسي الكتابة العربية وعلم النحو ، ولم يستطيعوا التخلص منها والخروج عنها ، سواء في رسم شكل بعض (الحروف) ، أو في إعجامها ونطقها ، أو في نطق الحركات وتقسيم ذاتها وفلسفتها ، ويرجع السبب في ذلك كله إلى تشبعهم بهذه النظرية والمضامين في معظم مفاهيمهم العامة .

المصادر والمراجع

ــ القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن الإمام نافع .
ــ الآثار الباقية عن القرون الخالية ، للبيروني ، طبع : ساخو ليسك.
ــ أساسيات علم الكلام ، جلوريا بوردن وكاثرين هاريس ، ترجمة د. محي الدين حميدي ، طرابلس :دار الفرجاني للنشر والتوزيع .
ــ أصوات العربية بين التحول والثبات ، حسام سعيد النعيمي، طبع دار الكتاب ــ جامعة الموصل ،1989.
ــ أطلس أصوات اللغة العربية،د.وفاء محمد البيه،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1994.
ــ الأعداد والألوان ودلالاتها عبر التاريخ القديم ،د. فوزي رشيد ، بحث لم يُنشر بعد .
ــ الأعلام،قاموس تراجم لخير الدين الزركلي، ط9،بيروت:دار العلم للملايين ،لبنان، 1990.
ــ أعلام اللبنانيين في نهضة الآداب العربية ، نشر اللجنة اللبنانية لإعداد شهر الأنسكو في بيروت ، 1984.
ــ الألسنية : علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام ،د. ميشال زكريا ، ط 2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1403هـــ-1983.
ــ الأنس الجليل في تاريخ القدس الجليل لمجير الدين الحنبلي ، ط .بمصر 1350هـــ .
ــ إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، ط2 القاهرة :دار الكتب الإسلامي ،1992.
ــ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف .بمعجم الأدباء لياقوت الحموي ، ط مرجليوت .بمصر ، 1907ــ 1925.
ــ إسلام ضد إسلام : شريعة من ورق ، الصادق النيهوم ، ط2 ، دمشق : إصدار رياض الريس للكتب والنشر ، 1995.
ــ البحث اللغوي عند العرب ، د. عبد الرحمن علي ، دار المعارف .بمصر 1971.
ــ بدائع الفوائد ، لابن القيم الجوزية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(د ت) .
ــ بسائط علم الفلك وصور السماء ، يعقوب صروف ،(دت) .
ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ،1964.
ــ بهجة المعرفة : موسوعة علمية مصورة ، الصادق النيهوم وآخرون ، مج 1 ، المجموعة الثانية(3) مسيرة الحضارة ، طبعة الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان .
ــ البيان والتبيين ، للجاحظ ، المطبعة العلمية .بمصر ، 1311 ــ1313 هـــ .
ــ تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي ، د . شوقي ضيف ، ط10(دت).
ــ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ط مصر ، 1349هـــ .

ـــ تاريخ حركة الاستشراق ، للمستشرق يوهان فك ، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، ترجمة عمر لطفي العالم ، دمشق : دار قتيبة ، 1417هـــ/1996.
ـــ تاريخ حكماء الإسلام ، للبيهقي ، دمشق ، 1965هـــ /1946.
ـــ تراجم علماء طرابلس وآدابها لعبد الله حبيب نوفل ، طرابلس ،1929.
ـــ التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ، محمد المنجي الصيادي ، بيروت ، 1980.
ـــ التفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، ط2، طهران :الناشر دار الكتب العلمية .
ـــ التمهيد في علم التجويد لابن الجزري أبي الخيرات بن محمد بن محمد بن محمد ، القاهرة 1326هـــ .
ـــ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، ط حيدر آباد الدكن 1325- 1327هـــ .
ـــ تهذيب اللغة للأزهري أبي منصور محمد بن أحمد ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، القاهرة، 1384هـــ 1964.
ـــ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، مصر 1948.
ـــ الحضارات السامية القديمة ، سينينتو موسكاتي ، ترجمة د. يعقوب بكر ، القاهرة(د.ت) .
ـــ الحضارة الليبية والحضارات الشرقية في العصور القديمة ، تأليف مجموعة ، ليبيا ـــ تونس : ، الدار العربية للكتاب، 1392-1393هـــ- 1993-1994.
ـــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ، مصر 1351هـــ.
ـــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ، طبعة بولاق (استخدمت في التراجم) مصر 1299هـــ .
ـــ الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، طبعة مزيدة ومنقحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط23 القاهرة : 1407هـــ/1987.
ـــ الدراسات الصوتية عند علماء العربية ، عبد الحميد الأصيبعي ، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية العالمية ، 1992.
ـــ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د . حسام سعيد النعيمي ، بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، 1980.
ـــ دراسات في فقه اللغة ، إبراهيم السامرائي ، مطبعة بغداد1961.
ـــ دراسات في فقه اللغة،صبحي الصالح ، ط8 ،بيروت :دار العلم للملايين ،بيروت ، 1980.
ـــ دراسات نقدية في النحو العربي ، د . عبد الرحمن أيوب ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1957 .
ـــ دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، ط4 ،القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ،1980 .

ــ الدلالة الصوتية في اللغة العربية،صالح سليم عبد القادر،منشورات جامعة سبها،1988.
ــ دور الكلمة في اللغة ، استيفن أولمان ، ترجمة وتعليق د . كمال بشر ، القاهرة : مكتبة الشباب ، 1975 .
ــ الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن طالب (ت437هـــ) تحقيق أحمد حسن فرحات ، دمشق 1973 .
ــ سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة : مكتبة ومطبعة محمد البابي وأولاده بمصر ، 1374هـــ- 1954 .
ــ شرح المفصل لابن يعيش ، مكتبة المتنبي القاهرة (د ت) .
ــ شرح شافية إبن الحاجب ، للاسترآبادي رضي الدين محمد ابن الحسن ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، ط2 ، بيروت : مطبعة دار الكتب العلمية ، 1982 .
ــ شرح قصيدة مخارج الحروف لابن عبد السلام الفاسي .
ــ الشفاء لابن سينا، الطبيعيات(1ــ السماع الطبيعي) تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1983.
ــ الشفاء لابن سينا، الطبيعيات(6 ــ النفس) تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1975 .
ــ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، لعبد الرحمن الجبرتي ، مصر 1297هـــ .
ــ علم الأصوات اللغوية،د.عصام نور الدين(الفونوتيكا)، بيروت :دار الفكر اللبناني، 1992.
ــ علم اللغة،لعلي عبد الرحمن وافي ، ط9 ، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، 1945.
ــ علم اللغة العربية : مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، محمود فهمي حجازي ، الكويت: وكالة المطبوعات ،1973 .
ــ غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين ابن الخير ابن الجزري ، مصر 1351هـــ .
ــ الفكر عبر التاريخ ،د . فوزي رشيد ، دار سيناء للنشر ، 1995 .
ــ الفهرست للنديم ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1978 .
ــ في اللهجات العربية ،إبراهيم أنيس ط2، القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ، 1952 .
ــ في النحو العربي : نقد وتوجيه ،مهدي المخزومي،ط3 ،بيروت: دار الرائد العربي ، 1994.
ــ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ،عبد الصبور شاهين ، القاهرة : دار القلم - مكتبة الخانجي ، 1966- 1967.
ــ قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، مدخل مازن الوعر، دار أطلس للدراسات والترجمة والنشر ، 1988.
ــ كتاب الأشباه والنظائر في النحو ، أبو الفضل عبد الرحمن ابن الكمال جلال الدين السيوطي ، راجعه وقدم له د. فايز الترحيني ، دار الكتاب العربي ،1404هـــ - 1984 .

ـــ كتاب سيبويه ، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار القلم 1966 . ج2 دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1968 . ج3 النهضة المصرية للكتاب 1973 . ج4 الهيئة المصرية للكتاب 1975 .
ـــ لسان العرب لابن منظور ، ترتيب يوسف الخياط ، بيروت : دار لسان العرب ، بيروت (دت) .
ـــ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد 1331هـ.
ـــ لطائف الإشارات لفنون القراءات ، للقسطلاني ، تحقيق عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان ، القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، 1392هـ / 1972 .
ـــ لغويات ، عبده عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي (دت) .
ـــ الحكم والأمثال في الشعر العربي ، أحمد قبش ، ط3 بيروت : دار الرشيد ، 1985 .
ـــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق علي الجندي ناصف وآخر ، القاهرة :المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ا 1389هـ - 1969 .
ـــ المحيط الكوني وأسراره : مسح شامل لعوالم النجوم والمجرات والأبراج ، نجيب زينب ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، 1415هـ- 1994 .
ـــ مدخل إلى علم اللغة ، لوريتو تو ، ترجمة مصطفى التوني ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994 .
ـــ مدرسة البصرة النحوية لعبد الرحمن السيد ، دار المعارف مصر .
ـــ مراجع اللسانيات ، د . عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ،1989 .
ـــ معجم الفلاسفة (الفلاسفة والمناطقة والمتكلمون واللاهوت والمتصوفون) إعداد جورج طرابيشي ، بيروت : دار الطليعة ، 1987 .
ـــ معجم علم اللغة النظري ، محمد الخولي ، بيروت: مطبعة لبنان 1983 .
ـــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لطاش كبرى زاده ، حيدر آباد ، 1329هـ .
ـــ المقابسات ، لأبي حيان التوحيدي ، تنسيق وشرح وتعليق وفهرسة د. علي شلق ، بيروت: دار المدى للطباعة والنشر ،1986 .
ـــ من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، القاهرة : طبع لجنة صوت البيان العربي ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، 1951 .
ـــ المنح الفكرية على متن الجزرية ، الملا علي القاري ، المطبعة الميمنية مصر 1322هـ .
ـــ المنهج الصوتي للبينية العربية ، عبد الصبور شاهين ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1977 .

ــ موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ، إعداد روني إيلي إلفا ، مراجعة د . جورج نخل، بيروت : دار الكتب العلمية ،1992 .
ــ موسيقى الشعر العربي ، شكري عياد ، دار المعرفة ، 1968 .
ــ نظرية اللغة والجمال في النقد العربي،د.تامر سلوم،سوريا:دار الحوار للنشر والتوزيع، 1983.
ــ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندي ، ط بغداد (د ت) .

الدوريات

ــ بحث في فونولوجيا اللغة العربية ، أوديت بيّ ، مجلة الفكر العربي ، العددان 8 و 9 (15 يناير ، 15 مارس السنة الأولى 1979).
ــ بداية الكتابة العربية ، محمود حلمي ، مجلة عالم الفكر ،مجلد 17،العدد2 (سبتمبر 1986) .
ــ التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب ، هنري فليش ، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين ، مجلة مجمع القاهرة(1986) مجلد23 .
ــ الخط العربي جمالياً وحضارياً ، شاكر حسن آل سعيد ،مجلة المورد ،ج15،(1986)العدد3 .
ــ الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ، لعبد الكريم مجاهد ، مجلة الفكر العربي للعلوم الإنسانية ، العدد 26 ، السنة الرابعة ، آذار مارس 1982 ..
ــ الصوتيات عند ابن جني ، بدر الدين الرفاعي ، مجلة التراث العربي ، العدد 13-14 ، السنة الرابعة(1984).
ــ الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة ، عبد الفتاح المصري ، مجلة التراث العربي ، العدد 13، السنة الرابعة ، (محرم1404هـ- يناير1984).
ــ الصيغ الصرفية في اللغة العربية ، إدريس السغروشني ، مقال في وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات في المغرب ، الرباط: كلية الآداب ، (21-24 إبريل 1987) . إعداد عبد القادر الفاسي الفهري وآخرين .
ــ فلسفة الحركات في اللغة ، أحمد الأخضر ،مجلة اللسان العربي ،مجلد 1 العدد 1(1973).
ــ الكتابة الصوتية د.حسام سعيد النعيمي ، مجلة المورد ، مجلد 16 ، العدد1 ، 140هـ /1987
ــ مجلة المختار ، عدد (فبراير - شباط 1981) .
ــ مجلة آفاق عربية ، العدد التاسع ، السنة السابعة (مارس 1982) . ص81 .
ــ نظرة في قرينة الإعراب ، د . محمد صلاح الدين بكر ، حوليات كلية الآداب- الحولية الخامسة ، 20- 24 ، الرسالة العشرون ، تصدر عن كلية الآداب جامعة الكويت ، 1984.

المراجع الأجنبية :

-Clinical Anatomy for Medical Students, Richards Snell.
-Dibate,Massa.Makan,Oral Tradition and Malilite Rature in the republic of Mali.
-Element of Cenetral Phonetics, P.30& The principles of language Study,P.26.9.
-Spect of language,P.168&An Introduction to descriptive linguistice,P.426.

حرف الظّاء

د. موسى محمد زنين

قسم اللغة العربية ـــ كلية الآداب

جامعة الجبل الغربي

الظّاء من الحروف العربية التسعة والعشرين ، يقول إمام النحاة سيبويه :" فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً "[1] .

وقد رتبها في كتابه حسب مخارجها ، فكانت **الظاء** في الترتيب الثالث والعشرين وترتيبه هذا ابتدأ من أقصى الحلق متدرجاً حتى ختم بما هو من الشفاه ، وهو أجود ترتيب على وفاق المخارج[2] .

وحرف **الظاء** يحتل الترتيب السابع عشر من حروف الهجاء،حسب الترتيب الألفبائي، والسابع والعشرين في الترتيب الأبجدي ، ويساوي في حساب الجمّل تسعمائة، والحرف الثالث عشر في هجاء المغاربة، والسادس والعشرين في أبجديتهم ، ويعد عندهم ثمانمائة في حساب الجمل[3].وهجاء المغاربة يختلف في تقديم بعض الحروف ، وتأخير بعضها الآخر .

روى الليث أن الخليل قال : " **الظاء** حرف عربي خص به لسان العرب ،لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم "[4].

والظاء من الحروف التي لا تتأثر إطلاقاً ، والمقصود من ذلك التأثر ، هو ابتعاد الحرف عن الشكل الذي يجب أن يكون فيه حسب موقعه من الكلمة ، أو الابتعاد عما ألفناه فيه من تركيب[5] .

و لم تأت **الظاء** مفردة في كلام العرب ،كذلك لم تأت لا زائدة ولا بدلاً ، بل أصلاً قائمة[6].

---

(1) الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون 431/4.

(2) كتاب الإملاء ، حسين والي ص20 .

(3) معجم متن اللغة ، الشيخ أحمد رضا 655/3 .

(4) تاج العروس ، محمد الزّبيدي ، تحقيق عبد الكريم العَزْباوي 201/20 .

(5) الحرف العربي ، عبد العزيز سعيد الصويعي ص 344.

(6) موسوعة الحروف في اللغة العربية ، دكتور إميل بديع يعقوب ص 283 .

والظاء والذال والثاء من الحروف اللثوية ، سمّاهن بذلك الخليل ، حيث نسبهنّ إلى اللِّثة، لأنهن يخرجن منها ، (واللثة : اللحم المركب فيه الأسنان).

والظاء من الحروف المجهورة ، وهي أقوى من المهموسة والحرف المجهور حرف قوي يمنع النفس أن تجري معه عند النطق به لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه .

والجهر عند اللغويين المحدثين : " هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به "[1].

فهي كالذال ، ولكن هذا الصوت يختلف عن الذال في الموضع الذي يأخذه اللسان مع كل منهما،فعند النطق بالظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذاً شكلاً مقعراً" [2] .

والظاء من الحروف الرخوة ، ومعنى الرخو أنه حرف ضعف الاعتماد عليه عند النطق، فجرى معه الصوت ، فهو أضعف من الشديد .

والظاء أحد حروف الإطباق الأربعة ، وهي : الطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد ، وسميت حروف إطباق لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها .

يقول ابن جني : " والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له ، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً،والصاد سيناً ، والظاء ذالاً،ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها ، تزول الضاد إذا عدمت الإطباق البتّة " [3].

ويرى المحدثون أن لجميع أصوات الإطباق نظائر منفتحة ، فالطاء ويقابله التاء ، الصاد ويقابله السين ، الظاء ويقابله الذال ، الضاد ويقابله الدال[4] .

والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها،وليّ اللسان مع أصول الثنايا العليا .

والظاء يعد من حروف الاستعلاء السبعة ، وهي: الصاد، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والخاء ، والغين ، والقاف .

سميت بذلك لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك ، فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك .

---

[1] الأصوات العربية المنحولة وعلاقتها بالمعنى ، عبد المعطي نمر موسى ص52 .

[2] الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ص 45 ، 46 .

[3] الداني ، تحقيق الدكتور أحمد كشك ص 63 .

[4] الدراسات الصوتية عند علماء العربية ، عبد الحميد الهادي الأصبيعي ص93 .

يقول ابن جني " .. ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى ، فأربعة منها مع استعلائها إطباق ، وأما الخاء والغين والقاف ، فلا إطباق فيها مع استعلائها"[1].

وأما مخرجها فما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، خارجاً طرفه قليلاً ، ويخرج معها من ذلك الموضع الذال والثاء [2] .

والفرق بينها وبين الضاد إنما هو المخرج والاستطالة لا غير .

وقد أجمع علماء اللغة على أن العرب خصت بحرف الظاء دون سائر الأمم ، لم يتكلمها غيرهم ، ولغرابتها صارت أقل حروف المعجم وجوداً في الكلام ، وتصرفاً في اللغة ، واستعمالاً في ضروب النطق ، فهي لا توجد إلا في نحو مائة من جملة كلام العرب منظومه ومنثوره وغريبه ومشهوره[3] .

والظاء من الأصوات التي يختلط الأمر فيها على الدارس والناطق معاً بصوت الضاد ، وذلك للخلطة الحاصلة بين الحرفين في كثير من الأحيان ، ولهذا فقد أصبح وجودهما محتاجاً إلى تحديد وإيضاح ، وهذا الأمر تملك دارسي العربية قديماً وحديثاً ، وزاد أمرهم حين اتصل درسهم بالقرآن الكريم .

نقل عن الأصمعي أنه قال : " تتبعت لغات العرب كلها ، فلم أجد فيها أشكل من الفرق بين الضاد والظاء " [4] .

فلم يكد يبدأ القرن الرابع الهجري حتى شعر علماء اللغة باضطراب الألسنة في التمييز بين الصوتين الضاد والظاء اضطراباً شديداً ،حتى وصل هذا الاضطراب إلى أقلام بعض الكتّاب ، فأصبحوا يكتبون بعض الكلمات المشتملة على الضاد بالظاء أو العكس ، وهذه الظاهرة نشهدها الآن بين التلاميذ في بعض البلاد العربية[5].

ولما استفحل الأمر في القرن الرابع الهجري في التمييز بين الصوتين نطقاً وكتابة ، قام كثير من علماء العربية بتأليف الكتب التي تجمع الكلمات التي تكتب بالظاء ، والتي تكتب بالضاد ، كما نظموا القصائد التي تحوي الكلمات التي بها الظاء ، سواء أكان ذلك في القرآن أم الشعر أم النثر .

---

[1] سر صناعة الإعراب 62/1 .

[2] الفرق بين الضاد والظاء للإمام أبي عمرو الداني ، تحقيق الدكتور أحمد كشك ص 61 .

[3] الفرق بين الضاد والظاء للإمام أبي عمرو[1] سر صناعة الإعراب ، تحقيق حسن هنداوي 61/1

[4] المصدر السابق ص 41 .

[5] الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ص 54 .

وذلك لأن الكلمات التي بها هذا الحرف لا يتجاوز عددها مائة كلمة كما تقدم .

لقد هبّ اللغويون منذ فترة مبكرة يحذرون المتحدثين من الخلط بين الضاد وبين صوت آخر قريب الشبه به في النطق القديم ، وهو صوت الظاء[1] ، فألفوا كتباً كثيرة في الفرق بين الصوتين ، وجمعوا قدراً كبيراً من الكلمات التي تكتب بالضاد ونبّهوا إلى الفرق بينها وبين كلمات أخرى تكتب بالظاء .

ونقدم في هذا البحث قائمة لبعض الذين ألفوا كتباً أو نظموا قصائد في هذا الموضوع استقيتها من تحقيق كتابَي : (زينة الفضلاء لأبي البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التّوّاب ــ والفرق بين الضاد والظاء للإمام أبي عمرو الداني ، تحقيق أحمد كشك) مرتبة حسب تاريخ وفاة كل منهم .

أولاً : بعض ما أُلف في الموضوع :

1 ــ أبو بكر القيرواني أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي النحوي (ت318هـ) له كتاب الضاد والظاء .

2 ــ أبو الفهد النحوي البصري (ت320هـ) له كتاب الفرق بين الضاد والظاء والذال والسين والصاد .

3ــ أبو عمرو الزاهد المعروف بغلام ثعلب (ت345هـ) له كتاب الفرق بين الضاد والظاء .

4 ــ الصاحب بن عباد (ت385هـ) له كتاب الفرق بين الضاد والظاء .

5 ــ محمد بن جعفر القزاز (ت412هـ) له كتاب الظاء .

6 ــ أحمد بن مطرف بن إسحاق القاضي(ت413هـ)له رسالة في الضاد والظاء .

7ــ أبو فرج محمد بن عبد الله بن سهيل النحوي (ت420هـ) له كتاب الضاد والظاء.

8 ــ أبو عمرو الداني(ت444هـ) له رسالة في الظاءات ، وله الفرق بين الضاد والظاء.

9 ــ أبو القاسم مرجّي بن كوثر المعري النحوي (ت449هـ) له كتاب الضاد والظاء.

10ــ سعد بن علي بن محمد الزنجاني(ت470هـ)له كتاب معرفة ما يكتب بالضاد والظاء .

11ــ أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن أحمد القيسي الصقلي (ت472هـ) له كتاب الفرق بين الضاد والظاء .

---

[1] زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ،لأبي البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التّوّاب ص7 .

12ــ القاسم بن علي الحريري(ت516هـ) له كتاب الفرق بين الضاد والظاء .
13ــ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت521هـ) له كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة الضاد ، والظاء ، والذال ، والصاد ، والسين .
14ــ محمد بن علي بن أحمد النحوي (ت550هـ) الفرق بين الضاد والظاء .
15ــ ابن الدهان النحوي سعيد بن المبارك(ت569هـ) له الغنية في الضاد والظاء.
16ــ أبو البركات الأنباري(ت577هـ)له زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء.
17ــ محمد بن نشوان بن سعيد الحميري(ت610هـ)له كتاب الفرق بين الضاد والظاء
18ــ محمد بن الحسين أبو البركات بن أبي حفص النحوي (ت618هـ) له كتاب الضاد والظاء .
19 ــ أبو الفتوح نصر بن محمد الموصلي(630هـ) له رسالة في الضاد والظاء .
20 ــ محمد بن أحمد الصابوني (ت630هـ) له كتاب معرفة الفرق بين الظاء والضاد.
21 ــ علي بن يوسف القفطي (ت646) له كتاب في الضاد والظاء ، وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى والخط .
22 ــ ابن مالك محمد بن عبد الله بن مالك (672) له كتب كثيرة وقصائد عديدة في الظاء والضاد ، منها : الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ، وتحفة الأخطاء في الفرق بين الضاد والظاء .
23 ــ علي بن محمد بن الحسين ابن بري (730) له ذكر الظاء في حروف المعجم.
24 ــ أبو حيان محمد بن يوسف النحوي (745) له الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء .

كما ألفوا العديد من المنظومات التي تحتوي الكلمات التي بها حرف الظاء ، وهي كما تقدم لا تزيد على مائة كلمة، فيعرفها القارئ والكاتب ، ويبقى التي بها حرف الضاد .
وبهذا يمكن تفادي الخلط بين الكلمات التي بها حرف الظاء وحرف الضاد .

ثانياً : بعض ما نُظِمَ في الموضوع :

1 ــ القاسم بن علي الحريري (516) له قصيدة في الظاءات ، ضمنها المقامة السادسة والأربعين ، وهي المقامة الحلبية .
2 ــ أبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين الفروخي (557) له منظومة في الفرق بين الظاء والضاد .
3ــ ابن مالك محمد بن عبد الله ، له أرجوزة في الضاد والظاء تقع في مائة وثلاثة

وسبعين بيتاً ، وله كذلك كتاب في الفرق بين الضاد والظاء ، وهو قصيدة تحتوي أربعة وسبعين بيتاً مع شرح مستفيض لها .

وله كذلك الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد ،يحتوي اثنين وسبعين بيتاً مع الشرح.

4 ــ ابن الفصيح عبد الله بن أحمد الكوفي الهمذاني (745) له شرح عمدة القرّاء وعدة الإقراء ، وهي قصيدة في الفرق بين ظاءات القرآن وضاداته .

5 ــ حسن بن قاسم المرادي (749) له منظومة في الظاء والضاد .

6 ــ ابن جابر الأندلسي محمد بن أحمد (780) له منظومة في الظاء والضاد تقع في اثنين ومائة بيت .

7 ــ عبد المجيد علي المناوي(1163هـ) له منظومة في الفرق بين الظاء والضاد.

هؤلاء بعض من ألف في هذا الموضوع نثراً ونظماً وغيرهم كثير ، وهذا يدل على أهمية الموضوع الحاصل منذ فترة مبكرة ، وحتى يومنا الحاضر.

ونستعرض من بين المنظومات في هذا المجال مقطوعة للشيخ أبي عمرو الداني ، وهي تتألف من أربعة أبيات ، وتشمل جميع ما وقع في القرآن الكريم من ألفاظ بها حرف الظاء، وهي اثنتان وثلاثون كلمة ، تكررت في ثمانمائة وأحد عشر موضعاً حسبما ذكره محمد بن الجزري في كتابه التمهيد في علم التجويد[1]، ولكن بعد العد والتدقيق تبين أنها ذكرت في ثمانمائة وثلاثة وخمسين موضعاً ، بما في ذلك الألفاظ المكررة في الآية الواحدة أحيانا وهذه هي المقطوعة :

ظَفِرَتْ شُوَاظُ بحَظِّها من ظُلْمِنَا فَكَظَمْتُ غَيْظَ عَظِيمِ مَا ظَنَّتْ بنَا
وَظَعَنْتُ أَنْظُرُ فِي الظَّهِيرَةِ ظُلَّةً وَظَلَلْتُ انْتَظِرُ الظِّلاَلَ لِحِفْظِنَا
وَظَمِئْتُ فِي الظَّلْمَا ففي عِظَمِي لَظَى ظَهَرَ الظِّهَارِ لأَجْلِ غِلْظَةِ وَعْظِنا
أَنَظَرْتُ لَفْظِي كي تَيَقَّظَ فَظَّهُ وَحَظَرْتُ ظَهْرَ ظَهِيرِهَا من ظُفْرِنَا

وقد رتبتُ جذور الألفاظ الواردة بهذه المقطوعة ترتيباً هجائياً ، ليسهل الرجوع إليها مع توضيح معناها باختصار ، وذكرت عدد مرات ورودها في القرآن الكريم ، ثم أتبعت البحث بجدول ملحق ذكرت فيه كل الألفاظ الواردة في القرآن الكريم والتي بها حرف الظاء وعدد مرات ورودها ، والسورة ورقم الآيات الدال على ذلك ، ثم المجموع العام كما هو مبين بالجدول الملحق .

---

[1] التمهيد في علم التجويد ، محمد بن الجزري ، تحقيق غانم قدوري ص 224 .

ـــ **حظر : الحظر** المنع ، وهو خلاف الإباحة ، يقال : حظر الشيء يحظر حظراً وحظَاراً[1] ، وحظر عليه منعه ، وقد وردت مشتقات هذه اللفظة في القرآن مرتين .

ـــ **حظظ: الحظ** هو النصيب من الخير والفضل، والجمع حظوظ وحِظَاظ، وأحاظٍ[2] في الكثرة على غير القياس .

وقد ذكر الحظ وما تصرف منه في القرآن سبع مرات.

ـــ **حفظ : الحفظ والمحافظة** ، وما تصرف من ذلك ، نحو : يحافظون حِفْظاً ، حافظون حفظة ، حفيظ محفوظ .. وغيرها .

والحفظ حفظ الله عز وجل لعباده ، وحفظ الإنسان ماله ودينه رعاه ، والحفيظ الموكل للشيء ليحفظه ، والتحفظ قلة الغفلة ، والمحافظة المواظبة على الأمر الواجب .

وقد وردت هذه التصريفات أربعاً وأربعين مرة .

ـــ **شوظ : الشِّواظ والشُّواظ** اللهب الذي لا دخان فيه ، وقيل الشواظ قطعة من نار ليس فيها نحاس ، وقيل الشواظ النار ، ولا يكون إلاّ من نار وشيء آخر يخلطه . وقد ذكر الشواظ في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : (يُرْسَل عليكما شُوَاظٌ من نار ونحاسٌ فلا تنتصران) الرحمن : 34،33 .

ـــ **ظعن:الظعن** الشخوص، يقال ظعن الرجل يظعن ظَعَناً (وظَعْناً)(بالفتح والسكون لغتان)[3]، ومن ذلك الظعائن ، والظعينة المرأة في الهودج .

وقد وردت في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : (تستخفُّونها يوم ظعنكم يوم إقامتكم) النحل: من الآية 80.

ـــ **ظفر:الظُّفُر والظُّفْر** معروف وجمعه أظفار وأُظفور وأظافير يكون للإنسان وغيره .

وقد وردت في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : (وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظُفُر) الأنعام : من الآية 147.

ـــ **الظَّفَر:** بمعنى الفوز بالمطلوب ، يقال ظفر به وعليه وظفره ظفراً ، وظفر الله فلاناً على فلان ، وكذا أظفره عليه[4].

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، الطبعة الأولى 1997 – 109/2 مادة حظر .

(2) الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور 1172/3 مادة حظظ .

(3) اللسان 222/4 مادة ظعن .

(4) اللسان 222/4 مادة ظفر .

ــ وقد وردت في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى:(من بعد أن أظفركم عليهم) الفتح : من الآية 24 .

ــ **ظلل :ظلّ** .بمعنى صار ، يقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا ، ويَظَلّ ظلاً وظُلولاً ، وظللِت ، وظَلْت وظِلت ، لا يقال ذلك إلاّ في النهار .

وقد وردت في تسع مواضع .

والظلّ وما تصرف منه لغة الستر ، يقال أنا في ظلك ، أي في سترك ، والظل كل موضع انتشر نزول الشمس عنه ، وظل الجنة سترها .

الظُّلّة أول سحابة تظل ، وقالوا غيم تحته سموم .

وقد ذكر الظل وما تصرف منه في أربعة وعشرين موضعاً .

ــ **ظلم : الظلم** وما تصرف منه ، نحو : أظلم ظلموا ظُلْم ، ظالمة ، ظالمون ، وهو في اللغة أخذك حق غيرك ، وتعديك على ما لا يجب لك ، وأصله وضع الشيء في غير موضعه ، وهو الجور ومجاوزة الحد ، ويكون بمعنى النقصان والجحد .

وقد ورد ذكره في مائتين وتسعة وثمانين موضعاً .

ــ **الظُّلْمة والظُّلَمة والظلام والإظلام والظلمات** ، وما تصرف من ذلك ، والظلمة ذهاب النور ، والإظلام ما يظلم عليك من الأفق أو المكان أو الأمر ، وجمعها ظُلُمات وظُلَمات .وقد ذكرت في ستة وعشرين موضعاً .

ــ **ظمأ : الظمأ** وما تصرف منه نحو ظمأ يظمأ،ظمآن ، وهو بمعنى العطش، يقال ظمئ الرجل يظمأ ظمأ وظماء وظماءة إذا اشتد عطشه ، وهو ظمي وظمآن والأنثى ظمأى[1] .

وقد وردت في القرآن في ثلاثة مواضع .

ــ **ظنن : الظن** وما اشتق منه ، نحو : ظننت ، الظن ، الظنون ، الظانين .. والظن شك ويقين ، إلا أنه ليس بيقين عيان ، إنما هو يقين تدبّر[2] .

والظن يكون بمعنى الشك ، وبمعنى اليقين ، وهناك ما اختلف فيه بين الشك واليقين ، وقد ورد بمختلف معانيه في تسعة وستين موضعاً .

ــ **ظهر : الظَّهْر** من الإنسان والدابة والأرض خلاف البطن ، والظهر الركاب التي تحمل الأثقال ، ظهر الغيب حفظه من غير كتاب .

---

[1] الصحاح 61/1 .

[2] المصدر السابق 2160/6 .

والجمع أظْهُر وظُهُور وظهْران[1] ، وقد وردت في خمسة عشر موضعاً .

والظهار والظهور ، يقال ظهر الرجل على العدو إذا غلبه وظفر به ، وأظهر الرجل الشيء إذا أبداه .

الظِّهار ، مأخوذ من الظّهْر ، وهو أن يقول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي ، فتحرم عليه بذلك ومنه تظهّرون يظهّرون .

الظهيرة ، يقال أظهر القوم أي دخلوا في الظهيرة ، والظهيرة حر انتصاف النهار ، وهو وقت الزوال ، وهو شدة حرها ، وتجمع الظهيرة على ظهائر .

الظهير ، المعين ، الواحد والجمع في ذلك سواء[2] .

المظاهر والتظاهر وما تصرف من ذلك ، يقال مظاهرك عليه أي معاونك ، والتظاهر التعاون . وقد وردت جميع هذه التصريفات في أربعة وأربعين موضعاً .

ـــ **عظم** : **العظم** واحد العظام ، وهو الذي عليه اللحم ، والجمع أعظُم وعِظام وعظامة ، وقد وردت في خمسة عشر موضعاً .

العظيم : العظيم مصدر الشيء العظيم وكذلك العظام ، والعظمة من التعظم ، ومعظم الشيء أكثره .

يقال : عظُم يعظُم عِظْماً وعِظامة كبر ، وهو عظِم وعظام [3]، وقد وردت بمختلف تصريفاتها في مائة وثلاثة عشر موضعاً .

ـــ **غلظ** : **الغِلْظ** وما تصرف منها ، نحو : أغلظ ، غِلاظ ، غِلْظة .

ومعنى الغلظة الشدّة ، يقال فلان ذو غِلظة وغُلْظة وغِلاظة ، والغلظة ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش .

وقد وردت في ثلاثة عشر موضعاً .

ـــ **غيظ** : ومنها : يغيظ ، الغيظ ، غائظون تغيّظاً ....

الغيظ الغضب ، وقيل هو أشد من الغضب ، وأغظت فلاناً أغيظه غيظاً ، وقد غايظه فاغتاظ ، وغيّظه فتغيّظ ، فهو مَغِيظ ، وتغيظت الهاجرة إذا أشتد حرها .

وقد وردت في أحد عشر موضعاً .

---

(1) اللسان 222/4 .

(2) الصحاح 732/2 .

(3) اللسان 371/4 .

ــ **فظظ : الفظ** الغليظ الطبع المتجهم ، وقد فظظتْ تَفَظُّ فَظَاظة وفَظظاً ، والاسم الفظاظة والفظاظ .

وقد ذكرت في موضع واحد ، وهو قوله تعالى : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران : من الآية 159 .

كظم : الكظم وما تصرف منه ، نحو : الكاظمين، كظِم ، مكظوم، ومعناه الحبس ، يقال : كظم الرجل غيظه يكظم كظماً ، أي رده وحبسه فهو كظيم .

وقد وردت في ستة مواضع .

ــ **لظى : لظَى** اسم من أسماء جهنم ، وقيل اللظى اللهب الخالص ، وهي معرفة لا تنون ولا تنصرف للعلمية والتأنيث ، ومنها تلظّى .

وقد وردت مرتين .

ــ **لفظ : اللفظ** ما خرج من الفم ولفظ منه كلاماً كان أو غيره ، ولفظت بالكلام ، وتلفظت به أي تكلمت به .

وقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى:(ما يَلْفِظُ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد) ق 18.

ــ **نظر : النظر** وما تصرف منه ، نحو : أنظر ، تنظرون ، انظرونا ، الناظرين ..

والنظر يكون بالعين ، ويكون بمعنى الاعتبار والتفكر ، وبمعنى التعطف والرحمة .

الانتظار وما تصرف منه ــ يقال : نظرت فلاناً وانتظرته بمعنى واحد .

الأنظار والنَّظِرة ــ بكسر الظاء ــ التأخير[1] .

وقد وردت هذه التصريفات المختلفة في مائة وتسعة وعشرين موضعاً .

ــ **وعظ : الوعظ والعِظة والعَظَة والموعظة** وما تصرف منها عند أهل اللغة النصح والتذكير بالعواقب ، وانشراح القلب والنية وذهاب القسوة منه .

وفي الصحاح [2] وعظته وعظاً وعِظة فاتّعظ ، أي قبل الموعظة .

وقد وردت في خمسة وعشرين موضعاً .

ــ **يقظ : اليقظة** ضد النوم ، والفعل استيقظ ، والنعت يقظان ، والتأنيث يقظي ، ونسوة ورجال أيقاظ .

---

[1] الصحاح 831/2 .

[2] 1181/3 .

وردت في موضع واحد ، في قوله تعالى :(وتحسبُهم أيقاظاً وهم رقود) الكهف : من الآية 18.

ونتناول كذلك منظومة لأبي محمد القاسم الحريري[1]، وهي تحتوي على ثمانٍ وثمانين كلمة بها حرف الظاء ، نوردها مع التوضيح واستثناء الألفاظ التي سبق ترتيبها في آي القرآن الكريم، ونحاول أن نزاوج ما ورد فيها من كلمات ، وما ورد في كتاب الفرق بين الضاد والظاء لأبي عمرو الداني ، والذي يقول فيه : ذكر ما ورد من حرف الظاء في المتعارف من الكلام دون القرآن ، سوى ما قدمناه من ذلك ، وجملة ذلك أربعة وخمسون فصلا[2]، مع التنبيه إلى ما انفرد بذكره أبو عمرو .

أيها السائلي عن الظاء والضاد ... لكيلا تُضِلَّه الألفاظُ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسْمَعْها ... استماعَ امرئ له استيقاظُ
هي ظَمْيَاءُ والمظَالِمُ والأظْلامُ ... والظُّلْمُ والظُّبي واللّحَاظُ
والعَظَا والظَّلِيم والظَّبْيُ والشَّيْظَمُ ... والظِّلُّ واللِّظَى والشُّوَاظُ
والتَّظَنِّي واللفظ والنّظْمُ والتقريظُ ... والقَيْظُ والظَّما واللِّماظُ
والحِظَا والنَّظِيرُ والظِّئْر والجا ... حظُ والناظرون والأيقاظُ
والتَّشَظِّي والظِّلْفُ والعَظْمُ والظِّنْبُوب ... والظهر والشَّظَا والشَّظَاظُ
والأظَافِيرُ والمُظفَّرُ والمحظُورُ ... والحافظون والإحْفَاظُ
والحظيراتُ والمَظنَّة والظِّنّة ... والكاظمون والمغْتاظُ
والوَظِيفاتُ والمُواظِب والكِظَّةُ ... والانْتِظار والإلْظَاظُ
وَوَظِيفٌ وظَالِعٌ وعظِيمٌ ... وظَهِيرٌ والفظُّ والإغلاظُ
ونَظِيفٌ والظَّرْفُ والظَّلَفُ ... الظاهِرُ ثم الفَظِيعُ والوُعَّاظُ
وعُكاظٌ والظَّعْنُ والمَظُّ والحنْظَلُ ... والقارظَانِ والأوْشَتاظُ
وظِرابُ والظِّرانُ والشَّظَفُ ... البَاهِظُ والجَعْظَري والجَوَّاظُ
والظرَابِينُ والحَناظِبُ والعُنْظُبُ ... ثم الظَّيَّانُ والأرْعاظُ
والشَّناظي والدلَظُ والظّأْبُ ... والظَّبْظَابُ والعُنْظُوانُ والجنْعَاظُ
والشِّناظِيرُ والتَّعاظُلُ والعِظْلِمُ ... والبَظْرُ بعدُ والإنْعاظُ
هي هذي سوى النوادر فاحفظها ... لتقفوا آثارك الحفاظُ
واقض فيما صرفت منها كما ... تقضيه في أصله كقيظٍ وقاظُوا

---

(1) نقلها السيوطي في كتابه : المزهر في علوم اللغة والأدب ، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك 2/286-287 .

(2) ص 115 وما بعدها .

وهذا ترتيب للألفاظ الواردة في المنظومة ترتيباً هجائياً لكي يسهل الرجوع إليها مع إضافة الكلمات التي انفرد بها كتاب الفرق بين الضاد والظاء لأبي عمرو الداني :

ــ **بظر : البظر** ما بين أسْكَتي المرأة ، والجمع بُظُور[1].

وفي الصحاح وكذلك البُظَارة والبَظَارة ، وامرأة بظراء بيّنة البَظْر[2].

ــ **بهظ : الباهظ** الشاق ، وفي تاج العروس ــ أمر باهظ أي شاق،والقرن المبهوظ المغلوب[3].

ــ **جحظ** : في أساس البلاغة : عين جاحظة ناتئة الحدقة ، وقد جحظت جحوظاً ، وقوم جُحْظ ، وجحَظ إلى بصره ، ومنه عمرو بن بحر الجاحظ[4].

ــ **جعظر:الجعظري**:الفظّ الغليظ،أو الأكول الغليظ،والقصير المنتفخ بما ليس عنده [5] .

ــ **جنعظ : الجنعاظة** : هو الذي يتسخط عند الطعام لسوء خلقه[6].

ــ **جوظ : الجوّاظ** : كثير اللحم المختال في مشيته ، ويقال: الجواظ الأكول ، ويقال الفاجر، وفي تاج العروس:جاظ الرجل يجوظ جوْظاً وجوظاناً، أي اختال في مشيته[7].

حظر : المحظور : المحرم ، والحظيرات : مفردها حظيرة ، وهي جرين التمر ، والمحيط بالشيء خشباً أو قصباً ، والمحظار ضرب من الذباب، ذكره أبو عمرو .

ــ **حُظُل : الحُظُلان** : وهو المنع والبخل ، يقال : حَظِلَ يَحْظِل حظْلاً ، والحظلِ المغتر، والحَظل غيرة الرجل على امرأته .

ذكره أبو عمرو و لم يذكره الحريري .

ــ **حظو : الحظا** : جمع حُظوة ، والحُظوة والحِظية المكانة ، والجمع حُظاً وحِظاءٌ .

ــ **حنظب : الحناظب** : ومفرده الحُنظُب ، وهو ذكر الجراد وذكر الخنافس [8] .

ــ **حنظل : الحنظل** : واحدته حنظلة ، وهو نبت ذو ثمرة مرّة في شكل بطيخة .

---

(1) ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر أحمد الزاوي 290/1 .

(2) 593/2 .

(3) 204/20 .

(4) الزمخشري ، 124/1 .

(5) ترتيب القاموس 500/1 .

(6) تاج العروس 213/20 .

(7) 214/20 .

(8) ترتيب القاموس 667/1 .

ـــ **دلظ : الدلظ** : يقال دلظته أدلُظه دلْظاً إذا ضربته ودفعته ، وكذلك دَلظَه يدلِظُه دلْظاً ، والأخيرة عن تاج العروس [1] .

ـــ **رعظ : الأرعاظ** : مفرده الرُّعُظ وهو مدخل سِنْح النصل في السهم .

ـــ **شظب :الشظب** : وهو تحريك الطائر بعضوضه، و لم تذكر في منظومة الحريري .

ـــ **شظظ : الشَّظَاظ** : خشبة عقفاء محددة الطرف تجعل في عروتي الجواليق إذا عكما على البعير ، وهما شظاظان[2].

ـــ **شظف : الشظف** يبس العيش وغلظه ، وكذلك الشدة والضيق ، وجمعه شظاف .

ـــ **شظم : الشيظم** الطويل الجسم من الفتيان ، والأنثى شيظمة ، وهم شياظمة[3] .

ـــ **شظي : الشظا** عظم لاصق بالذراع ، الشظي التشعب والتشقق .

ـــ **شنظ : شناظي** الجبال أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدها شُنْظُوَة ، والّشناظ من نعت المرأة ، وهو اكتناز اللحم وكثرته[4].

ـــ **شنظر : الشناظير** مفردها شنظير ، وهو الرجل السيئ الخلق ، والشنظرة الشتم للأعراض[5] ، وشنظر بهم شتمهم [6].

ـــ **ظأب : الظأب** الكلام والجلبة والصوت ، وجمعه أظؤُب .

ـــ **ظأر : الظِّئر** العاطفة على غير ولدها ، المرضعة له من الناس والإبل ، والجمع أظؤُر وأظْآرٌ وظُؤُور وظُؤَار [7] .

ـــ **ظبظب : الظبظاب** ، وله عدة معان منها : بَثْر يخرج من أشفار العين ، وداء يصيب الإبل ، وأصوات أجواف الإبل من شدة العطش [8] .

ظبى : الظُّبَى جمع مفرده ظُبّة ، وهي حد السيف، والسنان ، والنصل ، والخنجر ، وما أشبه ذلك ، والجمع الظُّباء والظُّبَى والظبون [9] .

---

(1) 227/20 .

(2) ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي 917/2 .

(3) المصدر السابق 918/2 .

(4) ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي 1111/2 .

(5) المصدر السابق 946/2 .

(6) ترتيب القاموس 762/2 .

(7) اللسان 218/4 .

(8) المصدر السابق 219/4 .

(9) ترتيب كتاب العين 1111/2 .

الظَّبْي: الغزال وجمعه أظب وظباء وظُبيٌ ، والأنثى ظبْية والجمع ظَبَيَات وظِباء[1].

ظرب : الظِرَابُ جمع ظربٍ ، وهي الرَاوبى الصغيرة ، وقيل الجبل المنبسط أو الصغير .

الظَّرَابين : جمع مفرده الظّربى ، وهي دابة صغيرة القوائم ،كثيرة الفسو، منتنة الرائحة، وتجمع كذلك على ظرابيٌّ وظَرَبان .

ــ **ظرر** : **الظِّرَّان** ، أعظم حجارة ، وهي أشد من المرد ، وهي حجارة القداح ، أشدّ بياضاً وأدق .

ــ **ظرف** : **الظُّرْف** من البراعة والأدب والمساعدة ، يقال : ظَرُف يظْرُف ظُرْفاً وظُرافة فهو ظريف ، وفتية ظرفاء وظروف ، ونسوة ظراف وظرائف .

والظَّرْف : وعاء كل شيء .

والظَّرْف : مصدر الظريف ، واختلف في الظريف ، فقيل هو البليغ ، ويقال الحسن الوجه والهيئة .

ــ **ظلظل** : **الظلظلة** هي تحريك الحيّة رأسها من شدة اغتياظها .

ذكره أبو عمرو و لم تذكر في منظومة الحريري .

ــ **ظلع** : ظلع الرجل إذا عَرَج ، يقال ظلعت تظلع ، فهي ظالع وهو ظالع ، الذكر والأنثى فيه سواء[2] ــ إذا كان العرج من جهتين .

ــ **ظلف** : **الظِّلْفُ والظُّلْف** وجمعه أظلاف وظلوف ، وهي أخفاف المعز والبقر والظبي وما شابهها .

الظَّلَف ــ بفتح اللام ــ من الأرض الغليظ الذي لا يؤدي أثراً[3].

ويقال ظَلَف نفسه عن الشيء منعها من هواها .

ــ **ظلم** : **الظليم** : وهو ذكر النعام ، والجمع ظِلْمان وظُلْمان وأظْلِمة .

وأما مشتقات (ظلم) فقد تقدمت في الألفاظ الواردة في القرآن .

ــ **ظمأ** : **الظمأ والظّمَى وظمياء وأظمى** .

يقال شفة **ظمياء** أي فيها سمرة وذبول .

وأما **الظمأ** بالهمزة فقد تقدم في الألفاظ الواردة في القرآن.

---

(1) اللسان 220/4 .

(2) ترتيب كتاب العين 1114/2 .

(3) اللسان 224/4 .

ـــ **ظنب** : **الظُّنْبُوب** : العظم اليابس من قُدُم الساق ، وجمعه ظنابيب ، والظنبوب كذلك مسمار يكون في جبة السنان حيث يركب في عالية الرمح .

ظنن : **التظنّي**: التحري،وهو إعمال الظن،وأصله التظنّن ، حذفت نونه الأخيرة [1].

وأما الظن ومعانيه ومشتقاته فقد تقدمت في ألفاظ القرآن الكريم .

ـــ **ظيا** : **الظيّان** : قيل الياسمين البري ، وقيل نبت باليمن يدبغ بورقه، الواحدة ظيانة .

ـــ **عظب** : **العظب** : يقال عظَب الطائر يعظِب عظباً وهو سرعة تحريكه جناحيه .

ـــ **عظر** : **الإعظار** وهو كظّة الشراب إذا ثقل في الجوف ، يقال : أعظر في الشراب يعظر معظر .

ذكرت في الفرق بين الضاد والظاء و لم تذكر في منظومة الحريري .

ـــ **عظعظ** : **العظعظة** : وهي إلتواء السهم إذا لم يقصد للرمي واضطراب في مضيه ، وهي كذلك مما ذكره أبو عمرو دون الحريري .

ـــ **عظل** : **المعاظلة** : مداخلة الشيء في الشيء ، عَظَل يعْظُلُ الجراد والكلاب ، وكل ما يلازم في السفاد .

ـــ **عِظْلِم** : **العِظْلِم** : عصارة شجر لونه أخضر إلى الكدرة [2].

وفي القاموس [3] العِظْلِم الليل المظلم ، وعصارة شجر ، أو نبت يصبغ به .

ـــ **عظى** : **العظاية** : على خلقة سام أبرص أُعيظم منها شيئاً ، والجمع عظايا وعظاء .

ـــ **عكظ** : عكِظت الرجل أعْكظُه عكظاً إذا رددت عليه وقهرته بحجتك [4] .

وعكاظ إسم سوق للعرب بناَحية مكة ،كانوا يجتمعون فيه شهراً يتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون .

ـــ **عنظ** : **العُنْظُوان** : الشرير المتسمع البذيء الفحّاش ، والمرأة عُنْظُوانة .

وقيل العنظوان نبات إذا استكثر منه البعير وجع بطنه .

والعُنْظُوانة الجرادة الأنثى ، والجمع العنظوانات ،وهذه الأخيرة عن كتاب العين[5].

ـــ **عنظب** : **العُنْظُب** الجراد الضخم ، أو الذكر الأصغر منه[6] .

---

(1) ترتيب كتاب العين 1118/2 .
(2) ترتيب كتاب العين 1118/2 .
(3) 257/3 .
(4) جمهرة اللغة لابن دريد 170/3 .
(5) 1295/2 .
(6) المصدر السابق 1120/2 .

ــ **غنظ:الغنظ:** الهم اللازم ، يقال إنه لمنغوظ أي مهموم، وهي مما انفرد به أبو عمرو.

ــ **فظع** : فظع الأمر اشتدت شناعته ، وجاوز المقدار في ذلك .

وعن اللسانَ [1] : الفظيع الماء العذب الزلال الصافي .

ــ **فيظ** : **الفيظ والفيظوظة** ، وهما مصدران لفاظت نفسه إذا خرجت ، فهي تفيظ وتفوظ فيظاً وفوظاً ، وأما فيض الإناء وغيره فبالضاد .

انفرد بها أبو عمرو و لم تذكر في منظومة الحريري .

ــ **قرظ** : **القارظان** يَقْدُم بن عَنَزة ، والآخر عامر بن هيصم من يقدم بن عنزة ، خرجا في طلب القرظ ، فلم يرجعا ، فقالوا لا آتيك أو يؤوب القارظ .

والقرظ أجود أنواع ما تدبغ به الأهب في أرض العرب [2] .

التقريظ: مدحك أخاك حيًّا، وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه .

ــ **قيظ** : **القيظ** هو شدة الحر والوهج عند شدة استمرار الصيف ، يقال إنّ هذا قيظ عظيم أي حر شديد .

وفي تاج العروس[3]: والجمع أقياظ وقيوظ .

ــ **كظظ** : **الكظة** من الشراب والطعام ثقلهما في الجوف لكثرة ما ينال منهما ، والمكاظة الممارسة الشديدة في الحرب .

وفي تاج العروس[4]كظه الأمر يكُظُّه كظّاً وكظاظاً وكظاظة بهظه وملأه همّاً وأثقله .

ــ **كنظ** : **الكنظ** ، وهو بلوغ المشقة من الإنسان ، يقال إنك لمكظوم مغموم .

وهذه كذلك مما جاءت في الفرق بين الضاد والظاء دون منظومة الحريري .

ــ **لحظ** : **اللِّحاظ** ، وهو مؤخرة العين الذي يلي الصدغ ، واللحظة النظرة من ذلك الجانب ، لحظه ولحظ إليه ، أي نظر إليه بمؤخر عينه .

ــ **لظظ** : **الالظاظ** ، الإلحاح على الشيء ، نقول: ألظ به، وألظّ عليه، ولظّ به لظّاً .

وفي الصحاح[5] : الإلظاظ لزوم الشيء والمثابرة عليه .

لعظ : **الملعَّظة** وهي الجارية الطويلة، والعبلة السمينة ، و لم تذكر في منظومة الحريري .

---

(1) 143/5 .

(2) تاج العروس 1179/3 .

(3) 260/20 .

(4) 260/20 .

(5) 1179/3 .

لمظ اللماظ هو ذوق الماء بطرف اللسان ، يقال شربه **لماظاً** إذا فعل ذلك .
ولمظ يلمُظُ لمظاً إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه،أو أخرج لسانه فمسح به شفتيه[1].
ـــ **مرظ : المراظ** ، وهو الرجل المتكبر ، مما أورده أبو عمرو .دون الحريرى
ـــ **مظظ : المظُّ** ، رمان ينبت في جبال السراة ، ولا يحمل ثمراً ، وإنما ينوّر [2] .
وفي الصحاح [3] : فاظظت الرجل مفاظّة وفظاظاً نازعته .
ـــ **نظف : النظيف** ، التقي ، يقال فلان نظيف الثياب .
وفي المعجم الوسيط [4] وهو نظيف الأخلاق مهذّب .
واستنظف الوالي ماله من الخراج إذا استوفاه .
ـــ **نظم : النظم** ، التأليف ،وضم شيء إلى شيء آخر ، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظْماً ونظاماً ، والنظم ثلاثة كواكب من الجوزاء [5] .
ـــ **نعظ : الإنعاظ** ، يقال نعظ الرجل ينعَظُ نعظاً ونُعُوظاً ، وأنعظه يُنعِظَه إنعاظاً .
وفي تاج العروس[6]: وانعظ الرجل والمرأة علاهما الشبق واشتهيا الجماع وهاجا .
ـــ **وشظ : الأوشاظ** لفيف من الناس ليس أصلهم واحد ، ووشظت العظم أشِظُه وَشْظاً أي كسرت منه قطعة .
ـــ **وظب : المواظب** ، وهو الملازم على الشيء ، يقال فلان حسن المواظبة والاشتغال بما يعنيه ، ورجل موظوب تداولت النوائب عليه .
ـــ **وظف: الوظيف**، مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع الأوظفة .
ـــ **الوظيفات** : جمع وظيفة ، وهو ما يقدر كل يوم من طعام أو غيره .
ـــ **يقظ:الإيقاظ**،رجل يقِظ ويَقُظ أي متيقظ حذر، وأيقظته من نومه أي نبهته فتيقَّظ.
من خلال حصر الجذور المتقدمة ، والتي بها حرف الظاء ، سواء كانت في القرآن أم النثر ، فإنها تزيد على الثمانين جذراً ، وقد قمت بمقارنة ما ورد في كتاب العين ، للخليل

---

(1) 1179/3 .
(2) تاج العروس 282/20 .
(3) 1180/3 .
(4) 933/2 .
(5) القاموس 396/4 .
(6) 285/20 .

بن أحمد الفراهيدي (170هـــ) وما ورد في هذا البحث من كلمات بها حرف الظاء فلم أجد سوى كلمات قليلة قد زادت في كتاب العين ، وكلها في مجملها العام لا تتعدى المائة كلمة تقريباً من جملة كلام العرب منظومه ومنثوره وغريبه ومشهوره ، كما يقول الإمام أبو عمر الداني [1] ، وهذه بعضٌ منها :ــ

يحظل:الرجل إذا قفز قفزان اليربوع ، **بظّ** : وهو تحريك الضارب أوتاره ، **جحمظ** : القماط ، **جعمظ** : الشيخ الشره ، **الشُّنظُب** : كل جرف به ماء ، **ظأظأ** : وهو حكاية بعض كلام الأعلم الشفة العليا ، **العُفنظ** : الذي يسمى عناق الأرض ، **القعظ** : إدخال المشقة عليك من غيرك ، **الكظر** : محزّ الغرضة في حلقة الوتر ، **اللعظمة** : الانتهاس على اللحم ملء الفم ، **اللعْمَظة** : الشهوة في الطعام ، **المشظ** : أن يمس الإنسان الشوك فيدخل في يده ، **المظع** : الذبول، **النشظ** : اللسع في سرعة واختلاس ، **النكظة** : العجلة، **الوقظ**:حوض يجمع فيها ماء كثير ، **والغنظ** : الكرب بعينه .

فهذه جملة ما وقع في كلام العرب من كلمات بها حرف الظاء ، وهي تقارب المائة كما أسلفت ، من عرفها وأتقنها فإنه يسلم في الكتابة والنطق من الخلط بينها وبين الضاد، و لم يبق سوى الشوارد أو المختلف فيه بين العلماء .

وهنا الجدول المرفق لأرقام الآيات التي بها حرف الظاء ، وقد اتبعت فيه طريقة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبد الباقي ، أما عدّ الآيات فهي حسب رواية قالون عن نافع المدني (مصحف الجماهيرية) :

الجذر	اللفظ	السورة ورقم الآية	عدد المرات	المجموع
	محظوراً	الإسراء : 20 .	1.	
حظر	المُحتَظِر	القمر : 31 .	1.	2
	حظّ	النساء11، 175، القصص79، فصلت 34 .	4.	
حظظ	حظّاً	آل عمران 176 ، المائدة 14 ،15 .	3.	7

[1] الفرق بين الضاد والظاء ص 61 .

	حَفِظ	النساء 34.	1.	
	حَفِظنَاهَا	الحجر17.	.1	
	نَحْفَظَ	يوسف65.	1.	
	يحْفَظْن	النور31.	1.	
	يحْفَظُوا	النور30.	.1	
	يحْفَظُونه	الرعد12.	1.	
	احفَظُوا	المائدة 91.	1.	
	يحافظون	الأنعام 92 ، المؤمنون 9 ، المعارج34.	3.	
	حافظوا	البقرة 236.	1.	
	استُحْفِظُوا	المائدة 46.	1.	
	وحِفْظاً	الصافات 7 ، فصلت 11.	2.	
	حِفْظُهما	البقرة253.	1.	
حفظ	حَافِظ	الطارق4.	1.	
	حِفْظاً	يوسف 64.	1.	
	حافظات	النساء34.	1.	
	الحافظات	الأحزاب 35.	.1	
	حافظون	التوبة 113 ، يوسف 12 ،63 ، الحجر9 ، المؤمنون 5 ، المعارج 29.	.6	
	حافظين	يوسف 81 ، الأنبياء 81 ، الأحزاب 35 ، الانفطار 10 ، المطففين 33.	.5	
	حَفَظَة	الأنعام 62 .	.1	

	حفيظ	الأنعام 105 ، هود 56 ، 86، يوسف 55،		
		سبأ 21 ، الشورى 4 ، ق 4 ، 32 .	.8	
	حفيظاً	النساء 80 ، الأنعام 108 ، الشورى 45 .	.3	
	محفوظ	البروج 22 .	.1	
	محفوظاً	الأنبياء 32 .	.1	44
شوظ	شُواظٌ	الرحمن 33 .	.1	1
ظعن	ظَعْنكم	النحل 80 .	.1	1
ظفر	أظْفَركم	الفتح 24 .	.1	
	ظُفُر	الأنعام 147 .	.1	2
ظلل	ظلّ	النحل 58،الزخرف 16 .	.2	
	فظَلّتْ	الشعراء 3 .	.1	
	ظَلْت	طه 95 .	.1	
	فظَلْتُم	الواقعة 68 .	.1	
	ظلّوا	الحجر 14 ، الروم51 .	.2	
	فنَظَلُّ	الشعراء 71 .	.1	
	فيَظْلَلْنَ	الشورى 31 .	.1	9
	وظَلَّلْنا	البقرة 58 ، الأعراف 160 .	.2	
	الظّلّ	الفرقان 45 ، القصص 24 ، فاطر 21 ،		
		الواقعة 32 ، 46 ، المرسلات 30 .	.6	
	ظلاً	النساء 56 .	.1	
	ظلّها	الرعد 36 .	.2	

	ظللا	يس 55 ، المرسلات 41 .	1.	
	ظلالاً	النحل 81 .	1.	
	ظِلالَه	النحل 48 .	1.	
	ظِلالها	الإنسان 14 .	1.	
	ظِلالُهم	الرعد 16 .	1.	
	ظُلَّة	الأعراف 171، الشعراء 189 .	2.	
	ظُلَل	البقرة 208 ، لقمان 31 ، الزمر 15 .	4.	
	ظليل	المرسلات 31 .	1.	
	ظليلاً	النساء 56 .	.1	24
	ظَلَم	البقرة 229 ، الكهف 85 ، النمل 11 ، الطلاق 1 .	. 4	
	ظَلَمتْ	يونس 54 .	1.	
	ظَلَمْت	النمل 46 ، القصص 15 .	2.	
	ظَلَمْتُم	البقرة 53 ، الزخرف 38 .	2.	
	ظَلَمَك	ص 23 .	1.	
	ظَلَمْنا	الأعراف 22 .	1.	
	ظَلَمْناهم	هود 101 ، النحل 118 ، الزخرف 76 .	3.	
	ظَلَمَهم	آل عمران 117 ، النحل 33 .	.2	
	ظَلَمُوا	البقرة 58 ، 149 ،164 ، آل عمران 117 ، 135 ، النساء 63 ، 168، الأنعام 46،		
ظلم		الأعراف 102 ، 162 ، 165 ، الأنفال25 ،		

		يونس13 ،52، هود 37، 66،94 ،101، 113 ، 116،إبراهيم 46 ،47 ، النحل 85 ، الإسراء59 ، الكهف 58 ، الأنبياء 3 ، المؤمنون 27 ،الشعراء 227 ،النمل54 ، 87، العنكبوت 46 ، الروم 28 ،57 ، سبأ 19 ، 42 ، الصافات 22 ، الزمر 43 ، 48 ، الزخرف 65 ، الأحقاف 11 ، الذاريات 59 ، الطور 45 .	43.	
	ظَلَمونا	البقرة56 ، الأعراف 160 .	2.	
	تظْلِم	الكهف 32 .	1.	
	تَظْلِموا	التوبة 36 .	1.	
	تُظلَمون	البقرة 278 .	.1	
	يَظْلِمُ	النساء 40، 109، يونس 44 ،الكهف 48 ، الفرقان 19.	5.	
	ليَظْلمهم	التوبة 71 ، العنكبوت 40 ، الروم 8 .	.3	
	يظْلِمون	البقرة 56 ، آل عمران 117 ،الأعراف 8 ، 160 ، 162 ، 177التوبة 71 ، يونس 44 ، النحل 33،118 ، العنكبوت 40 ، الروم 8، الشورى 39 .	13.	
	ظُلِم	النساء 147 .	1.	
	ظُلِموا	النحل 41 ، الحج 37 ، الشعراء 227 .	3.	

	تُظْلَم	الأنبياء 47 ، يس 53 .	2.	
	تُظْلَمون	البقرة 271، 278، النساء 76،الأنفال 61 .	4.	
	يُظْلَمون	البقرة 280،آل عمران 25، 161، النساء 48 ، 123، الأنعام 161،يونس 47 ، 54، النحل111، الإسراء 71، مريم 59، المؤمنون 63 ، الزمر 66 ، الجاثية 21 ، الأحقاف 18 .	15.	
	ظُلْمٌ	النساء 169 ، الأنعام 83 ،132،هود 117 ، الحج 25 ، لقمان 12 ،غافر 16 .	7.	
	ظُلْماً	آل عمران 108، النساء 10،30، طه 108 ، 109، الفرقان 4 ، النمل 14 ، غافر 31 .	8.	
	ظُلْمِه	المائدة 41 ، الشورى 38 .	2.	
	ظُلمهم	النساء 152 ، الرعد 7 ، النحل 61 .	3.	
	ظالم	النساء 74، الكهف 34 ، الفرقان 27 ، فاطر 32 ، الصافات 113 .	5.	
	ظالمة	هود 102 ، الأنبياء 11 ، الحج 43 ، 46 .	4.	
	ظالمون	البقرة 50،91،227، 252 ،آل عمران 93، 128 ، المائدة 47 ،الأنعام 22 ، 48 ، 94 ، 136 ،التوبة 23 ، يوسف 23 ، 79 ، إبراهيم 44 ،النحل 113، الإسراء 47،99 ، مريم 37 ،الأنبياء 64 ، المؤمنون 108 ،		

		النور 48 ،الفرقان 8 ، القصص 37 ، 59 ، العنكبوت 13 ، 49 ، لقمان 10،سبأ 31 ، فاطر 40 ، الشورى 6 ،الحجرات 11 ، الممتحنة 9 .	33.	
	ظالمي ظالمين	النساء 96 ، النحل 28 . البقرة 34 ، 94 ، 123،144، 192، 244 ، 257 ،265 ، آل عمران 56 ، 85 ،140، 11 ، 192 ،المائدة 31 ، 53 ، 74 ، 109، الأنعام 34 ، 53 ، 59 ، 68 ،130، 145، الأعراف 4 ، 18 ، 40 ، 43 ،46 ، 148 ، 150 ،الأنفال 55 ،التوبة 19 ، 47 ، 110، يونس 39 ، 85 ، 106 ،هود 18 ، 31 ، 44 ، 82 ،يوسف 75 ، إبراهيم 16 ، 25 ، 29 ، الحجر 78، الإسراء 82،الكهف 29 ، 49 ، مريم 71 ،الأنبياء 14 ، 29 ــ 46 ، 59،87، 96، الحج 51، 69،المؤمنون 28 ، 41 ، 95 ،الفرقان 37 ، الشعراء 9، 209 ، القصص 20،25،40،50 ،العنكبوت 31 ، فاطر 37،الصافات 63، الزمر23،غافر 18 ، 52 ، الشورى 19 ،20 ، 37 ، 41 ، 42 ، الزخرف 76 ، الجاثية 18 ،الأحقاف 9 ،	2.	

		الحشر 17 ،الصف 7 ، الجمعة 5 ،7،		
		التحريم 11 ، القلم 29 ،نوح 25 ، 30 ،		
	.91	الإنسان 31 .		
		البقرة 113 ، 139 ،الأنعام 22 ، 94 ،	أظلم	
		145 ،158 ، الأعراف 40 ،يونس 17 ،		
		هود 18،الكهف 15 ،56 ،العنكبوت 68 ،		
	.16	السجدة 22 ،الزمر31،النجم 51،الصف7 .		
289	1.	إبراهيم 36 .	ظلوم	
	.1	الأحزاب 72 .	ظَلوماً	
		آل عمران 182 ، الأنفال 52 ،الحج 10 ،	ظلاّم	
	5.	فصلت 45 ، ق 29 .		
	1.	الإسراء 33 .	مظلوماً	
	1.	البقرة 19 .	أظلم	
	1.	يونس 27 .	مُظْلِماً	
	.1	يس 36 .	مُظْلِمون	
		البقرة 16 ، 18 ، 255 ،256 ، المائدة 18 ،	ظلمات	
		الأنعام 1 ،40 ، 60 ، 64 ، 98 ، 123 ،		
		الرعد 17 ، إبراهيم 1 ، 6 ،الأنبياء 87 ،		
		النور 39 ،النحل 65 ، الأحزاب 43 ،		
26	.23	فاطر 20 ، الزمر 7، الحديد 9،الطلاق 11 .		
	1.	طه 116 .	تظمؤا	

	ظمأ	التوبة 121.	1.	
ظمأ	الظمآن	النور 38 .	1.	3
ظنن	ظن	يونس 24 ، يوسف 42 ،الأنبياء 87 ، النور 12، ص 23 ، القيامة 27 ، الانشقاق 14.	7.	
	ظناً	البقرة 228 .	1.	
	ظننت	الحاقة 19 .	1.	
	ظننتم	فصلت 21،22 ، الفتح 12 ،12،الحشر 2 ، الجن 7 .	6.	
	ظننا	الجن 5 ، 12 .	2.	
	ظنوا	الأعراف 171 ، التوبة 119 ،يونس 22 ، يوسف 110 ،الكهف 52 ، القصص 39 ، فصلت 47 ، الحشر 2 ، الجن 7 .	9.	
	أظن	الكهف 34 ، 35 ، فصلت 49 .	3.	
	لأضنك	الإسراء 101 ، 102 .	2.	
	لأظنه	القصص 38 ، غافر 37 .	2.	
	تظن	القيامة 24 .	1.	
	تظنون	الإسراء 52 ، الأحزاب 10 .	2.	
	نظن	الجاثية 31 .	1.	
	نظنك	الأعراف 65 ، الشعراء 186 .	2.	
	نظنكم	هود 27 .	1.	
	يظن	الحج 15، المطففين 4 .	2.	

	يظنون	البقرة 45 ، 77 ، 247 ،آل عمران 154 ،		
		الجاثية 23 .	.5	
	الظن	آل عمران 154، النساء 156،الأنعام 117،		
		149 ،يونس 36 ، 60 ، 66 ، ص 26 ،		
		الفتح 6 ، 12 ، الحجرات 12 ،12 ،		
		النجم 23 ، 28 ، 28 .	15.	
	ظناً	يونس 36، الجاثية 31 .	.2	
	ظنكم	الصافات 87 ، فصلت 22 .	2.	
	ظنه	سبأ 20 .	1.	
	الظنونا	الأحزاب 10 .	1.	
	الظانين	الفتح 6 .	.1	69
	ظهرك	الشرح 3 .	1.	
	ظهره	الشورى30 ، الانشقاق 10 .	2.	
ظهر	ظهرها	فاطر 45 .	1.	
	ظهوركم	الأنعام 95 .	1.	
	ظهوره	الزخرف 12 .	1.	
	ظهورها	البقرة 188 ، الأنعام 139 .	.2	
	ظهورهم	البقرة 100،آل عمران 187،الأنعام 32 ،		
		الأعراف 172، التوبة 35 ، الأنبياء39 .	6.	
	ظهورها	الأنعام 147 .	.1	15
	ظهر	الأنعام 152 ، الأعراف 31 ،التوبة 48 ،		

		النور 31 ، الروم 40 .	5.	
	يظهروا	التوبة 8 ، الكهف 20 ، النور 31 .	3.	
	يظهرون	الزخرف32 .	1.	
	يظهروه	الكهف 93 .	1.	
	ظاهروا	الممتحنة 9 .	1.	
	ظاهروهم	الأحزاب 26 .	1.	
	تظهرون	الأحزاب 4 .	1.	
	يظاهروا	التوبة 4 .	1.	
	يظهرون	المجادلة 2 ، 3 .	2.	
	أظهره	التحريم 3 .	1.	
	تظهرون	الروم 17 .	1.	
	يظهر	غافر 26 ، الجن 26 .	2.	
	ليظهره	التوبة 33 ، الفتح 28 ،الصف 9 .	3.	
	تظاهرا	القصص 48 ، التحريم 4 .	2.	
	تظاهرون	البقرة 84 .	1.	
	ظاهر	الأنعام 121 ، الرعد 34 ، الحديد3 .	3.	
	ظاهراً	الكهف 22 ، الروم 6 .	2.	
	ظاهرة	لقمان 29 ، سبأ 18 .	2.	
	ظاهره	الحديد 13 .	1.	
	ظاهرين	غافر 29 ، الصف 14 .	2.	
	ظهير	سبأ 22 ، التحريم 4 .	2.	

	ظهيراً	الإسراء 88، الفرقان 55،القصص 16،86 .	4.	
	الظهيرة	النور 56 .	1.	
	ظهرياً	هود 92 .	1.	44
	يعظم	الحج 28 ، 30 .	2.	
	يعظم	الطلاق 4 .	1.	
	عظيم	البقرة 6 ، 48 ، 104 ،113 ، 253 ، آل عمران 73 ،105 ، 172 ، 174 ، 176 ، 179 ، النساء 13 ، المائدة 10 ،35 ، 43 ، 121 ، الأنعام 16 ،الأعراف 58 ، 115 ، 141،الأنفال 28 ، 29 ، 69 ،التوبة 22 ، 63 ، 73 ، 90 ،101 ، 102 ، 112 ، 130 ، يونس 15 ، 64 ، يوسف 28 ،إبراهيم 8 ، الحجر 87 ،النحل 94 ، 106 ، مريم 36 ، الأنبياء 75 ، الحج 1 ،المؤمنون 87 ، النور 11 ، 14 ،15 ، 16 ، 23 ، الشعراء 63 ، 135 ، 156 ، 189 ،النمل 23 ، 26 ، القصص 79 ،لقمان 12 ، الصافات 60 ، 76 ،107 ، 115 ، ص 66 ،الزمر 13 ، غافر 8 ، فصلت 34 ،الشورى 2 ، الزخرف 30 ،الدخان 54 ، الجاثية 9 ، الأحقاف 20 ، الحجرات 3 ،الواقعة 49 ،		**عظم**

		77 ، 79 ،99 ، الحديد 12 ،20 ، 28 ،		
		الصف 12 ، الجمعة 4 ،التغابن 9 ، 15،		
		القلم 4 ،الحاقة 33 ، 52 ، النبأ 2 ،		
		المطففين 5 .	.85	
	عظيماً	النساء 27 ، 40 ، 53 ، 66 ،72 ، 73 ،		
		92 ، 94 ، 112 ،113 ، 145 ، 155 ،		
		161 ،الإسراء 40 ، الأحزاب 29 ، 35 ،		
	أعظم	53 ، 71 ، الفتح 5 ، 10 ، 29 .	22.	
	العظم	التوبة 20 ، الحديد 10 ،المزمل 20 .	3.	113
	العظام	الأنعام 147 ،مريم 3 .	2.	
	عظاماً	البقرة 258 ، المؤمنون 14 ،يس 77 .	.3	
		الإسراء49 ، 98 ، المؤمنون14،35 ، 83 ،		
	عظامه	الصافات16، 53 ،الواقعة50 ،النازعات11.	9.	
		القيامة 3 .	.1	15
غلظ	اغلظ	التوبة 74 ، التحريم 9 .	2.	
	استغلظ	الفتح 29 .	.1	
	غليظ	آل عمران 159 ، هود 57 ،إبراهيم 20 ،		
		لقمان 23 ،فصلت 49 .	5.	
	غليظاً	النساء 21 ، 153 ،الأحزاب 7 .	3.	
	غلاظ	التحريم 6 .	1.	
	غلظة	التوبة 124 .	.1	13

غيظ	يغيظ	التوبة 121 ، الحج 15 ،الفتح 29 .	3.	
	الغيظ	آل عمران 119، 134،التوبة 15، الملك 8 .	4.	
	بغيظاهم	آل عمران 119 .	1.	
	بغيظهم	الأحزاب 25 .	1.	
	لغائظون	الشعراء 55 .	1.	
	تغيظاً	الفرقان 12 .	1.	11
فظظ	فظاً	آل عمران 159 .	1.	1
كظم	الكاظمين	آل عمران 134 ، غافر 17 .	2.	
	كظيم	يوسف 84 ، النحل 58 ،الزخرف 16 .	3.	
	مكظوم	القلم 48 .	1.	6
لظى	تلظى	الليل 14 .	1.	
	لظى	المعارج 15 .	1.	2
لفظ	يلفظ	ق 18 .	1.	1
نظر	نظر	التوبة 128 ، الصافات 88 ،المدثر 21 .	3.	
	أنظر	الأعراف 143 .	1.	
	تنظر	الحشر 18 .	1.	
	تنظرون	البقرة 49 ، 54، آل عمران 143 ، الواقعة 87 .	4 .	
	ننظر	يونس 14 ، النمل 27 ، 42.	3.	
	ينظر	آل عمران 76 ، الأعراف 128،يونس 43 ، الكهف 19،الحج 15، ص 14، النبأ 40 ،		

		عبس 24 ، الطارق 5 .	9.	
	ينظروا	الأعراف 185، يوسف 109،الروم 8 ،فاطر 44 ،غافر 21،81 ،محمد 11،ق6 .	8.	
	ينظرون	البقرة 208 ، الأنعام 159 ،الأعراف 52 ، 195 ، الأنفال 6 ،النحل 33 ، الأحزاب 19 ،فاطر 43 ، يس 47 ،الصافات 19 ، الزمر 65 ،الشورى 42 ، الزخرف 66 ، محمد 19 ، 21 ، الذاريات 44 ، المطففين 23 ، 35 ، الغاشية 17 .	19.	
	انظر	البقرة 258 ، 258 ، النساء59 ،المائدة 77 ، 77 ، الأنعام 25 ،48 ، 66 ، الأعراف 85 ،102 ، 143 ، يونس 39 ،73 ، الإسراء 21 ، 48 ، طه 95 ، الفرقان9 ، لنمل 14، 28 ، 53 ،القصص40،الروم 49، الصافات73 ، 102،الزخرف24.	26.	
	انظرنا	البقرة 103 ، النساء 45 .	2.	
	انظروا	آل عمران 137، الأنعام 12،100، الأعراف 85 ،يونس 101 ، النحل 36 ، النمل 71 ، العنكبوت 19 ،الروم 41 .	9.	
	انظرونا	الحديد 13 .	1.	
	فانظري	النمل 34 .	1.	

	تنظرون	الأعراف 195 ، يونس 71 ،هود 54 .	3.	
	انظري	الأعراف 13 ، الحجر 36 ،ص 78 .	.3	
	ينظرون	البقرة 161 ، آل عمران 87،الأنعام 9 ، النحل 85 ،الأنبياء 40 ، السجدة 29 .	6.	
	نظر	محمد 21 .	1.	
	ينتظر	الأحزاب 23 .	1.	
	ينتظرون	يونس 102 .	1.	
	انتظر	السجدة 30 .	.1	
	انتظروا	الأنعام 159 ، الأعراف 70 ،يونس 20 ، 102 ، هود 121 .	.5	
	الناظرين	البقرة 68 ، الأعراف 107 ، الحجر 16 ، الشعراء 32 ، الأحزاب 53 .	5.	
	ناظرة	النمل 36 ، القيامة 22 .	2.	
	نظرة	الصافات 88 .	1.	
	نظرة	البقرة 279 .	1.	
	منظرون	الشعراء 203 .	.1	
	المنظرين	الأعراف 14 ، الحجر 8 ،37 ، ص 79 ، الدخان 28 .	5.	
	منتظرون	الأنعام 159 ، هود 121 ،السجدة 30 .	.3	
	المنتظرين	الأعراف 70 ، يونس 20 ، 102 .	.3	129
	أوعظْتَ	الشعراء 136 .	1.	

	أعِظُك	هود46 .	1.	
	أعِظكم	سبأ 46 .	1.	
	تعظون	الأعراف 164 .	1.	
	يَعِظُكم	البقرة 229،النساء 57،النحل 90،النور17.	4.	
	يَعِظُه	لقمان 12 .	1.	
	عِظْهُم	النساء 62 .	1.	
وعظ	فعِظوهن	النساء 34 .	1.	
	تُوعَظون	المجادلة 3 .	1.	
	يُوعَظ	البقرة 230 ، الطلاق 2 .	2.	
	يُوعظُون	النساء 65 .	1.	
	الواعظين	الشعراء 136 .	.1	
	موعِظة	البقرة 65 ، 274 ، آل عمران 137 ، المائدة 48 ، الأعراف145، يونس 57 ، هود 119، النحل 125، النور 34 .	.9	25
يقظ	إيْقَاظاً	الكهف 18 .	.1	1
المجموع الكلي للكلمات التي ورد بها حرف الظاء في القرآن الكريم				**853**

المصادر والمراجع

1 ــ القرآن الكريم - برواية قالون عن نافع - مصحف الجماهيرية .
2 ــ أساس البلاغة ، للزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود -بيروت:دار الكتب العلمية، 1998 .
3 ــ الأصوات العربية المنحولة وعلاقتها بالمعنى ، عبد المعطي نمر موسى-دار الكندي للنشر والتوزيع.
4 ــ الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
5 ــ تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي (ج-20)، تحقيق عبد الكريم العَزْباوي ، الكويت 1983.
6 ــ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، الطاهر أحمد الزاوي ، الطبعة الثالثة ، ليبيا – تونس: الدار العربية للكتاب ، 1980 .
7 ــ ترتيب كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي .
8 ــ التمهيد في علم التجويد ، محمد بن الجزري ، تحقيق غانم قدوري ، القاهرة : مؤسسة الرسالة ، 1986.
9 ــ جمهرة اللغة لابن دريد ، حيدر آباد ، 1345هـ.
10 ــ الحرف العربي ، عبد العزيز سعيد الصويعي ، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر، 1989.
11 ــ الدراسات الصوتية عند علماء العربية ، عبد الحميد الهادي الأصيبعي ، طرابلس : كلية الدعوة الإسلامية ، 1992.
12 ــ زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، لأبي البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور رمضان عبدالتّوّاب ، الطبعة الثانية القاهرة : مؤسسة الرسالة ، 1987.
13 ــ سر صناعة الإعراب ، إبن جني ، تحقيق حسن هنداوي ، دمشق: دار القلم ، 1985 .
14 ــ الصحاح،إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،الطبعة الرابعة، بيروت : دار العلم للملايين ، 1987.
15 ــ الفرق بين الضاد والظاء للإمام أبي عمرو الداني ، تحقيق الدكتور أحمد كشك ، 1986 .

16 ــ الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة : دار الخانجي - الرياض : دار الرفاعي ، 1982.

17 ــ كتاب الإملاء ، حسين والي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1986 .

18 ــ لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت : دار صادر للطباعة و النشر ، 1997 .

19 ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، شرح وتعليق محمد جاد المولى وآخرين ، بيروت : المكتبة العصرية صيدا ، 1992 .

20 ــ معجم متن اللغة ، الشيخ أحمد رضا ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1959.

21 ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار القلم ..

22 ــ المعجم الوسيط ، الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون ، الطبعة الثانية ، القاهرة :مجمع اللغة العربية.

23 ــ موسوعة الحروف في اللغة العربية ، إعداد الدكتور إميل بديع يعقوب، الطبعة الثالثة بيروت :دار الجيل ، 1995.

الأمثال والتعابير

(بين دارج وفصيح)

الأستاذ علي مصطفى المصراتي

(عضو المجمع)

مقدمة :

هذه قطوف من الأمثال والتعابير الدارجة في العامية الليبية قورنت بما ورد في كتب التراث العربي من كتاب عن (الفصيح المتداول في ليبيا) "يُعَدُّ للنشر" .[*]

(أرحم من زار وخفف)

هكذا الذوق ، ورقة الإحساس .. والحفاظ على أوقات الناس .. أما أهل الجلافة فشيء آخر .. عافاك الله من زائر ثقيل لا يرحمك بثقله .

ورقة المشاعر والذوق صوِّرها هنا شاعر له مشاعر :

يزيد المرء بين الناس حباً إذا كانت زيارته لماما

(معالم الكتابة لابن شيت ، ص 143)

وأيضاً في الفصيح ورد : زر غباً تزدد حباً .

(الأصحاب ولّوا معارف)

وهو أيضاً وارد في الأمثال الأندلسية .

[بعد الصداقة صرنا معارف] .

كنت صديقاً فصرت معرفة بذلك الله شر ما بدل

(كتاب تحية لطه حسين ، فصل عن الأمثال الأندلسية ،ص 277)

---

[*] رُتِّبت الأمثال والتعابير على حروف المعجم وفق صيغها (المحكية) .

(أغرسني نقلعك)

أعوذ بالله أي خلق هذا .. بل هي طبيعة المكر وعدم الوفاء ، ومن نعم الله ليس هذا قاعدة سلوكية عامة طامة بل هناك نفوس كريمة لا تسيء لمن أحسن إليها، ولكن هكذا أخلاق البشر وطبائعهم تختلف وتتنوع هناك مكرمات وكرائم .. أما من يسئ للمحسن فهو عملة زائفة لا تخضع للقيم .. ونحن كدراسة نرصد ونستقريء الأمثال والتعابير مختلفة منوعة المضامين وليست كل التعابير جيدة أو نتخذها مقياساً أو نبراساً كما أشرنا في غير هذا المكان من الأساليب في البيان ، وهذا اللون من السلوك أو الاتجاه أو صنع المعروف في غير أهله .. قديم في سلوك البشر .

من رسالة لابن سعيد المغربي ــ يقول المثل عندنا ــ أي عند ابن سعيد وعصره ، " كل ما تغرسه تجنيه ، إلا البنادم فإنَّك إذا غرسته قلعك " أ هـ

(نفح الطيب ، ج 9)

(أف .. تف)

قال الأصمعي : الأُف وسخُ الأذن ــ والتف وسخُ الأظافر ــ كان يقال ذلك عند الشيء يُستقذر ، ثم كثر حتى صار يستعملونه عند كل ما يتأذون منه. وقال غيره : أُف معناها قلة لك ، وتف إتباع مأخوذ من الأفيف .. وهو الشيء القليل .

وما لنا والأصمعي وغيره .. وما لنا نبعد ونتطوح .. وهناك أف حركة إزدراء وزفرة بآهة تضايق والآية القرآنية تقول : " ولا تقل لهما أفٍ " .

(الأقارب كالعقارب)

هكذا في صياغة متداولة في بعض الحالات والأوساط وليست بطبيعة الحال قاعدة عامة، بل هناك أقارب من أهل الفضل والخير وإلاّ فسد الكون ، هي رصد لبعض الحالات والخصومات في حالات الغضب والتوتر والانفعال والتشنج، قد يأتي هذا الاستشهاد وهو من التعابير السائرة ، وقديماً ورد هذا التعبير والشاعرة "سعدونة .. الأندلسية تقول ــ ويظهر أنها لذعت من الأقارب ":

آخ الرجال من الأباعد والأقارب لا تقارب
إنّ الأقارب كالعقارب أو أشد من العقارب

هكذا نقل النص الخطيب بن مرزوق .. وهو غير ابن مرزوق الفقيه المالكي ..

وتوجد نسبة هذين البيتين لابن العميد ورد هذا في كتاب " يتيمة الدهر للثعالبي "وأيضاً أشار لهذا أحمد المقري في كتابه " نفح الطيب " وهنا لسنا بصدد الاسناد إنما الأهم المعنى والاستشهاد من شواهد القول .

(نفح الطيب ،ج 5 ، ص 288)

(أكبر منك بليلة ، يغلبك بكل حيلة)

لعلها الخبرة والتجربة أو المعرفة أو الحنكة ،ولكن ليس ولابد أن يكون مجرد التقدم في السن بليلة أو بأكثر هو الدافع للاحترام والتقدير .

هي مسألة نسبية وليست قياسية مطردة . لكن الدلالة هنا والفحوى هو التقدير والإستفادة ممن هو أكبر منك .. إذا كان لديه شيء من الخبرة والعلم لا مجرد السن وحده فقط .

وهذا المعنى المقصود والمعنيُّ هنا ورد متناقلاً فصيحاً فهناك تعبير أندلسي أورده الأقدمون وجاء إلينا عبر وصية من أدب الوصايا ـــ وهو فن أو مراسلات يكاد يطوى وينقرض ـــ في وصية لموسى ابن سعيد المغربي أرسلها لولده .. ناصحاً له .." أكبر منك بليلة يغلبك بكل حيلة " ويقول الوالد لولده في تلك الأعصر المائجات :

"من سبقك بيوم فقد سبقك بعمل " أ هـــ

(نفح الطيب، ج 9 ، ص 119)

(بعد خراب البصرة)

من الفصيح الذي تسلل من المطالعات أو المسموعات وأشرنا إليه في كتابنا " التعابير الشعبية " فليراجع ، ورد في نصِّه فصيحاً ومتداولاً عبر النقولات في الأدب الشعبي .

أيضاً أضافوا إليه من تأثيرات حروب وغزوات قراصنة البحر الأبيض:(بعد خراب مالطا).

وفي فوات الفرص ، أو ضياع ما يتحسر عليه أو الاستعداد بعد فوات الأوان .. أضافوا عبارة : (بعد ما أتخذ دار بندقة ..)

وكان يجب الحذر والاستعداد والانتباه واليقظة قبل الاجتياح وتوالي الهزائم ، وهي تعابير ليست انهزامية أو مدعاة للسلبية كما يرى البعض، بل هي من قبيل التنبيه والتحذير والإستفادة من أخطاء وتفريط الغير ..

(البنادم يشكره فعله)

هكذا بعض من المتبجحة لا يتأدب ، أو لا يتواضع . لأن العامل الجاد والفعال لا يشكر نفسه، بل فعله وآثاره تدل عليه وهي آثار تنطق عن أهل الفضل .

ومن آداب السلوك: كن فعال .. لا قوال .

وقد صَّور هذا الشاعر قائلاً :

إذا المرءُ لم يمدحْهُ حسنُ فعالِهِ فمادِحُهُ يهذي وإنْ كان مُفصحاً

(تعلم الحسانة في روس اليتامى)

(تعلم الحجامة في روس اليتامى)

كان الله في عون اليتامى من أمواس الهبل الذين يجعلون من رؤوسهم حقل تجارب ، معنى كبير في مثل مختزل .

وقد ورد في الفصيح هذا التصور المعنوى والبلاغي قال "إبن حجلة"في سخرية ونقد ذاتي :

وكم جربت شعري في أناس .. أحلوا منه ما عرفوا حرامه

كأنهـــم اليتـــامى حيـــث (؟) تعلم في رقابهم الحجـــامه

(جاء يكر رجليه)

وردت على ألسنة الواصفين سخرية أو هزءاً ووردت قديماً ..

قال الأصمعي الراوية الدربة ، وهو لغوي حجة ولقاطة للشوارد والأوابد:ألم يكن ساعياً جَّوابة لهوفاً يجري وراء الشواهد ملاحقا متصيداً في أقاصي الفيافي، أورد العبارة وشرحها قائلاً:

" أي جاء متثاقلاً لا يقدر أن يحمل رجليه "

(الفاخر، ص 26)

(جوابه سكات)

كلمة عابرة سريعة معبرة من الإيجاز بليغ الدلالة صاغه أيضا الفصيح المأثور من قديم الأجيال :

إذا نَطَقَ السفيهُ فَلاَ تُجبْهُ فَخَيرٌ من إجابتِهِ السكوتُ

(حاشا فلان)

تتحدث اللهجة فتقول : "كلهم فرطوا ، حاشا فلان ..كلهم يستحقون المجازاة ،حاشا فلان "إذا أردت أن تستثني فلاناً ذكر " ابن عاصم " في كتابه " الفاخر بيتاً للشاعر "النابغة" فيه مورد شاهد لنا :

ولا أرى فاعلاً في النـــاس يشبهه وما أحاشي من الأقوام من أحدِ
إلا سليمـــان إذْ قـــال الإله لـــه قـــم في البرية فاحددها من الفندِ

(الفاخر ، ص 270) .

(حتى تزهق نفسه)

قال الأصمعي : يقال ، زهق الحجر إذا ندر من تحت أرجل الدواب وأشباهها ، فكأنَّ المعنى تزهق نفسه أي تخرج وَتَنْدُر . قال " أمية ابن أبي عائذ الهذلي " :

تهادي قوائمها جندلاً .. زواهقَ ضَرْب فلاةٍ بقال

(حط روحك في النخَّالة يربشوك الدجاج)

أو دير روحك نخاله الخ

يقابل هذا في مضمونه قول الفصيح من المأثورات : من جعل نفسه شاة ، دقه الديب . وأيضاً ما أورده أبو حيان التوحيدي في إحدى زفراته وأنَّاته " .. ومن صيّر نفسه نخالة أكله الدجاج .

(خدي وديعته)

كناية عن خروج الروح وتوديع الحياة .

وجاءت في المقولات من الفصيح صياغة هذا المعنى،قال الشاعر معزياً..ومواسياً..ومتأسياً.. في موعظة موجزة :

وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعٌ ولابدَّ يوماً أنْ تُرَدَّ الودائعُ

(خليه يبقبق)

تقول اللهجة إذا أردت أن تسخر من متحدث ولا تبالي ولا تهتم بحديثه :"خليه يبقبق "..

وفي كتاب منسوب للسيوطي " الكتر المدفون في فصل من كلام العامة .. موجود هذا التعبير ، والضبط " خليه يبقبق" مع أن مؤلف الكتاب من علماء القرن التاسع الهجري ، والتعبير موجود على الألسنة سائر قبله بآماد .

وفي المثل الشعبي واللهجة بليبيا وردت الصياغة " يبقبق لاقبي كريشيد "

(الكتر المدفون للسيوطي، وكتاب التعاشيب لعبد الله كنُّون)

(دلدل الحبل)

تقول اللهجة : دلدل الحبل، دلدل السطل ، والدلو في البير ، الولد دلدل رجليه من فوق السرير أو من فوق الكرسي .

وفي القاموس :وتدلدل ، تمدل ، وتحرك متدلياً .وفي اللسان لابن منظور :وَدلْدل له دِلدالاً ، حركه . ورد عن " اللحياني " .

(الدوام يقطع الرخام)

من التعابير الدارجة .. كثيراً ما سمعته من والدي ــ رحمه الله ــ بالمهجر يردده مشجعاً لي على النشاط والاستذكار ومداومة المطالعة .. وهو الآن يكاد ينقرض من أفواه الناس، وهي أمثال لها جذور فصيحة من تأثير السماع أو المطالعات .

وفي الفصيح المأثور المنقول جاء نظماً ، ومن الشواهد مذكوراً أو محشوراً في حاشية نحوية :

أطلب ولا تضجر من طلب فآفة الطالب أن يضـــجرا
أما ترى الحبـــل بتكـــراره في الصخرة الصماء قد أثرا

(الأشموني ، شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق أستاذنا محمد محيي الدين عبد الحميد)

(راد) حذف الألف من فعل أراد

تقول اللهجة:كيف راد الله،أي أراد الله،وقد ورد في شعر قديم، تراثي المأخذ، قال عبيد :

والبيت لا يُبنى إلا على عُمد ولا عماد إذا لم تـــرسَ أوتـــاد
فإنْ تجمَّـــع أوتـــادٌ وأعمدةٌ وساكن بلغوا الأمر الذي رادوا

(راكب راسه)

في لهجة الأدب الشعبي كناية عن العناد والإصرار ولو في طريق التهلكة ، وهو تعبير فصيح قديم بمعنى التعسف ، قال الإمام أبو القاسم الزمخشري ، وناهيك به من طلعةٍ جهبذ ، في شرح مقامات الحريري :

(راكب راسه) أي تعسف ، وأصله الوعل إذا أراد انحداراً من شاهق ركب قرنيه فيترلق عليهما إلى الحضيض .

(روشن)

كلمة روشن أكثر استعمالا من كلمة شبَّاك ، وكان استعمال كلمة روشن أندلسياً قديماً . في كتاب " جذوة المقتبس للحميدي " وهو عالم متوفى سنة 488هـــ عند ترجمته لأحمد بن عبد ربه صاحب كتاب " العقد الفريد " ورد هذا النص :

"إنَّ أبا عمر أحمد بن عبد ربه وقف تحت روشن لبعض الرؤساء وقد سمع غناء حسناً "الخ.

وقد لا يهمنا تلصص ذلك الأديب بعينه أو أذنه تحت تلك النافذة ،وقد طوى الزمن تلك الأغنية والمدندنة والراوية إنما يهمنا ورود كلمة " روشن " كما ينطق بها أهل ليبيا .. وإنْ كانت فارسية الأصل بمعنى ضوء .. نور .. لكن في الأندلس وطرابلس بمعنى :طاقة، نافذة ، شبَّاك .

(سرك إنْ ما يَامنه صندوقك)

يضاف في المرويات والمشافهات من الأدب الشعبي إلى الشاعر " قنانة " كثيرٌ من المقطوعات لعل من أشهرها القصيدة الدائرة السائرة : "تركناه وطن العز نجلو منه .."

والتي جاءت في مقطع منها عن كتمان السر وإفشائه صياغة رائعة:

سرك إنْ ما يامنه صندوقك ما تامنْ عليه الناس بعد تشنّه

في بلاغةٍ شَبَّهَ صدر الإنسان بالصندوق ، يصور الكتمان والحذر وخطورة الثرثرة والإفشاء في المجالس والمنتديات .. تشنه : أي تذيعه .

وهذا الاهتمام بالسر وكتمانه صوَّره الأديب أحمد بن يوسف الكاتب(ت 213هـــ 828م)

إذا ضَاقَ صَدْرُ المرء عن سِرِّ نفسهِ فَصدرُ الذي يُسْتود عُ السرَّ أضيقُ

(سيبها بالعين وتبعها بالجرة)

وأيضاً في هذا المجال ما عناه المثل الدارج : أطلق الطير واجري تحته .

ترى أيندم من تكاسل وأهمل وأفلت منه الفرصة ولات نادم .

وفي الفصيح تبين هذا المعنى .. عتاباً أو ملاماً أو هزءاً وسخرية : أتطلب أثراً بعد عين !

وفي أمثال الزمخشري : يدع العين ويتبع الأثر .

(المستقصى ج 2)

(شد خبزتك ، وأطلق عبستك)

هذا من جميل الذوق ونبل الإحساس أن تكون من أهل البشاشة طلق المحيا ..أما تكريم مع طُرمة وجفاف وسوء استقبال،فهو طبع وشيء سمج منفر،هذا من أدب المعاملات والسلوك..

وما قيمة الإكرام أو الهدية أو العطية مع جفاف وجهامة .. بلا لين كلام ورقة وجدان، وما أروع ــ من الروعة ــ ما صوَّر الأديبُ في عبارته المكثَّفة الموجزة :

بُنَّ إنَّ البرَّ شيء هيِّنْ وجهٌ طليقٌ ولسانٌ ليِّنْ

وهو من التعابير التي حفظتها من والدي ــ رحمه الله ــ قبل أن اقرأها في كتاب أو أتصفحها فيما بعد في مرجع .

(صاحب العلة ينخسوه مرافقه)

وفي الأثر وفصيح المتداول : يكاد المرتاب أن يقول خذوني .

(ضهره خْفيّف) : (ظهره)

في التعابير الدارجة والكنايات الشعبية المتداولة على شفاه الوصافين :"فلان ظهره خْفيّف " كناية وإشارة إلى أن أطفاله عددهم قليل ، عدم كبر العائلة ، هي مسؤولية يسيرة خفيفة..لا ترهقه ، لا تتعبه .وأيضاً ورد في الفصيح في هذا المجال والمنوال .

وهذا التعبير في محمدة الخفة تصوِّره أو تقاربه عبارة :"خفة ونظافة ".

وأيضاً في التصور الكنائي من التراث :" خفة الظهر إحدى اليسارين " .

(سمط اللآلئ)

(ضيفك مصيّف ومشتي)

هناك في الأدب الشعبي ، وأطروفات المرويات الشفاهية حكاية الضيف الرذيل الثقيل ، الذي تطاولت إقامته وسمج ملمحه ، وأراد أهل البيت أن يظهروا مللهم منه ، أرادوا أن يشعروه بذلك ، فقال صاحب البيت لزوجه في خصومة مصطنعة ومناقرة مبيتة : وحق ها الضيف المسافر غدوة .

وأجاب الضيف بكل صفاقة ولكاعة :"ضيفك مصيّف ومشتي " وهمت الذي استضافه .

هذه الحكاية والأطروفة هناك من الفصيح المكتوب مثيلها ، ولعلها نقلت من المكتوب وقفزت إلى شفاه الرواة في الأسمار والسهريات والأفاكيه والمداعبات . أو تصادف أن حدثت أكثر من مرة فصاغها كل بأسلوبه ، ونسجها بخيوطه .

في كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي :

أضاف مزيد رجلاً فأطال المكث فقال ليلة لإمرأته :

كيف نعمل برحيل هذا عنا ؟

قالت: نخاصمك ونحتكم إليه .

ففعلاً ، قالت المرأة :بالذي يبارك لك في ركوبك غداً لما حكمت بيننا بالحق .

فقال : والذي يبارك لي مقامي عندكم هذه السنة لا أعرف من الحكم شيئاً . ا هـــ

(البصائر والذخائر ، ج 5 ، ص 138)

(الطمع وقطع الرقبة متحاذيين)

هكذا ورد في الدارج المتداول في أدبيات السلوك .

وأيضاً في المأثور المروي أورد الزمخشري في أمثاله(التاء مع القاف) :

" تقطعُ أعناقَ الرجال المطامعُ ". قال مورداً شاهداً من المنظوم :

طمعت بليلى أن ترجع وإنما تقّطع أعناق الرجال المطامع

(المستقصى للزمخشري ،ج2 ص 30)

(عز نفسك يعزها مولاها)

من معاني الشمم والإباء .. والطموح والشموخ وهي من مقومات العظمة النفسية ، وينسب إلى عبد الرحمن بن خلدون مقولة رائعة : "من أرادَ أن يُكْرَمَ فَلْيُكْرِمْ نفسَهُ " .

(عصا الدلاّل طويلة)

في التعبير الشعبي الدلاّل :هو المتوجس الخائف الجبان، وفي الفصيح ورد هذا المعنى منقولاً : "عصا الجبان أطول ".

(سمط اللآلي ، تحقيق العالم عبد العزيز الميمني ، ص686)

(عطاه البشاره)

من فصيح المتداول هذا التعبير السائر الدارج .

(ورد في "درة الغوّاص" للحريري،ص 183،طبع الجوائب باستانبول)

(عيش بالمن يا كمون)

هكذا في المثل الدارج ، المنتشر الشائع .يزعمون أنَّ نبات الكمون يعيش بلا ماء.وجاء في الفصيح مساقاً هذا المثل ويحكون له حكايات .

إخلف من شرب الكمون .

(تمثال الأمثال ،ج 1، ص 153)

لا تجعلنى ككمُّونٍ بمزرعةٍ إنْ فاتَهُ السقيُ أغنتهُ المواعيدُ

وقال بشار بن برد :

مواعيد "حماد" سمـــاء مخيله تكشَّف عن رعْـــدٍ ولكن ستبرقُ

إذا جئته يوماً أحالَ إلى غدٍ كَمَا وعدَ الكمون من ليس يصدقُ

(تمثال الأمثال ،ص154)

(عش بالمن يا كمون) ، فصيح متداول .

وجاء في (مجمع الأمثال) :

إذا جئته يوماً أحالَ إلى غدٍ كما وعد الكمون ما ليس يصدقُ

وفي شعر بشار الأعمى الساخر أيضا ما يفيد هذا التصور قال ليعقوب وزير المهدي :

وسقيتهم وحسبتنى كمُّونةً نبتت لزارعها بغير شراب

(فلسة خير من توبة)

وقد يكون الإفلاس والادعاق والعجز المالي مبعثَ عزوف ومدعاةَ توبةٍ إكراهاً وبعداً عن الشراب والمجون، وهذا المعنى ساقه وصاغه الشاعر الناظم الأديب ابن الهبارية صاحب منظومة "الصادح والباغم" في بيتين طريفين عن توبة المفلس والكفِّ عن الشراب ضرورة .

قال ابن الهبارية في سخريةٍ لاذعةٍ وتهكمٍ على نفسه :

يقـــولُ أبـــو سعيـــدٍ إذْ رآني عفيفاً منـــذ عـــام ما شَرِبْتُ
على يدِ أيِّ شيخ تُبتَ قلْ لِي فَقُلتُ عَلَى يّدِ الإفلاس تُبتُ !

(توفي ابن الهبارية عام 504هـ) يراجع عنه ، وفيات الأعيان لابن خلكان ،وكذا مقدمة الصادح والباغم .

(قط طريف)

في اللهجة : شينك قط .

يقابله عند العرب القحاح الفصاح ما أشار إليه صاحب (الإمتاع والمؤانسة ،ص 185) قال: سمعتُ بمكة إعرابياً يقول : ما أكيس هذا القط .

(كبار الهم تحمل كبار المصايب)

قد ترد على أفواه الواصفين عفوياً من مرويات ومسموعات ، وقد طرق هذا المعنى شاعر الحكمة والبلاغة أبو الطيب المتنبي :

عَلَى قدر أَهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي عَلَى قدر الكِرَام الـــمَكَارمُ

(ديوان أبي الطيب المتنبي)

(كل فولة مسوسة تلقى كيّال أعور ..)

في الدارج المُلاك من الأدب الشفاهي ،يلتقي هذا في تصور المعنى مع ما أشار إليه قديماً الحكيم العربي أكثم بن صيفي من مأثوراته وما نقل عنه : لكل ساقطة لاقطة .

(شرح كتاب أدب الدنيا والدين ، ص370)

(كل ممنوع مرغوب)
(كل محجوب مرغوب)

متناثر في التعابير ، سائر في الأقوال ، واقع في حياة الناس ومتطلباتهم واستطلاعاتهم .

وفي الفصيح المكتوب المروي في أكثر من مصدر ومرجع :كل ممنوع مرغوب.كل ممنوع متبوع .

(الأمثال للميداني،ج2 ،ص 100)

(الكمال لله)

هكذا عند سوق الاعتذار أو التقصير والهفوات ، وفي الفصيح جاء في المنظومات :

إنَّ الكَمَالَ لـــمَلِكٍ مُقْتَدِر وَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فيهِ وَعَلاَ

(كتاب تمثال الأمثال ، ج2،ص 522)

(لا حياة لمن تنادي)

لا تتعب نفسك ويذهب صوتك بدداً .. ما الفائدة أو العائدة.. ما الجدوى !

أهو يأس أم حسرة ولوعة..أم كلاهما..ترى هل تسمع من في القبور.بالدارج والفصيح.. والإفصاح صورت تلك الحالات أو الموحلات .

مأخوذ التعبير الدارج السائر من الفصيح المكتوب المقروء من شواهد اللغة والنحو :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لو نَادَيتَ حَيّاً ولكنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنادي

(لقمة القاضي)

حلوى معروفة من أنواع الفطائر والزلابية ، وفي رحلة ابن بطوطة: لقيمات القاضي ، واسمها في الهند الهاشمي .

(رحلة إبن بطوطة ،ج2 ، ص10 ، أسرار اللغة لأحمد تيمور)

(اللي توصيه لا خير فيه)

هكذا الإعتماد على الذكي النبيه .. الحاذق الواثق . ومن تصورات هذا القبيل ما أشار إليه القائل قديماً "أرسل حكيماً ولا توصه" .

(اللي عنده الحنّة يحنّي معبوص حماره)

هكذا في الدارج والمشافهة ، مثلاً يضرب واضح معناه ، وسخرية من عبث التبذير والتبديد في غير طائل. وفي الفصيح المكتوب المتناقل أورد الزمخشري في مجموعة من الأمثال هذا المعنى في كتابه المستقصى : من كان ذا دهن طلي استه .

وشرحه ،وان كان لا يحتاج إلى عناء شرح،قائلاً:من كان متمولاً أنفق في غير وجه الحاجة.
(المستقصى ، ج ، 2 ص 359)

(اللي عنده القمر ، أيش همته في النجوم)

هكذا تعبير دارج ومثل شعبي سائر ظاهر المعنى واضح الدلالة . يماثله في المعنى والتصور ما صاغه نظماً الشاعر الأندلسي أبو بكر بن حبيش ، وقد حضر ليلة مع بعض الفضلاء وطفيَ السراج ، فقال مرتجلاً :

أذاكَ السِّرَاجُ يُرينَا غُرَّةً سفرتْ فَبَاتَتِ الشمسُ تستحي وتستترُ
أو حلَّـــةٌ فَكَفَانَا وَجْـــهُ سَيدِّنَا لا يَطْلبُ النَجْمَ مَنْ في بَيتِه قَمَرُ !

(اللي يجهلك يحقرك ..)

في كلام العامة المتداول إذا لم تعرف منزلة الشخص وأزدرى شأنه قالها في نبرة احتجاج وإبانة .ومن الفصيح ومأثورات القول ورد " من جهل شيئاً عاداه " ا هـــ .

(أدب الدنيا والدين لأبي حسن الماوردي)

(اللي يحادي يحادي الغرف ... أما المطابخ يشوهوا)

واضح المعنى والدلالة بلا إطالة تعليق واستفاضة شرح.. يقابله الفصيح أو مستقى منه قول الناظم ، كما أورده صاحب خزانة الأدب :

عَليكَ بأَرباب الصدورِ فَمَنْ غَدَا مُضافاً لأرباب الصدورِ تصدَّرا
وإيَّاكَ أنْ ترضى صحـــابةَ ناقص فتحطَ قدراً منَ علاكَ وتُحقرا

(جواهر خزانة الأدب ، ج 5 ، ص 104)

(اللي يسمع أو يتبع كلام الناس يتعب)

هكذا من الأساليب والكلمات المتداولة من نصائح التجارب وحقيقة عند القدامى وأكتوى بشواظها محدثون ورد في هذا مأثورات شعراً ونثراً . لعلنا نكتفي من كثرة القول برصد ما صوَّر الشاعر بشار بن برد :

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ غَمّاً وفازَ باللذةِ الجسورُ

(ما فيش عود من غير دخان)

هكذا في أقوال سائرة عند المعاذير وضفاف المحاذير .وقد ورد في الفصيح هذا التصور وصياغة التعبير . قال الشاعر الجانح للحكمة والتأمل أو التوجع والتألم :

تُريدُ مُهَذَّباً لا عَيْبَ فِيهِ وَهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بلاَ دُخَانِ !؟

(ورد النص في كتاب " الإشارة الآصفية "، ص4)

(هوّن عليك)

في لهجة ليبيا ترد هذه الصياغة وهي من الفصيح الدارج.ووردت هذه العبارة في حديث نبوي عندما خاطب رسولنا محمد صلوات الله عليه أحد أصحابه عندما تهيَّب منه ، في تواضعٍ ومثال أعلى من الأخلاق قال له :

" هَوِّنْ عَليكَ إنَّما أنَا ابنُ امرأةٍ كانت تأكلُ القديد " .

وجاءت كلمة " هَوِّنْ " قديماً في شعر قاله محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

هَوِّنْ عليك وكُنْ بربِّكَ واثقاً وأخو التوكّل شأنُهُ التهوينُ

(روضة العقلاء للبستي ، ص123)

وقال ابن الزبير لما حاصره الحجَّاج بمكة :

هَوِّنْ عليك فَإنَّ الأُمُورَ بكَفِّ الإلهِ مَقَادِيرُهَا

(روضة العقلاء ، ص136)

(هارب من الغول طاح في سلاَّل القلوب)

هو في تصور المعنى يماثل قول الشاعر:

المُسْتَجيرُ بعَمْرو عِنْدَ كُرْبتِهِ كَالمُسْتَجير مِنَ الرَّمْضَاء بالنَّار!

(الهم فيه ما تختار)

هو يقابل ويصور المعنى في الفصيح : بعضُ الشرَّ أهونُ من بعضٍ .

(تمثال الأمثال ، ص 377 ــ 378)

(واحد كألف ، وألف كألفٍ)

أو ما يختصر هذا المعنى ، أحياناً وليس بالطبع قاعدة مطردة .

فارس يحيي قبيلة وقبيلة ما تحيي فارس . في الأمثال والتعابير الشعبية عن الفروسية أو قوة الشخصية وتأثيرها كثير وافر من التعابير والدلالات لعلها تشير إلى ما يسمى " كارزما " والتأثير العلمي أو النفسي ، وأيضاً في الفصيح المأثور المكتوب ما أشار إليه الناظم استقراءً أو استدلالاً :

وَلَمْ أَرَ مثلَ الرَّجَال تَفاوتاً إلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ ألفٌ كواحدِ

(تهذيب الأخلاق ،لمسكويه)

(وجهه حديد)

في التعابير الشعبية ورد من الأوصاف غير المستحمدة من لا يعرف الخجل أو الحياء من أهل الطمع أو الزيف الأخلاقي .. فقدان الذوق والإحساس أو تبلد المشاعر :

فلأن وجهه حديد . أمَّال تحساب وجهي حديد .

وفي تعابير عامية مستحدثة "زينقو " أي صفيح ، أي لا شعور ولا إحساس ..ولا عَرق حياء.وفي الفصيح أيضاً ورد هذا الوصف والتعبير وأشار إليه الأديب العالم أبو حيان التوحيدي في كتابه المقابسات : إن السؤال يريد وجه حديد، أهـــ .

(المقابسات ، ص103)

(ورَّاه النجوم في القايلة)

من موارد الشواهد في الأمثال وشرح الأحوال من المتعبين، ودرج في عديد من الأساليب والتعابير يماثله قول الناظم :

إنْ نتوله فقد تمنعهُ وتريه النجمَ يجري بالظهرْ

(تفسير الطبري،ج 1 ، ص 451)

(يحاحي)

يطرد عن الأعناب والكروم وغيرها ، بإصدارِ صوتٍ يفزعُ به الطيورَ، وفي المثل الشعبي الساخر : يبكي على بوه ويحاحي .

كأنه بإحداث هذا الصوت يقوم بمهمتين :البكاء والندب حرقة ، وهشُّ العصافير وطردها.

ويلاحظ عند الدراسة والتفحص أنَّه تعبير من الفصيح (حا حا) للطرد والذود .

في الأمثال الشعبية " اللي يسرق يغلب اللي يحاحي."ويقال أيضاً "السارق يغلب العساس ".
وفي كتاب "الذخيرة" لابن بسام:

نَصَبْتُ الفَخَّ ثم قَعَــدتُ عنهُ بعيداً كي أَرى فيــه فَــلاَحَا
إذا قردي مقيمٌ عنــد رأسي يقولُ لمقبلاتِ الطير حَــا حَا

(الذخيرة ،القسم الرابع، مج 1،ص 268)

بين المثل والخرافة

د . الصيد أبو ديب
قسم اللغة العربية- كلية الآداب
جامعة الفاتح

رغم الاختلاف البيّن والكبير بين المثل والخرافة ـــ لغةً واصطلاحاً ـــ فإنَّ المطلع لا يعدم وجود علاقة بينهما ، وهذه المقالة لا تنهض لدراسة الأمثال ، تاريخاً وتحليلاً ، والوقوف على دلالاتها في حياة الأمة العربية والكشف عن طبيعة هذه الحياة ، بخاصة في العصر الجاهلي ، فهي واضحة كل الوضوح ، كما لا تستهدف الحديث عن الخرافة بوصفها الذاكرة الجماعية للشعوب والأمم ، وصورة من صور مأثوراتها الشعبية ، وإنَّما تحاول هذه المقالة مقاربة تلك العلاقة التي تجمع بين المثل والخرافة ، رغم ما يبدو من عدم وجودها من خلال معناهما اللغوي والاصطلاحي ، كما سيرد ذلك .

وكثيرة هي الدراسات الأدبية الحديثة التي تستأثر بالشعر ، بوصفه " ديوان العرب ، وهو سجل دقيق لحياتهم في الجاهلية والإسلام بجميع صورها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ثم هو ـــ بعد ذلك ـــ وعاء للغة العربية ، مفردات وتراكيب ، ومرجع يفزع إليه في معاني هذه المفردات والتراكيب " [1] .

ولكن الملاحظ أنَّ هذه الدراسات الأدبية الحديثة ، بدأت تتجه لتناول النثر بمختلف أجناسه الأدبية من خطابة ومقامة وقصة ورواية ومسرحية وغيرها ، وأنَّ حظ الأمثال ـــ بوصفها جنساً أدبياً ـــ من هذه الدراسات ، ضئيل جداً إذا قيس بنصيب بقية الأجناس الأدبية الأخرى،"على الرغم من أنَّ للأمثال مكانتها السامية لدى كل الشعوب والأمم ، باعتبارها حكمتها وخلاصات تجاربها وثمرات العقول من أبنائها"[2] .

---

[1] الأمثال العربية ، عبد المجيد قطامش ، دمشق : دار الفكر ،1988 ، ص 5 .
[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

ومن هنا تبدو لنا الخيوط الأولى من علاقة الأمثال بالخرافات أو الحكايات الشعبية بوصفها هي الأخرى ذاكرة الشعوب والأمم وثمرات العقول من أبنائها ــ فضلاً عن أنَّ أصحاب الأمثال ومنشئي الخرافات مجهولون ، ويتوارثها الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد . كما أنَّ موضوع الحيوان يشكل قاسماً مشتركاً بين المثل والخرافة ، فالأول يتمثل بالحيوان ، وكذلك تأتي الخرافة على لسان الحيوان ، وكثيرة هي الأمثال التي حفلت بذكر الحيوان ومثّلت به .

أيضاً تبدو (الحكمة) قاسماً مشتركاً آخر بين المثل والخرافة فكلاهما يُضرب أو يُروى لأخذ العبرة والعظة من تجارب الحياة ، فالهدف من المثل الاحتجاج ومن الخرافة الوعظ والنصيحة فضلا عن التسلية وتزجية الفراغ .كما يلاحظ أنَّ المثل يصدر من جميع الناس بمختلف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية وكذلك الخرافة ، وذلك حين تكون الخرافة موجزة العبارة دقيقة المعنى " فيتهيأ لها بذلك أن تسير بين الناس وتتداولها ألسنتهم وأقلامهم "[1] .

ومن هنا تنهض العلاقة بين المثل والخرافة ، وإن كان أسلوب الأول موجزاً في الأغلب الأعم ، في حين أنَّ أسلوب الخرافة يطول في كثير من الأحيان ، أيضاً وباستثناء ذلك النوع من الخرافة التي تأتي على لسان الحيوان ، فإنَّ كليهما يفترقان ، ويذهب كل منهما في طريقه .

ولكي ندرك الفرق بين كل من (المثل) ومدلوله ، وبين (الخرافة) ومدلولها ، يجب أن نقف على معنى الكلمتين في اللغة وفي الاصطلاح الأدبي .

المثل :

جاء في المعاجم والقواميس العربية أنَّ الأصل الثلاثي لكلمة (مَثَلَ) يدل على معنى الشبه والنظر ، وإنَّ (المَثْلُ أو المِثْلُ) هو الصفة وتمثل بالشيء ضربه مثلاً ، أو هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعله مثله ، و (المثل) الحجة وأيضاً الحديث نفسه[2].

و(المَثَلُ) عند الزمخشري(ت538هـــ)"في لغة العرب بمعنى المِثْلُ كالشَّبَه والشِّبْه...ثم سميت هذه الجملة من القول المقتضبة من وصلها أو المرسلة بذاتها ، المتسمة بالقبول ، المشهورة بالتداول ، مثلاً "[3].

---

[1] المصدر نفسه ، ص 18-19

[2] انظر : تاج العروس ، السيد المرتضى الزبيدي ،بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع ،1966 ، مادة(مثل) جـــ8 ص 110 . النفيس من كنوز القواميس ، خليفة التليسي ،ليبيا ــ تونس : الدار العربية للكتاب ، جـــ 4 ص 2104

[3] المستقصى في أمثال العرب ، الزمخشري ، ط2 بيروت: دار الكتب العلمية ،1987 ، ج ، المقدمة ، ص(هـــ).

والمثل في الاصطلاح الأدبي هو " ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص ومقومات تجعله جنساً من الأجناس الأدبية قائماً بذاته ، وقسيماً للشعر والخطابة والقصة والمقالة والرسالة والمقامة "وهو أيضاً " قول موجز سائر ، صاحب المعنى ، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة "[1].

الخرافة:

أما الأصل الثلاثي لمادة (خَرَفَ) فتتعدد معانيه ، من بينها ــ كما جاء في تاج العروس ــ (خرافة) كثمامة : رجل من عذرة أو من جهينة استهوته الجن واختطفته ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بما رأى ، يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس وقالوا : حديث خرافة ، والخرافات الموضوعة من حديث الليل أو هي حديث مستملح كذب[2].

من الواضح أنَّ الاختلاف بين الأمثال والخرافات بيّن وجلي ، في اللغة والاصطلاح الأدبي ، ولكن العلاقة بينهما قائمة في عدة أوجه ، كما سلف القول ، فالأمثال أصلها حكم ثم سارت وشاعت ، وكذلك الخرافات أصلها حديث مستملح ثم سارت وشاعت على ألسن الناس ، ولم يبق سوى أن نوضح ذلك التداخل بين الخرافة والمثل رغم اختلافهما لغة واصطلاحاً .

في كتابه (ملامح يونانية في الأدب العربي) يعدد د.إحسان عباس مصادره في هذه الملامح ، فكانت الخرافات والأمثال من بين هذه المصادر ، ويذكر أن الحديث عن اللقاء بين الأدبين اليوناني والعربي على مستوى الأمثال والخرافات ، وبخاصة على ألسنة الحيوان يستوجب العودة إلى ثلاثة أنواع من المصادر العربية هي :

أولاً:(كتب الحيوان) ككتاب(الحيوان) للجاحظ وكتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري، وعن صاحبي هذين الكتابين ، يوضح د . إحسان عباس أنَّ الجاحظ ليس لديه " ميل كبير إلى هذه الخرافات ، أما الدميري فإنَّه يعتمد في هذه الخرافات على مصادر سابقة "[3].

---

[1] الأمثال العربية ، ص 11 .

[2] تاج العروس ، مادة (خَرَفَ) ج6 ، ص83 ، النفيس من كنوز القواميس ، ج1 ، ص100 .

[3] ملامح يونانية في الأدب العربي،د.إحسان عباس ،بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977 ، ص 21.

ثانياً :(كتب الأمثال) ككتاب (أمثال العرب) للمفضل الضبي،و(مجمع الأمثال) للميداني، و(جمهرة الأمثال) للعسكري وغيرها ، ويذكر د.إحسان عباس أنَّ بعض مصادر الأمثال المبكرة تحتفظ بـــ"خرافات قليلة تتصل اتصالا مباشراً ببيئة الجاهلية ، ولكن منذ حمزة الأصفهاني ، يبدو الاهتمام بهذه الخرافات أكثر ، فقد أفرد في أواخر كتابه (الدّرة الفاخرة) فصلاً خاصاً بها ، وتمثل الأمثال العامة ذخيرة هامة في هذا المجال "[1].

ثالثاً :(كتب الأدب) ، ويتمثل هذا المصدر في كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه ، ويذكر د . إحسان عباس أنه قد ورد فيه شيء من هذه الأمثال ، وإن لم يكن كثيراً ، وأنَّ أبا حيان التوحيدي أورد منها في كتابه (الذخائر والبصائر) عدداً غير قليل ، كذلك أفرد الراغب الأصفهاني في أواخر كتابه (محاضرات الأدباء) لها باباً خاصاً ، وأورد أيضاً ابن الجوزي شيئاً منها في كتابه (أخبار الأذكياء)[2].

وعن أمثال الضبي ، يذكر د . إحسان عباس أنها " أقدم مجموعة وصلتنا من الأمثال العربية " ، بل هي " أقدم صورة لدينا من المثل الجاهلي المقترن بالحكاية .. وقد اتسع نطاق الأمثال بعد (المفضل) ... وعلى مر الزمن أيضاً كثرت فيها الخرافات على ألسنة الحيوانات "[3].

ويشير د . إحسان عباس إلى الأمثال التي أوردها بعض كتب الأمثال ، نقلاً عن أمثال الضبي الذي هو أصل معظم المؤلفات في الأمثال ، ومن هذه الكتب (المستقصى في أمثال العرب)للزمخشري،و(جمهرة الأمثال)للعسكري ،و(مجمع الأمثال)للميداني،و(تمثال الأمثال) للعبدري . ولعل أبرز تلك الأمثال ، المثل القائل(كيف أعاودك وهذا أثر فأسك) الذي يُضربُ لمن لا يفي بالعهد والذي بني على قصة الأخوين والحية . وهو المثل الذي اخترناه ليكون شاهداً على العلاقة بين المثل والخرافة .

ونص قصة هذا المثل،كما ورد في كتاب(أمثال العرب) للمفضل الضبي (ت 123هـــ) " زعموا أنَّ أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما فأجدبت بلادهما ، وكان قريباً منهما وادٍ

---

(1) ملامح يونانية في الأدب العربي،د.إحسان عباس ،بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977 ، ص 21.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) أمثال العرب ، المفضل الضبي ،قدم له وعلق عليه :د .إحسان عباس ،ط2 ،بيروت:دار الرائد العربي ،1983،ص5 .

فيه حيّة قد حمته من كل أحد ، فقال أحدهما للآخر ،يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي المكلئ ، فرعيت فيه إبلي وأصلحتها فقال له أخوه : إني أخاف عليك الحية ، ألا ترى أنَّ أحداً لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته ؟ قال : فو الله لأهبطنّ ، فهبط ذلك الوادي فرعى إبله به زماناً ، ثم إنَّ الحية لدغته فقتلته ، فقال أخوه : ما في الحياة بعد أخي خير ولأطلبَّن الحية فأقتلها أو لأتبعنّ أخي ، فهبط ذلك الوادي فطلب الحية ليقتلها ، فقالت : ألست ترى أني قتلت أخاك ، فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي فتكون به وأعطيك ما بقيت ديناراً في كل يوم ، فقال : أفاعلة أنت ؟ قالت : نعم ، قال : فإني أفعل ، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضيرها ،وجعلت الحية تعطيه كل يوم ديناراً فكثر ماله ونبتت إبله، حتى كان من أحسن الناس حالاً، ثم أنه ذكر أخاه فقال:كيف ينفعني العيش ، وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان ، فعمد إلى فأس فأحدَّها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ووقع الفأس بالجبل فوق جحرها فأثر فيه ، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه ، فلما رأى ذلك وتخوّف شرها ندم ، فقال لها : هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت:كيف أعاودك وهذا أثر فأسك، وأنت فاجر لا تبالي العهد ، فكان حديث الحية والفأس مثلا مشهوراً من أمثال العرب " [1].

ويرى د . إحسان عباس أنَّ المفضل لم يميز في هذه القصة "مثلاً بعينه ، لأنَّ القصة كلها كانت مثلاً ، ويبدو أن إختيار (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك) انتزع انتزاعاً للإشارة إلى القصة "[2]، وهو ما نلاحظه عند الميداني (ت 518هـ) ، فقد ذكر في (مجمع الأمثال) هذه القصة بياناً للمثل القائل (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك) ، مشيراً إلى أنَّ " أصل هذا المثل على ما حكته العرب على لسان الحية أنَّ أخوين كانا في إبل ...الخ"[3].

ولا تختلف كثيراً الصيغة التي أورد بها قصة هذا المثل عما جاء عند المفضل الضبي ، وقد ذكر (الميداني) هو الآخر أنَّ هذا المثل " يُضرب لمن لا يفي بالعهد ، وهذا من مشاهير أمثال العرب "[4] .

أما الدميري (ت 808هـ)، فقد روى هذه القصة على نحو آخر، ولكن لا يبتعد كثيراً من حيث التفاصيل عما رواه الضبي والميداني ، دون الإشارة إلى المثل . ففي حديثه عن

---

[1] المصدر نفسه ، ص 177-178 .

[2] المصدر نفسه ، ص 187.

[3] مجمع الأمثال ،الميداني ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج 2،ص145-146 .

[4] المصدر نفسه ، ص 146 .

(الحية)، ذكر فوائد وعجائب تخصها منها ما جاء في هذه القصة ، يقول الدميري:"ذكر المسعودي عن الزبير بن بكار أنَّ أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين ، فنزلا في ظلِ شجرة بجنب صفاة ، فلما دنا الرواح ، خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته إليهما ، قالا : إنَّ هذا لمن كنز هنا فأقاما ثلاثة أيام ، وهي في كل يوم تخرج لهما ديناراً ، فقال أحدهما للآخر : إلى متى ننتظر هذه الحية " ألا نقتلها ونحفر عن الكنز فنأخذه ؟ فنهاه أخوه وقال له : ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال ، فأبى عليه وأخذ فأساً ورصد الحية حين خرجت وضربها ضربة جرح رأسها ولم يقتلها ، فبادرت إليه الحية فقتلته ، ورجعت إلى جحرها ، فدفنه أخوه وأقام حتى إذا كان الغد ، خرجت الحية معصوباً رأسها وليس معها شيء ، فقال : يا هذه والله إني ما رضيت ما أصابك ، ولقد نهيت أخي عن ذلك فلم يقبل ، فهل لكِ أن نجعل الله بيننا على أن لا تضريني ولا أضرك، وترجعين إلى ما كنت عليه أولاً ؟ فقالت الحية : لا ، قال : ولِمَ ؟ قالت : لأني أعلم أنَّ نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسي لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجة ، ثم أنشد أبيات النابغة الجعدي [1] التي يقول فيها :

وما لقيت ذات الصفا من حليفها وكانت تريه المال رعباً وظاهره " [2]

ولقد صاغ هذه القصة شعراً، الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني في ثمانية عشر بيتاً[3] أورد منها الضبي خمسة عشر بيتاً [4]،والميداني تسعة أبيات[5] .

وعن الأمثال التي ارتبطت بالحيوان ،يذكر ابن قتيبة أنَّ العرب كانت تضرب أمثالاً على ألسنة الهوام،وقد أورد هذه القصة،نقلا عن المفضل الضبي،في إيجاز،وعلى النحو التالي :

" يقال إمتنعت بلدة عن أهلها ، بسبب حية غلبت عليها فخرج أخوان يريدانها ، فوثبت على أحدهما فقتلته ، فتمكن لها أخوه في السلاح ، فقالت : هل لك أن تؤمنني فأعطيك كل يوم دينار ؟

---

(1) شاعر مخضرم ، عاش طويلا في الجاهلية والإسلام ، جاوزت سنه المئة ، كانت وفاته في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة. أنظر : شعر النابغة الجعدي ، تحقيق : عبد العزيز رباح ، دمشق : المكتب الإسلامي ، 1964 ، ص (ط) .

(2) حياة الحيوان الكبرى ، الدّمَيْري ،وضع حواشيه وقدم له:أحمد حسن بسج، بيروت:دار الكتب العلمية،1990،ج1،ص394.

(3) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق وشرح : كرم البستاني ، بيروت :دار صادر ،(د .ت) ص 68-70 .

(4) أمثال العرب ، ص 178-179 .

(5) مجمع الأمثال ، ج2 ، ص146 .

فأجابها إلى ذلك حتى أرى ، ثم ذكر أخاه ، فقال : كيف يهنئني العيش بعد أخي ؟! فأخذ فأساً وصار إلى جحرها ، فتمكّن لها ، فلما خرجت ضربها على رأسها ، فأثر فيه و لم يمعن ثم طلب الدينار ، حين فاته قتلها ، فقالت : إنَّه ما دام هذا القبر بفنائي ، وهذه الضربة برأسي ، فلست آمنك على نفسي " ثم أورد ابن قتيبة أربعة أبيات من قصيدة النابغة الذبياني[1].

وفي دراسة تاريخية تحليلية للأمثال العربية ، تحدث د . عبد المجيد قطامش عن أنواع المثل العربي ، وقد صنفها في ثلاثة أقسام ، هي :

1 ــ المثل الموجز ، وهو الذي "يشتمل على معنى صائب وتشبه فيه حالة مضربه بحالة مورده ، وهذا النوع من الأمثال هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ (المثل) " .

2 ــ المثل القياسي"وهو ذلك السرد الوصفي أو القصصي الذي يستهدف توضيح فكرة ما،أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل الذي يقوم على المقارنة والقياس " .

3 ــ المثل الخرافي"وهو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان،أو بثوها على قصص خرافي نسجوه حوله،وجعلوه فيها يتحدث ويفعل كما يتحدث الإنسان ويفعل ،يقصدون بذلك التسلية والفكاهة،أو الحثَّ على مكارم الأخلاق،وطبيعي أنَّ هذا النوع من الكلمات والحكايات لا أساس له من واقع أو عقل،ومن ثم كان علماء اللغة يطلقون عليه إسم(أكاذيب العرب) أو(أكاذيب الأعراب)؟[2] .

ونقل د . الطاهر أحمد مكي هذا المثل ليستدل به ــ نموذجاً ــ على أساطير العرب وخرافاتهم بقصد تتبع الأصول البعيدة للقصة القصيرة التي عدّها "في شكلها الفني الحديث آخر الأجناس الأدبية ظهوراً ، فهي لا تذهب إلى أبعد من القرن التاسع عشر ، ولكنها في الوقت نفسه ، من أعرق ألوان الأدب تاريخاً "[3].

وموضع الاستدلال بالمثل السابق ، جاء عند د . مكي لبيان أنَّ القص على لسان الحيوان أقدم ما عرف الأدب باعتبار أنَّ الصلة بين الإنسان والحيوان قديمة ، فقد نشأت

---

[1] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، بيروت: دار الثقافة ، 1983 ، ج1 ، ص 96 .

[2] الأمثال العربية ، ص31-32 .

[3] القصة القصيرة ــ دراسة ومختارات ، د . الطاهر أحمد مكي ،ط6 القاهرة : دار المعارف ، 1992 ، ص 9 .

بينهما حين تعارفا منذ التقيا على وجه الأرض ، وتوثقت هذه الصلة حين وجد الإنسان نفسه في حاجة إلى الحيوان ليعينه في كفاحه من أجل البقاء .

ويذكر د . مكي أنَّ الصلة المادية بين الإنسان والحيوان كانت مصدر أدب قوي يصف الحيوان وصفاً خارجياً في الغالب ، أو يتحدث عن منافعه ، ويذكر بعض خصال الخير فيه، أو يصف جمال منظره أو يقص بعض المغامرات في صيده ، وعندنا في الأدب العربي الشيء الكثير من هذا " .

ويذهب د . مكي إلى أنَّه قد نشأت عن هذه الصلة المادية ، صلة روحية بين الإنسان والحيوان ، ألهمت الأديب " ألوانا أدبية أخرى ، جاءت في شكل قصص وأساطير ، إرتبطت بالحيوان على نحو ما ، وهي أقدم ما نعرف من مظاهر الأدب "[1] .

وقد أعتبر تشكيل القص الإنساني في بداياته ــ أساطير وخرافات ــ لوناً من الإبداع الإنساني ، موضحا أنَّ الأساطير هي " الحكايات الخيالية التي توجد عند الأمم في حالتها الأولى ، ومادتها أشخاص أو حوادث أو أعمال فوق طاقة البشر ، وتدور فكرتها العامة حول ظواهر تاريخية أو طبيعية "[2] ، في حين أنَّ الخرافات قصص " أبطالها شخصيات غير عاقلة من الحيوان والجماد ، ولكنها تفكر وتتكلم وتتصف بالعقل والمنطق ، ولها عواطف ومشاعر كالبشر وتقوم بدور إنساني واقعي ، تجئ للتسلية ، دون أن تستهدف غرضاً معيناً، فتصبح من قصص الحيوان "[3] .

من الواضح أنَّ العرب في القديم ، كانت لهم ــ كغيرهم من الأمم ــ أساطير وخرافات ، ارتبطت بالحيوان على نحو ما ، ولكنها لم تقتصر كلها عليه ، وإنما كان موضعه فيها أبين من غيره .

ولعل ما يميز أساطيرهم ، وخرافاتهم عن غيرهم ، أنَّ الحيوان بعامة ، لم تكن له عندهم ــ كما يقول د . مكي ــ " تلك القداسة التي تمتع بها عند شعوب أخرى ، فلا نعرف أنهم عبدوا الحيوان ،ولو أنَّ ذوات الفائدة منه أو الصفات النادرة أو المخيفة المرعبة حظيت بقدر واضح من التقدير والاحترام ، وحولها قام عدد من الأساطير والخرافات "[4].

---

[1] المصدر نفسه ، ص 10 .

[2] المصدر نفسه ، ص 10-11 .

[3] المصدر نفسه ، ص 14 .

[4] المصدر نفسه ، ص 20-21 .

وعنها أيضاً تحدث فحول الشعراء وكبار الأدباء ،"فإنَّ الأدب العربي ـــ شعراً ونثراً ـــ حافلٍ بهذا اللون القصصي ، شأنه في ذلك شأن سائر الآداب العالمية التي اتخذت منه وسيلة للفكاهة والموعظة والحث على مكارم الأخلاق ، وهو يُعَدُّ صورة من صور الأدب الرمزي الذي ينسب فيه الأحداث والحوارات إلى الحيوانات والجمادات "[1] .

ولقد طالت أمثالهم بعض الحيوانات ، وهي صنف أجراه العرب على ألسنة الحيوان نفسه ، خلال الأحداث التي حاكوها حوله ، وهناك عدد من الأمثال المشهورة التي أجريت على لسان الضب، والأرنب ، والثعلب ، والثور، والأسد، والفيل ، والحمار، والنعامة ، والضبع ، والعصفور، والحية . ومن هذا الصنف المثل الذي رواه المفضل الضبي (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك) والذي هو محور حديثنا في هذه المقالة لندلل به على العلاقة بين المثل والخرافة.

إنَّ هذا المثل الذي بُنِيَ على قصة الأخوين والحية أو حديث الحية والفأس ، يؤكد اعتبار الحكاية الخرافية كلها مثلاً أو الاكتفاء منها بالكلمات السائرة وحدها ، رغم اختلاف الصياغات التي وردت بها ، فقد لاحظنا التغيير الطفيف في صياغة الحكاية عند(الميداني) الذي نقل عن المفضل الضبي ـــ وكذلك حين نقله د . مكي ، وإذا كنا نتجاوز عن هذا التغيير الطفيف في الصياغة عن تلك التي جاءت عند الضبي ، فإننا لا نقبل أن يطال هذا التغيير المثل نفسه حيث أورده د . مكي على النحو التالي : (كيف أعاهدك وهذا أثر فأسك) ، فإذا جاز لنا أن نروي أحداث الحكاية الخرافية التي كانت وراء هذا المثل بأسلوب مبسَّطٍ ونتصرف في بعض الألفاظ والعبارات بالحذف أو الزيادة ، فإنَّ مثل هذا التدخل يجب ألا يمس مَتْنَ المثلِ نفسه ، فإنَّ مثل هذا الصنيع غير مقبول ولا مسموح به في رأينا .

■ ■

[1] الأمثال العربية ، ص 32 .

Annal of the Academy
Journal of the Libyan Academy of Arabic Language - Tripoli

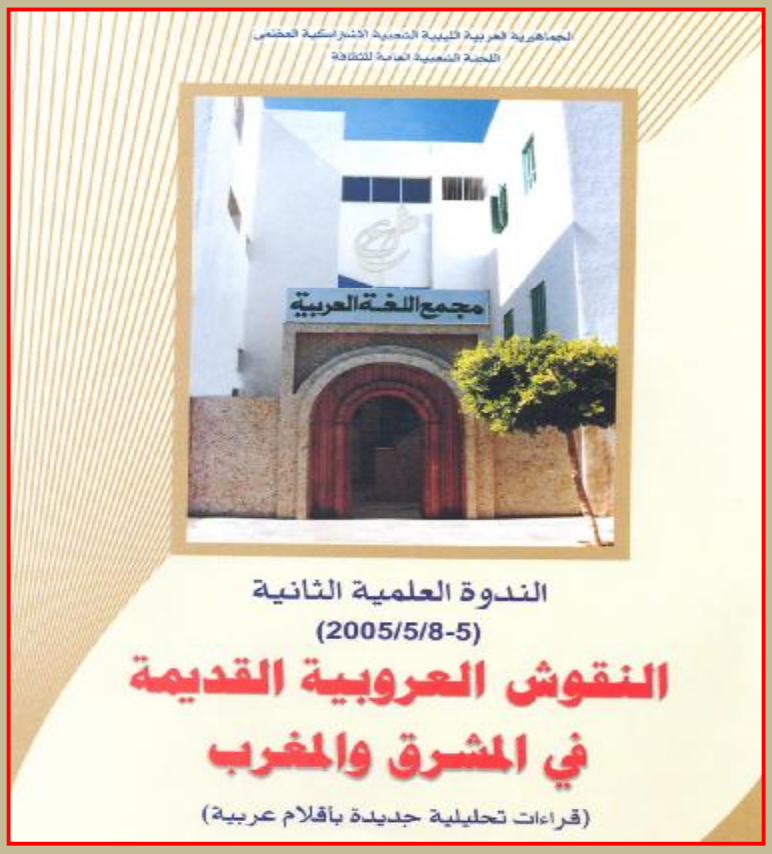

No:3 **1373(2005)**